دكتور أحمد جمال العمري

أمير البيان

إبراهيم بن العباس

حياته وأدبه وديوانه

أمير البيان

إبراهيم بن العباس

حياته وأدبه وديوانه

تأليف

دكتور أحمد جمال العمرى

أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها

بكليتى الآداب والتربية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

١٩٩٠



دار المعارف

صُفَّ هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى
وصُمم الغلاف وطُبع بالأفست
بمطابع دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الإهداء

● إلى روح الأخ والصديق والزميل.. الحاضر الغائب.
● إلى روح الدكتور إبراهيم عبدالبارى الشافعى.. فى حياته البرزخية.
● رحلتَ عن دنيانا يا صديقى، وتركت فينا أطيب الأثر، وأخلدَ السِّيَرَ.
● لن ننسى ماحَيينا رهافة حِسِّك.. وعذبَ حديثك.
● لن ننسى ماحيينا رقة شُعُورك.. ودماثة أخلاقك.
● فقد كُنْتَ الصَّفِىّ.. النَّقِىّ.. الوَفِىّ..
صَفَاءُ ضمِير.. ونقَاء سريرة.. ووفاء منقطع النظير.
● رحمكَ اللَّهُ يا إبراهيم.. وأنزلَكَ منازل الصِّديقين والشهداء والأبرار، وحسن أولئك رفيقا..
● وسلامٌ عليكَ فى الخالدين..

أحمد جمال العمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، الرحيم الرحمن، خلق الإنسان علّمه البيان، والصلاة والسلام على حبيب الرحمن، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان. وبعد..

فهذه دراسة لعلم من أعلام الأدب، وأمير من أمراء البيان، هو إبراهيم بن العباس الصولى الذى كان فحلاً من فحول الشعر فى عصره، وكاتبا من أمهر كتّابه المرموقين.

درست الرجل.. حياته وأدبه، شعره ونثره، وعشت معه، وعاش معى، طيلة أعوام ثلاثة، أمضيتها فى إعداد أطروحتى التى نلت بها درجة الماجستير فى الآداب من جامعة القاهرة.

ونظرا للصلة الوثيقة بين موضوع بحثى وإبراهيم بن العباس، فقد كان لزاما علىّ أن أتعرف على أخباره، فى تنقلاته.. فى لهوه ولعبه، فى جدّه وعبثه، فى فرحه وترحه.. عشت معه تجاربه الشعورية التى فتّقت قريحته، فأخرج شعره ونثره..

عشت مع إبراهيم بن العباس.. طوال أعوام دراستى، حتى لقد هيمن على مشاعرى وأحاسيسى، فوجدت نفسى مشدودًا إليه للتزود بالمزيد من أخباره وآثاره، حتى تشبعت نفسى بكل ما يتصل بالرجل.. وحياته وفنه.. ولم يكن أمامى بدّ من أن أرتب هذه الحصيلة الضخمة من المأثورات التى وضعها القدر أمامى، إبان جمع المادة العلمية المتصلة بدرجة الماجستير، ثم أصقلها وأرتبها وأعدها لتظهر أمام عشاق الأدب ومتذوقيه، مبرزًا قيمة هذا الرجل الفنية – فى عصره وبعد عصره، بعد أن ظل محجوبًا عن الأذهان والعيون، منزويا فى منطقة الظل طوال القرون الماضية.

لم يتقدم أحد من الباحثين أو الدارسين لدراسته، والكشف عن كنوزه الأدبية.

كان موضوع بحثى للحصول على درجة الماجستير، هو «أبو بكر الصولى: حياته وأدبه» وأبو بكر هذا حفيد لأخيه عبد الله بن العباس، فكان بحكم دراستى أتنقل بين أفراد هذه العائلة الصُّولية، حتى أتزود بالمعرفة، لأصل إلى ما أصبو إليه من نتائج، وكنت فى كل مرة أخلو للبحث فى موضوعى.. يطالعنى الرجل، ويتجسد أمامى، فارضا وجوده حيًّا، إن كلاما.. وإن خبرًا، إن شعرًا، وإن نثرًا.. فوعدته باللقاء على الصفحات، وعقدت العزم بعد أن وفقنى الله فى الحصول على درجتى العلمية – أن أكتب عنه، وأكشف النقاب عن حياته وأدبه، وأدرس نتاج فكره وقريحته، دراسة تحليلية أكاديمية مستقلة، تمسح عنه غبار الزمن، وتزيل آثار النسيان..

وها أنذا اليوم أفي بوعدى له، وأكتب عن حياة الرجل وأدبه.. وأخرج ديوان شعره. لقد حرصت على أن أكتب عن إبراهيم بن العباس من عدة زوايا:

الزاوية الأولى: عصره الذى عاش فيه من الناحية السياسية والاجتماعية والأدبية..

الزاوية الثانية: حياته فى جميع مراحلها وأطوارها، وبكل أحداثها وملامحها..

الزاوية الثالثة: تلك التى تتناوله ككاتب بارز من كبار كتّاب العصر..

والزاوية الرابعة: تلك التى توضح مكانه ومكانته كشاعر فحل بين فحول الشعر العربى.

وزاوية أخيرة.. تتناول ديوانه بعد ترتيبه وتنقيحه وشرحه.

على أننى أعترف أن هناك الكثير من الزوايا المستورة «تَقِيَّة»، وأعترف كذلك أن مترجميه القدامى لم يضعوا أمامى كل ما أتمنى أن أعرفه عن شخصية هذا الرجل. واعترف أخيرًا أن تراثه الفنى ضاع معظمه، وأُحْرِق هو أكثره، فلم يبق منه سوى أقل القليل، متمثلا فى مقطوعات قصيرة يضمها ديوان شعره الصغير، وبعض مكاتباته المنثورة، المبثوثة بين صفحات كتب الأدب والتاريخ والتراجم.

بيد أن ذلك كله لم يمنعنى من دراسة الرجل «حياته وأدبه»، ومحاولة التوصل إلى أغوار نفسه، دراسة موضوعية متأنية، معتمدا على المحسوس والموجود من الآثار والأدلة، على أساس أن الجزء يمكن أن يمثّل الكل، وقد يوصّل إلى فهم مضمونه، فى ضوء الدراسات والأبحاث المدروسة حول العصر وشعرائه وكتّابه، التى سبقنى إليها كثير من الباحثين والدارسين.

عاش إبراهيم بن العباس قرابة السبعين عاما، من سبيعنيات القرن الثانى حتى أربعينيات القرن الثالث الهجرى (١٧٦ - ٢٤٣ هـ) فى فترة تولى الخلافة فيها سبعة من أعظم خلفاء بنى العباس، تعتبر من أمجد وأخطر فترات الدولة الإسلامية، وعاصر مجموعة كبيرة من فحول الشعراء العباسيين، فى عصر من أزهى عصور الشعر العربى.

تطلبت دراستى لهذا الرجل.. أو قل: فَرَض علىّ البحث أن أعرض لعدة أمور..

أولا: لطبيعة العصر وظروفه، أو ما يمكن أن نطلق عليه البيئة التى وجد فيها الرجل ذلك أن دراسة العصر تعين الباحث على فهم كل ما يحيط بالرجل من أمور، وتلقى كثيرا من الضوء على بعض الجوانب المجهولة من حياته، فدرست عصر الرجل من نواحيه السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية، موضحا أثر العصر فى الرجل وفى نتاج فكره.

ثانيا: أن أتحدث عن الرجل ذاته، كفرد له سماته وخصائصه وأخلاقه وطبيعته البشرية، فتناولت بالدراسة كل ما يتصل بحياة الرجل، اسمه ونسبه، مولده ونشأته، عائلته وأسرته، ثم تناولت ثقافته، وما اشتملت عليه من عناصر واضحة جلية، ظهرت فى كتاباته وأشعاره. كما تناولتُ أخلاقه وأهم سماته الذاتية، ثم تحدثت عن ذلك الجانب الهام والغامض فى حياته، وهو «جانب التشيّع»، الذى لم يتناوله أحد من قبل، وتتبعت عناصره فى مصادر الشيعة المختلفة.

ثم تتبعت حياة الرجل الخاصة من أبرز زاويتين، الزاوية اللاّهية العابثة، والأخرى العاتبة

البائسة، بعد ذلك تتبعت حياته الرسمية فى قصور الوزراء والأمراء، ثم فى قصور الخلفاء ودواوين الخلافة، حتى انتقل إلى جوار ربه.

وكان لزاما علينا أن نبحث عن آثار الرجل، تلك الآثار التى تحدثت عنها مصادر الأدب وكتب التراجم، فتتبعتها فى المصادر القديمة المتعددة، وفهارس دور الكتب. لعلنى أصل إلى أى منها، غير أنها للأسف الشديد سقطت من يد الزمن، وأتت عليها، شأن غيرها من كتب التراث القديم، يد الفناء، فلم يبق لنا منها سوى ديوان شعره، وبعض رسائله ومكاتباته الإخوانية والديوانية.

ثالثا: تطلب البحث دراسة الرجل كاتبا من أبرز كتاب العراق، وتحليل آثاره النثرية، فتتبعت كتاباته ومكاتباته، ودرستها محللا عناصرها وأغراضها، وموضوعاتها وخصائصها. وألفاظها ومعانيها، وما اشتملت عليه من صور بلاغية بيانية، مقوّما هذا العمل فى ضوء مقاييس العصر، ثم عرضت لأسلوبه وطريقته فى الكتابة، ومنهجه فى المكاتبات، ومدى تأثره بالسابقين والمعاصرين، ومكانه ومكانته بين أدباء وكتّاب عصره.

وأخيرا – تطلبت دراستى لجوانب الرجل الأدبية المتعددة، إلقاء الضوء على أكمل وأهم عنصر من العناصر التى تكوّن شخصية إبراهيم بن العباس الفنية، وعلى أبرز زاوية فى حياته وفنه، تلك هى زاوية الشعر، فدرست شعره دراسة موضوعية، لا تعتمد على تقسيم الشعر إلى أغراض – بالطريقة العقيمة السقيمة، التى اتبعها عدد من الباحثين، بل درسته معتمدًا على العناصر النفسية، وارتباطه بها، وارتباطها به، فقسمت هذا الشعر على اختلاف أغراضه إلى مجالات ثلاثة: مجال الذاتية ومجال الغيرية، ثم مجال الإنسانية، مبينا أثر الرجل فى شعره، وأثر شعره فى الآخرين، مبرزًا أهم قسمات هذا الشعر، وخصائصه الفنية النفسية. بعد ذلك وضعت شعر الرجل فى ضوء النقد القديم، الموجود فى عصره، وأبرزت قيمته حسب ما تواضع عليه نقاد العصر، ثم وضعته فى ضوء النقد الحديث لأحدد قيمة الشعر والشاعر جميعا حسب المقاييس الفنية التى وضعها النقاد المحدثون وتواضع عليها شعراء الجيل الحاضر.

وأخيرًا، فقد جمعت ديوانه ورتبته حسب حروف المعجم العربى، وشرحت الغامض منه، بعد أن أضفت إلى الديوان السابق ما سقط من ناشره المجموع فى الطرائف الأدبية.

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل

القاهرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٨ — أ. د. أحمد جمال العمرى

البَابُ الأولُ

عصر الرجل

الفصل الأول : الحياة السياسية
الفصل الثانى : الحياة الاجتماعية
الفصل الثالث : الحياة الأدبية

الفصل الأول

الحياة السياسية فى عصر الرجل

عصر الرجل يعد عصر الانتفاضات والثورات.. تلكم الثورات التى أراد بها أصحابها على اختلاف نزعاتهم ومعتقداتهم ومشاربهم - إلى جانب الإصلاح الدينى - الإصلاح الاجتماعى. وكان آخر هذه الثورات.. الثورة العباسية، التى اشتعلت فى خراسان ثم زحفت نحو العراق والشام ومصر.. وكان من نتائجها تقويض ملك الأمويين، وإقامة صرح دولة العباسيين، فكانت أهم الثورات التى عرفها التاريخ الإسلامى على الإطلاق. لذلك سنتناول فى دراسة الحياة السياسية فى عصره:

أولا: الثورة العباسية منذ بدايتها حتى انتصارها، خاصة وأن أسرة الصوليين كان لها شأن كبير فى تأييدها ونصرتها[1].

ثم ثورات العلويين، لما عُرف عن إبراهيم بن العباس من أنه كان شيعيًّا، فسنتتبع باختصار الحركات العلوية التى قامت مناهضة للدولة العباسية..

ثم سنلقى الضوء على النظم السياسية والإدارية التى اتبعتها الدولة، وسارت عليها، وخاصة وأن هذه النظم كان لها تأثير فى حياة وعمل الرجل، فقد كان كاتبا فى الدولة ثم واليا على إحدى الولايات..

وأخيرا سنتعرف على الخلفاء العباسيين، الذين عاصرهم الرجل، وكان لهم شأن فى حياة أسرته، كما كان لهم أثرهم فى حياة الرجل نفسه.

١ - ثورة عباسية.. وثورات

اتخذت الثورة العباسية لنفسها مبادئ هامة ثلاثة:

الأول: مبدأ الإمامة الشرعية.

والثانى: مبدأ المساواة.

---

(١) يقول أبو بكر الصولى فى ذلك مفاخرًا:

وإننا نقباء شاع نصرهم ... تلقى أعاديكم فى الحرب بالحرب

ويوم مروان أفردنا بشهده ... والفخر فيه بنصر السادة النجب

[انظر أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٥١].

والثالث: مبدأ الإصلاح الدينى والاجتماعى، والدعوة للعمل بالكتاب والسُّنة.

أما مبدأ الإمامة - فإنهم كانوا يرون أن خلفاء بنى أمية قد اغتصبوا الخلافة، وأخذوا ما ليس لهم حق فيه، وأن الخلافة يجب أن تكون فى آل محمد (ﷺ)، أو ثقة فى آله المقرَّبين دون تحديد خاص، ولم يتحر الناس يومئذ حين كانوا يدخلون فى صفوف المعارضة - للأمويين - أن يحددوا الفرع الذى يجب أن يلى الخلافة، ولم يكن ليقتسموا غنما لايزال بعيد المنال، لذلك كانت الدعوة «للرضا من آل محمد» أى مَنْ يرتضيه آل محمد[٢].

أما مبدأ المساواة - فكانوا يقصدون بها: المساواة بين العرب وغيرهم من شعوب الأمم المغلوبة، وإزالة الفوارق بين هذه الشعوب ليتألف من الجميع أمة واحدة، على حد ما جاء فى الصحيفة التى كتبها الرسول للأنصار عندما هاجر إلى المدينة:

«إن المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم وهاجر إليهم أمة واحدة من دون الناس» وصار هذا النص مبدأ شرعيًا من المبادئ التى يدعو إليها الفقهاء حين يعلمون الناس.

ولكن بنى أمية لم تكن تجرى فى هذا على أساس المبادئ الإسلامية، بل على أساس المصالح السياسية، التى تمثل المصالح العليا للأمة، ولم يكن أحد يجهل إطلاقا أن القرآن يفرض المساواة، فلا تمييز ولا تفضيل بين الناس إلا على أساس من العمل الصالح والتقوى.

يقول جل وعلا[٣]: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

ومعروف أن الأمويين لم يسووا بين العرب المسلمين وغيرهم من الأعاجم، فى المعاملات أو فى الحقوق، فالمساواة - وهو مبدأ إسلامى هام - لم يكن يطبقه الأمويون بين العرب والعجم، مما أشعل حافزًا قوميًا يطلب المساواة.. ولايزال الفرس المحدثون المعاصرون يعدون الثورة العباسية إثباتا للاحتفاظ بقوميتهم، وعدم فنائها فى الدولة العربية الإسلامية. وقد نجد أصداء لهذه الروح العصبية القومية فى كثير من الأقوال التى تُنسب إلى العباسيين وقوادهم. مثال ذلك.. ما قاله القائد الفارسى قحطبة: «يا أهل خراسان: هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم حتى بدّلوا ، فَصَلُتَ الله عليهم أذل أمة كانت فى الأرض فغلبوهم على أمرهم» يقصد العرب. لذلك أقبل الفرس على المعارضة واندمجوا فى صفوفها، وما كان ذلك إلا لكى يتخذوا منها شعارًا لتحقيق شخصيتهم الفارسية القومية، التى بادت عندما اغتصب العرب

(٢) لم يكن يخلد فى ذهن الناس يومئذ أىّ من آل محمد يجب أن يتولى الخلافة، هل سلالة على بن أبى طالب، أم سلالة العباس عم الرسول، وهذا أمر لم يكن يدور فى ذهن العباسيين أنفسهم حتى واتتهم الفرصة، واستغلوها استغلالا حسنا، ولذلك نراهم يوارون أشخاصهم ويقدموا القضية التى نصبوا أنفسهم للدفاع عنها، قضية نصرة آل البيت النبوى حتى لا يثيروا أبناء عمهم العلويين عليهم [انظر الطبرى ٦/٢٧، ٧٩].

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

بلادهم وهزموهم فى واقعة القادسية سنة ١٦ هـ فكان تأييدهم للثورة العباسية ودعمهم لها حتى انتصرت، وقضت على الحكم العربى الأموى، فى واقعة نهر الزاب سنة ١٣٢ للهجرة - ردًّا على واقعة القادسية القديمة، وفى الوقت نفسه ردًّا لاعتبارهم وإبرازًا لقوميتهم.

أما المبدأ الثالث.. فهو الإصلاح.. والدعوة للعمل بالكتاب والسنة.

ولقد قام هذا المبدأ على أساس أن انحراف الخلفاء الأمويين عن العمل بالكتاب والسنة، أدى إلى اضطراب الأحوال، ووقوع المظالم ونشأة الصراعات، لذلك كان أهم سلاح شهره العباسيون هو توضيح أن ما يقع على الناس من غبن وظلم إنما مردّه انحراف الخلفاء الأمويين عن الكتاب والسنة. لذلك نراهم يركزوا دعوتهم على إبراز أمور هامة. منها:

أن الأمويين مغتصبون للخلافة، لم يتولوها بناء على الشورى كما نص الدين، وهم ليسوا من أهل البيت، كما أنهم قد ارتكبوا من المظالم ما لا يصح السكوت عليه[٤]، وذكّروا الناس بمدى بطشهم وعنفهم حين حاصروا الكعبة، يوم لاَذَ بها عبدالله بن الزبير، وضربوا جيشه بالمجانيق، فاحترقت الكعبة نتيجة لهذا الضرب، وهم أيضا لم يحترموا مدينة الرسول -ﷺ- فحاصروها فى موقعة الحرة، ثم دخلوها واستباحوا دماء أهلها ثلاثة أيام. كذلك نعى الناس على بنى أمية بطشهم وتنكيلهم بآل الرسول.. ألَمْ يقتلوا الحسين فى كربلاء ثم أحفاده زيد بن على ويحيى بن زيد؟..

وأخذ الدعاة - بالإضافة إلى ذلك كله - على يزيد بن معاوية شربه للخمر وحبه للهو والمجون، وأشاعوا مثل ذلك على الخليفة الشاعر الوليد بن يزيد. ولم ينسوا أن بنى أمية حين اختلفوا على أنفسهم فى أوائل أيامهم، كانوا هم الذين يتحاورون بمثل هذه الشائعات، وكان بعضهم يرمى بعضا بالإلحاد، فكانت هذه الأمور إلى جانب الشائعات تؤثر فى الناس، وتشيع بينهم ويصدقها عامتهم، ونجد أصداء هذه الشائعات فى كتب الأدب والتاريخ المختلفة.

وتطورت لدى الناس كراهية بنى أمية، وكراهية ولاتهم حتى لقد اتخذوا من زياد بن أبيه، ومن الحجّاج مثالا للجور والضلال، وحتى صوروا أن الحجاج منذ أن مات بُعث إلى جهنم، فهو لايزال يهوى من عَلٍ إلى آخر الدهر ليصل إلى قاع جهنم..

كل هذه الأمور فتحت الأذهان، وعلى أساسها روّج الدعاة العباسيون بعض التنبؤات، فقالوا مثلا: «سيقوم رجل مجهول النسب يُطهر السواد (العراق) ويدعو إلى دولة، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون» ثم صاروا ينتظرون هذا الرجل المجهول، ويقولون إنه صاحب الرايات السود الذى سينبعث يوما من المشرق، لذلك كان السواد شعارًا لبنى العباس.

(٤) انظر ما كتبه استاذنا الدكتور شوقى ضيف عن الحياة السياسية فى العصر الأموى - فى كتابه التطور والتجديد فى الشعر الأموى. طبع دار المعارف سنة ١٩٥٩ م.

وقامت الثورة العباسية، فى موطن الفرس، وعلى أكتافهم. فكانت نهاية الدولة الأموية وسقوطها سنة ١٣٢ هـ. وكانت نهاية المطاف، وخاتمة ثورات عدة نشبت فى وجه الأمويين وأقلقت راحتهم. وكان من هذه الثورات من تتخذ طريق الرِّفق، والدعوة إلى العدل والإصلاح والعمل بكتاب الله على نحو ما هو معروف عن جماعة الفقهاء. وكان منها ما يتخذ طريق العنف يريد أن يمحق سلطان الأمويين محقًا، على نحو ما كان يريد عبدالله بن الزبير، والخوارج والشيعة، وابن الأشعث ويزيد بن المهلب. وقد شهر هؤلاء الثائرون سلاحهم فى وجه الأمويين مرارًا، بيد أن الأمويين استطاعوا بالبطش والعنف أن يكبحوا جماح الثائرين، وينكلوا بهم تنكيلا. فانتهت ثورة ابن الزبير، وفُتك بابن الأشعث وابن المهلب وبأنصارهم، أما ثورة الخوارج ومثلها ثورة الشيعة، فظلت تشتعل، ويرتفع إوارها من حين إلى حين فى العراق ومدنه المختلفة. على أن أهم ثورة أشعلها الشيعة هى ثورة المختار الثقفى بالكوفة(٥). وقد تكفل مصعب بن الزبير – حين كان واليا لأخيه على العراق بالقضاء عليها قضاء مبرمًا، فلم تقم للشيعة بعد ذلك قائمة، حتى كانت ثورة زيد بن على زين العابدين فى أول العقد الثالث من القرن الثانى، وقد انتهت بإخفاق ذريع، ولم يلبث ابنه يحيى أن قُتل على أثره، كما قُتل بعده بقليل «عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب».

وانضمت إلى هذه الثورات – فئات من الموالى المضطهدين – فرس وترك... الذين حرمهم بنو أمية المساواة بالعرب فى الحقوق، وقد احتملوا فى ذلك ألوانا من البؤس، والعنت، فكان طبيعيا أن تكثر مطالبة هؤلاء الموالى بالعدل الاجتماعى، وأن يتطلعوا إلى حكام جُدد، يعدلون ويقرون مبادئ الإسلام، ويمحون الظلم والاضطهاد الذى ينكره الإسلام، كما ينكر أن تستغل طبقة من الأمة بعض الطبقات فيها لمآربها وأغراضها.

وقد وضعت كثرتهم آمالها فى أبناء علىّ وأسرته الهاشمية لما تميز به حكمه من مساواة تامة بين العرب والموالى بحيث أصبحوا شيعتهم، غير أنهم فقدوا فى أسرة علىّ وأبنائه وأحفاده الشخص الحصيف الجرىء الذى يستطيع تنظيم ثورتهم بحيث يُكْتَبُ لها النجاح، وعرف ذلك فيهم أبناء عمومتهم العباسيون، ولكن كيف تكُونَ هذه الزعامة، والشيعة من حولهم يتضوون تحت ألوية أبناء علىٍّ وحدهم دون مَنْ سواهم من الهاشميين؟

لقد أخذوا يفكرون فى ذلك، ولم يلبثوا أن نفذوا إلى أمنيتهم المبتغاة عن طريق فرقة الكيسانية الشيعية التى تكونت حول ابن الحنفية، فقد استوطن ابنه أبوهاشم – الذى ورث عنه زعامة هذه الفرقة وإمامتها – بلدة الحُمَيْمة ببلقاء الشام، ونزلها معه على بن عبدالله

(٥) انظر ما كتبه أستاذنا الدكتور يوسف خليف عن الحياة فى الكوفة – فى عصر الفتن ص ٥١ وما بعدها، وفى عصر الثورات ص ٦٠ وما بعدها، فى كتابه «حياة الشعر فى الكوفة» طبع وزارة الثقافة سنة ١٩٦٨ م وانظر أيضا العصر العباسى للدكتور شوقى ضيف – فصل الحياة السياسية ص ٩ وما بعدها طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧ م.

ابن العباس وأسرته، وسرعان ما توثقت الصّلة بين ابنه محمد وبين أبي هاشم، ورأى فيه أبوهاشم خير خلف له على جماعته، فلما حضرته الوفاة سنة ٩٨ هـ أوصى له وصية صريحة بالإمامة من بعده، وبذلك وجد محمد ركيزة يعتمد عليها فى إثبات حقه فى الخلافة. وكان محمد حصيف الرأى بعيد النظر، فعمد توًّا إلى تنظيم الدعوة العباسية سرًّا من مقره فى الحُمَيْمة متخذًا من الكوفة دار التشيع، ومستقره مهدًا لها ومركزًا[٦]. ووضع خطة تنظيمها هناك فى يد «ميسرة»، وجعل له الإشراف على الدعوة بخراسان، حيث كان الموالى هناك يتلئون سخطا وموجدة على الأمويين الذين كانوا لا يزيلون عنهم ظلما إلا ليقيموا مكانه ظلما أشد عنفا.

وتظل الدعوة العباسية سرا، حتى يتولى زمامها أبومسلم الخراسانى[٧] - فى وطنه خراسان، وكان من دهاة الرجال ومن أكفئهم فى النهوض بعزائم الأمور، فأخذ يجمع الناس على دعوته ويصور لهم فساد الحكم الأموى، وما يسومهم به من خسف وظلم، وكيف أنه سيملّكهم الأرض، ويجعلهم سادة بعد أن كانوا عبيدًا مسترقِّين، والناس يسمعون له ويحفُّون به، وينضمون إلى دعوته حتى كثف جمعهم، وحتى غَدَا نزاله لنصربن سيّار - والى الأمويين هناك - قاب قوسين أو أدنى، غير أنه رأى أن يتمهل قليلا قبل أن يبدأ مغامرته الخطيرة متخذا لها ما يكفل النجاح المحقق.. ولم يلبث أن عمد - بدهائه - إلى الإيقاع بين الكرمانى ومَنْ معه من القبائل اليمنية، وبين نصر بن سيّار ومن معه من القبائل المضرية، واشتعلت الحروب بين الفئتين وسُفك فيها كثير من الدماء، حتى إذا وهنت قوة نَصْر أعلن أبو مسلم الثورة عليه وعلى مَنْ وراءه من الأمويين[٨].. ثم تتقدم جيوش أبى مسلم بقيادة قحطبة وابنه الحسن غازية المدن، فاتحة الحصون، وما تلبث أن تقتحم العراق، فيسرع «ابن هبيرة» - واليها - للقائه عبر الفرات، لكن قحطبة بذكائه رأى أن يتجنبه واتجه إلى الكوفة أولا، ثم يلتقى به فتدور على ابن هبيرة الدوائر، كما دارت على نصر بن سيار من قبله، فينحاز بجيشه إلى واسط. ويُقْتَل قُحْطبة فى ظروف غامضة، فيتولى القيادة بعده ابنه الحسن، ويدخل الكوفة دون أن يلقى أى مقاومة، وحينئذ تبرز إلى النور حكومة بنى العباس السرية، وعلى رأسها أبوسلمة الخلّال أول وزير لهم.

وكان مروان بن محمد قد قبض على إبراهيم بن محمد الامام - قبل دخول الحسن بن قحطبة الكوفة بوقت قصير، إذ عرف أنه هو المدبر لهذه الثورة، وعرف إبراهيم ما ينتظره من مصير، فعهد بالأمر من بعده إلى أخيه أبى العباس السفاح، ونقلت الأنباء إلى أبى العباس

---

(٦) انظر فى تنظيم الدعوة العباسية: فلهوزن فى كتابه: تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ترجمة الدكتور أبى ريدة ص ٤٧٨ وما بعدها.

(٧) المرجع نفسه ٤٩١.

(٨) العصر العباسى ص ١١.

دخول الحسن بن قحطبة الكوفة، فخرج إليها فى أهله يتقدمهم أعمامه، داود وعيسى وصالح وعبدالله واسماعيل، وأخوه أبو جعفر وابن عمه عيسى بن موسى.

ورأى أبو سلمة الخلّال - الذى لقب بـ «وزير آل محمد» أن يختار للخلافة أحد أحفاد على بن أبى طالب، لذلك أخفى أمر نزول أبى العباس وأهله الكوفة، وعزلهم عزلا تامًا عن جند خراسان، إلا أن أبا العباس السفاح استطاع أن يتصل بأبى مسلم الخراسانى، إذ وجّه إليه مَنْ أطلعه على نوايا أبى سلمة، فأرسل إليه وفدًا من زعماء الدعوة بخراسان سلموا عليه بالخلافة، فاضطر أبو سلمة اضطرارًا أن يعلن تأييده له(٩).

واتجه أبوالعباس توًّا إلى المسجد الجامع فى الكوفة، فبايعه الناس، وارتقى المنبر، فاشرأبت إليه الأعناق وأصغت إليه الآذان، فإذا هو يحتج بآى القرآن الكريم على أن بيته العباسى أحق بالخلافة من بيت العلويين(١٠).

رأى أبو العباس أن الكوفة موئل العلويين منذ القدم.. فانتقل منها إلى معسكر الخراسانيين، ثم فارقه إلى الحيرة، وأخذ فى بناء الهاشمية لتكون مقرًّا لخلافته، وأغرى أبو مسلم الخراسانى بأبى سلمة الخلال فدس إليه مَنْ قَتَله(١١).

وكانت الجيوش ما زالت تتابع مروان بن محمد - آخر خلفاء بنى أمية - وتتعقبه بقيادة عبدالله بنَ على عم السفاح، فالتقت به على نهر الزاب شمالى العراق، وهزمته هو وجيشه هزيمة ساحقة، فولىّ مع بعض فلول جيشه حتى حَرّان ثم تركها إلى نهر أبى فُطْرس بفلسطين والأردن، وتبعه عبد الله بن على حتى إذا آوى إلى مصر أرسل وراءه أخاه صالحا فما زال يفر أمامه من بلدة إلى بلدة حتى لقى حتفه فى بوصير من بلدان الصعيد لأواخر سنة ١٣٢ هـ.

وتذكر المصادر الأدبية والتاريخية - أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد البيت الأموى فتكا ذريعًا، يريدون أن يستأصلوهم من الأرض استئصالا، حتى ليتخذ ذلك شكل احتفالات دموية، وكان أول من بدأها عبدالله بن على، إذ دعا فى أبى فطرس نحو ثمانين منهم إلى وليمة ولم يكادوا يجتمعون لها حتى انبرى الشاعر العباسى شبل بن عبدالله - وهو من موالى بنى هاشم، المحبين للعباسيين، يحرضه على الفتك بهم ثأرًا للإمام إبراهيم بن محمد، ومن قتلوا من العلويين والهاشميين، فأمر عبدالله بن على بهم جميعا أن يُضّربوا بالعمد حتى يلقوا حتفهم(١٢) نكالا لهم

(٩) الطبرى ٨٥/٦، ومروج الذهب (طبعة دار الرجاء بالقاهرة) ١٨٣/٣، وتاريخ اليعقوبى ٨٦/٣ (ط النجف)

(١٠) الطبرى ٨١/٦ ومابعدها.

(١١) الطبرى ١٠٣/٦، والمسعودى ١٩٩/٣، واليعقوبى ٨٩/٣

(١٢) الطبرى ٩٧/٦، واليعقوبى ٩٢/٣. وكان سبب ذلك قول الشاعر:

أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والأقصاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدًا ... وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى ... ثاويا بين غربة وتناسى

ولآبائهم، وصنع صنيعه - بجماعات أخرى منهم - السفاح وعمه داود وسليمان[١٣] وكأنهم لا يريدون أن يبقوا على وجه الأرض أحدًا منهم، وحتى موتاهم لم يفلتوا من هذا العقاب الصارم. إذ يُقال إنه نُبشت قبور خلفائهم - ما عدا قبرى معاوية وعمربن عبدالعزيز الخليفة الورع، وحُرِّقت بقايا جثثهم بالنار تحريقا[١٤].

وهكذا ظفرت الثورة العباسية بالبيت الأموى الذى كانت نفوس الرعية تمتلئ سخطًا وحقدًا عليه، لما أذاقهم من الظلم، ولما حرمهم من الإنصاف والعدل الاجتماعى، ولما ازدرى من الحق والواجب.

ورأى العباسيون أن يتخذوا من العراق موئلا - لخلافتهم، فعلا نجمه، بينما هوى نجم الشام إذ أصبحت ولاية تابعة له بعد أن كان يتبعها. واتخذ أبوالعباس -كما قلنا من قبل- الهاشمية مقرًا لدولته، إلى أن تولى الخلافة المنصور - فاختار قرية صغيرة على الضفة الغربية لدجلة لتكون حاضرة لخلافته، هى بغداد.

ثورات الشيعة[١٥]..

منذ أن بثّ العباسيون دعوتهم السرية فى الناس، كان شعارهم «الرضا من آل البيت» دون إظهار لنواياهم الحقيقية، سترًا لدعوتهم من ناحية، وحتى لا يصطدموا بأبناء عمهم العلويين من ناحية أخرى. لذلك أرادوا أن يثبتوا الأصل الذى تعتمد عليه خلافتهم المبتغاة وهو: ميراثها عن الرسول، فهى حق شرعى لآل بيته[١٦].

بيد أن العباسيين لم يكد يستولون على مقاليد الخلافة، ويتولون زمام الأمر، حتى استفردوا بالحكم، وعملوا على تدعيم دولتهم، مما أثار أبناء عمومتهم العلويين. فأخذ العلويون يشيعون فى الناس أن بنى العباس اغتصبوا الخلافة منهم، فهم ورثتها الحقيقيون - إذ هم أبناء بنت الرسول «فاطمة» وأبناء علىّ ابن عمّه، وردّ عليهم العباسيون بأنه ينبغى أن يُرجع فى ذلك إلى أصل حكم الله فى المواريث، وما فُرض فيها من حَجْب العم لابن العم، وحرمان ابن البنت من

---

(١٣) الطبرى ٩٧/٦، ١١١، الأغانى ٣٤٤/٤ (دار الكتب)

(١٤) المسعودى ١٤١/٣، واليعقوبى ٩٣/٣

(١٥) كان إبراهيم بن العباس شيعيًا، وإن اتخذ مبدأ التقية - لذلك رأينا أن نفرد نبذه عن التشيع وحركات الشيعة.

- انظر فى هذا الموضوع ماكتبه أستاذنا الدكتور يوسف خليف عن الكوفة مدينة الشيعة فى كتابه: «حياة الشعر فى الكوفة» ص ١٢٣ وما بعدها.

وانظر ماكتبه الدكتور شوقى ضيف عن العلويين فى كتابه العصر العباسى الأول ص ٢٦ وما بعدها. وانظر ضحى الاسلام - للاستاذ أحمد أمين الجزء الثالث ٢١٠ وتاريخ الاسلام السياسى والدينى والاجتماعى للدكتور حسن إبراهيم حسن.

(١٦) فى هذا الأصل فساد واضح، لأن الرسول ﷺ لايورث فى ماله، فضلا عن الولاية العامة للمسلمين عملاً بقوله ﷺ «نحن الأنبياء لاتورث».

ميراث جده لأمه، فهم يُدلون للرسول بعمه العباسى الذى آل إليه ميراثه. وهم لذلك أولوا الأمر، وأهله «خُصُّوا برحم رسول الله وقرابته، ونشأوا من آبائه ونبتوا فى شجرته[١٧]».

وإذا كان العلويون يزعمون أن الرسول ﷺ نصَّ على إمامة على بن أبى طالب بعده[١٨]، وأن أبناءه ورثوا منه إمامته، فقد زعم العباسيون أن الرسول ﷺ قال لجدهم العباس: «إن الخلافة تكون فى ولدك[١٩]».

وأخذت تشتعل الخُصُومة بين فرعى البيت الهاشمى، فى أيها أقرب إلى الرسول وأمَسّ به رحمًا، وأيها أحق بميراث ولايته على الأمة، وسرعان ما أخذ المنصور يرصد حركة العلويين ويتتبعهم فى دارهم «المدنية»، ويضيق الخناق عليهم. إلى أن ترامت إليه الأنباء بأن محمد بن عبدالله سليل الحسن بن علىّ بن أبى طالب، الملقب «بالنَّفْس الزكية» يبث الدعاة له فى الحجاز والعراق، فأمر عامله على المدينة أن يجدّ فى طلب العلويين، وحجَّ، فقبض على جماعة منهم، وأوثقهم بالحديد، وحملهم معه إلى الحيرة، وهناك ألقى بهم فى سرداب تحت الأرض عند قنطرة الكوفة، لا يعرفون ليلًا ولا نهارًا حتى ماتوا جميعا.

ولا نصل إلى شهر رجب من سنة ١٤٥هـ حتى يشعل محمد بن عبدالله ثورته[٢٠] ويغلب على المدينة بعد أن فوض له يحيى بن زيد بن على زين العابدين الأمر من بعده[٢١].

ويفزع المنصُور، فيكتب له كتابًا يعرض عليه فيه الأمان له ولأهله، وأن يعطيه ألف ألف درهم، وينزل فى أى بلد شاء.. ويردّ عليه محمد بكتاب طويل يصور فيه اغتصابهم للخلافة من دون أصحابها الشرعيين[٢٢]. ولمّا لم تُفِد المفاوضة، أرسل المنصور إلى النفس الزكية جيشًا بقيادة ابن أخيه «عيسى بن موسى»، فالتقى به ومن معه قرب المدينة، واحتدم القتال، فانفض الناس من حول النفس الزكية، وأحيط به فلم يستسلم، وظل يقاتل قتالا مريرًا حتى قتل، واحْتُزَّت رأسه وحُملت إلى المنصور.

---

(١٧) انظر خطبة السفاح بعد بيعته فى الطبرى ٨٢/٦

(١٨) يرى الشيعة أن الرسول (ص) أسند الوصاية والخلافة إلى على بن أبى طالب، ويروون أحاديث تفيد أن الرسول عند غدير خُمّ، وبعد حجة الوداع قال: «مَنْ كنتُ مولاه فعلىّ مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعَادِ مَنْ عاداه، وانصر من نصره، واخذُلْ من خَذَله، وأدر الحق معه حيث دار» فأحقية الخلافة هذه من معتقدات الشيعة الأساسية، بل إنهم يعتبرون أن هذا الحديث وغيره بيعة صريحة من النبى عليه السلام لعلى بن أبى طالب (كرم الله وجهه). كما أنهم – وهذا أمر هام للغاية – يؤمنون بفكرة النور الإلهى الذى تسلسل حتى انقسم نصفين فى عبد الله وأبى طالب، فقال الله تعالى: (كُنْ ياهذا محمدًا، ويا هذا كن عليًا) انظر فى عقائد الشيعة الملل والنحل للشهرستانى (طبع لندن)

وانظر كتاب فى أدب مصر الفاطمية – للأستاذ المرحوم الدكتور محمد كامل حسين طبع دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠م. فصل عقائد الشيعة.

(١٩) ابن الطقطقى ص ١٠٣

(٢٠) انظر فى ثورة النفس الزكية الطبرى ١٨٣/٦، واليعقوبى ١١٠/٣، والمسعودى ٢٢١/٣

(٢١) راجع الملل والنحل للشهرستانى (طبع لندن) ص ١١٧.

(٢٢) انظر الكتابين المتبادلين بين المنصور والنفس الزكية فى الكامل للمبرد (طبعة رايت) ص ٧٨٦ والطبرى ١٩٥/٦.

وكان أخوه إبراهيم قد مضى يدعو له فى البصرة، وكثرت شيعته، فاستولى عليها، ثم أذعنت له فارس، فقوى وعظم شأنه - إلاّ أن المنصور وجه إليه عيسى بن موسى فالتقى به وبجموعه عند «بَاخَمْرَا» بالقرب من الكوفة، وسرعان ما دارت على إبراهيم الدوائر، فقُتل أيضا، ولاذت جموعه بالفرار، وأسر كثير من العلويين فألقى بهم فى غياهب السجون[٢٣].

وإذا كان المنصور قد قضى على هذه الثورة العنيفة للعلويين - فى أيامه - فإنه لم يقض على التشيع، بل لقد أخذ يزداد مع الأيام سرًّا وجهرًا، وأخذت فرقه تتكاثر، وأهمها حينئذ الزيدية والإمامية. أما الزيدية فكان مقرها البصرة حيث التحمت بالاعتزال، وأما الإمامية، فكان مقرها الكوفة، وبذلك ورثت ما كان فيها من تراث شيعي، وقد انقسمت بمرور الزمن إلى فرق كثيرة أهمها الاسماعيلية[٢٤] والاثناعشرية[٢٥].

والعجب العاجب - كما يقول الاستاذ الدكتور شوقي ضيف[٢٦] - أن نرى جمهور المسلمين فى هذا العصر لا يعودون بالخلافة إلى نظام الشورى، وأن تصبح حقًّا للأمة، فقد ضللتهم دعاية البيت الهاشمى وجعلتهم يقتنعون بأنها ميراث آل إليهم من الرسول، وانقسموا إزاء ذلك إلى معسكرين كبيرين، معسكر عباسى بيده مقاليد الحكم، ومعسكر علوى يحاول الوصول إلى الحكم. وبذلك انتكست الأمة صورتين من الانتكاس:

- صورة سياسية، إذ شغلت بحروب وفتن داخلية، مازالت تنخر فيها حتى توزعت دولا، ولو أنها لم تشغل بها وظلت لها وحدتها لفتحت أكثر العالم ولتغير وجه التاريخ.

- وصورة اجتماعية، إذ نظر الناس إلى الخليفة على أنه وريث شرعي، وأن حقه فى الخلافة مقدس، ولو بغى وطغى وظلم، وعليهم دائما طاعته مهما أشاع من الطغيان والفساد.

ومن غير شك تقع على الفقهاء تبعه ذلك، إذ كان من الواجب عليهم أن يوضحوا للناس نظرية الإسلام الحقيقية فى الخلافة، وأنه لا يجعلها وراثية فى بنى هاشم، بل يقيمها على الشورى ليتولاها الأجدر بها.

---

(٢٣) انظر فى حرب ابراهيم ومقتله الطبرى ٦/٢٥٠، واليعقوبى ٣/١١٢، والمسعودى ٣/١٢٢.

(٢٤) الاسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، وكان قد توفى فى حياة أبيه، فقالوا: إن الإمامة انتقلت منه إلى ابنه محمد لأنها تنتقل حتماً إلى الأبن الأكبر حتى لو مات فى عهد أبيه، كما مات اسماعيل، ويتلو محمدًا - عندهم - أربعة أئمة مستورين يعقبهم عبيد الله المهدى رأس الدولة الفاطمية. ومنهم خرجت شعبة القرامطة فى البحرين.

(٢٥) أما الاثنا عشرية فذهبت إلى أن الامام بعد جعفر الصادق هو ابنه موسى الكاظم الذى عاش بعده، وسموا بالاثنى عشرية لأن الامامة توالى عندهم فى اثنى عشر إمامًا هم: على، فالحسن، فالحسين، فابنه على زين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق المتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ هـ فموسى الكاظم المتوفى فى سجن الرشيد سنة ١٨٣ هـ فعلى الرضا المتوفى سنة ٢٠٣ هـ فمحمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ فعلى الهادى، فالحسن العسكرى، فمحمد المهدى المنتظر المتوفى حوالى سنة ٢٦٠هـ وقد ذهبوا إلى أنه غاب وسيعود فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا، ولما لم يكن له ولد فقد توقفت هذه الفرقة عنده [انظر عقائد الفاطميين - فى كتاب أدب مصر الاسلامية ص ٣ وما بعدها]

(٢٦) العصر العباسى الأول ص ٢٩.

وظل الشيعة يقاومون العباسيين سرًّا وعلانية، وظل اتباعهم يزدادون، والعباسيون يرصدونهم ويضيقون عليهم الخناق، ويجعلون عليهم الرقباء.. فمن حدثته نفسه منهم بالثورة أو الفتنة قُتل أورُزجَ به فى السجون، وكان بعض الشيعة ممن يستخدمون مبدأ «التقية» يصل إلى أرفع المناصب فى الدولة، فما هى إلّا أن تعرف حقيقته حتى يُنْكَب، فتصادر أملاكه ويلقى به فى غياهب السجون، أو يُقْتَل ويُصْلَب نكالا لأمثاله. وأول ما يلقانا من ذلك - بعد المنصور - إيقاع المهدى بوزيره يعقوب بن داود، حين علم بإطلاقه - وكان زيدىَّ الهوى - أحد العلويين من السجن، وردّ حريته إليه، فقد ألقى به فى السجن، وظل سجينا إلى أن شفع له يحيى البرمكى عند الرشيد فأمر باطلاقه[٢٧].

وفى عصر الهادى - قامت ثورة علوية ثانية، قادها الحسين بن على سليل الحسن بن على ابن أبى طالب، فى مكة سنة ١٦٩هـ فلقيه ومَنْ معه جيش عباسى بالقرب من مكة، فى مكان يقال له «فخ» وقاتل قتالاً عنيفا حتى قُتل، وقُتل معه كثيرون من أنصاره، وظلوا فى العراء حتى أكلتهم السباع والعقبان[٢٨].

ولقد كانت هذه الثورة أقل من سابقتها، ولكنها كانت من ناحية أخرى ذات قيمة كبيرة حاسمة، فإن فشلها أدى إلى تحول الشيعة عن القيام بالثورات فى مركز الدولة - إلى الأطراف. فهذه الثورة أدت إلى بداية عصر التفرق الشيعى، فعمل الشيعة منذ هذا التاريخ إلى اختيار بعض أطراف الدولة النائية لكى تكون مجالا لنشاطهم، وكان أول من نفّذ هذه الخطة «التكتيكية» - عقب فشل الثورة - إدريس بن عبدالله بن الحسين، أخو النفس الزكية وقد قصد بلاد المغرب، فغلب على فاس، وأسس بها «دولة الأدارسة»[٢٩].

وكذلك هاجر أخ لإدريس - وهو يحيى بن عبدالله بن الحسين إلى طنجة ستان الواقعة جنوبى بحر طبر ستان[٣٠]، ومن هناك ابتدأ دخول سكان هذه البلاد فى الإسلام، ونشر يحيى المذهب الزيدى، ومازال الرشيد يتعقبه حتى طلب منه الأمان، فأجابه إلى طلبه، وقدم عليه، فدفعه إلى جعفر بن يحيى البرمكى وأمره بحبسه، فحبسه، ورَقّ له فأطلقه دون إذن الرشيد[٣١] مما كان سببا فى نكبته ونكبة البرامكة جميعا، ثم وقع يحيى فى يد الرشيد ثانية فسجنه حتى مات.

واعتقل الرشيد موسى الكاظم بن جعفر الصادق - سابع الأئمة عند الشيعة الاثنى

---

(٢٧) الجهشيارى ص ١٥٩، الطبرى ٣٨٤/٦

(٢٨) اليعقوبى ١٣٧/٣، والطبرى ٤١٠/٦، والمسعودى ٢٤٨/٣، والنجوم الزاهر ٥٩/٢

(٢٩) اليعقوبى ١٣٧/٣، والطبرى ٤١٦/٦، المسعودى ٢٢٢/٣، والنجوم الزاهرة ٤٠/٢.

(٣٠) وهو المعروف قديما باسم بحر الخزر، ويعرف هذا البحر أيضا باسم بحر قزوين.

(٣١) اليعقوبى ١٤٠/٣، والجهشيارى ١٩٠، الطبرى ٤٥٠/٦، وابن الطقطقى ص ١٤٤.

عشرية، وظل فى السجن إلى وفاته(٣٢).

وفى عصر المأمون - يخرج عليه قبل انتقاله إلى بغداد إبراهيم بن موسى سليل الحسين بن على بن أبى طالب باليمن، وتعظم ثورته ولكن يقضى عليه(٣٣)، ويخرج أيضا محمد بن جعفر الصادق بمكة، وسرعان ما يؤخذ ثم يعفو عنه المأمون(٣٤)، ويخرج بالكوفة أبوالسرايا داعيا لمحمد بن ابراهيم سليل الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بابن طباطبا، غير أن المأمون يقضى على ثورته قضاء مبرما(٣٥).

ولقد كان المأمون حر الفكر، واسع الأفق، ويبدو أنه شعر بالأسى والحزن لما أصاب أبناء عمه العلويين فى دولتهم، واستغل ذلك فيه وزيره الفضل بن سهل - وكان شيعيا - فزيّن له وهو بمرو أن يعهد بالخلافة من بعده إلى الإمام الثامن «على الرضا بن موسى الكاظم»، الذى كان مثالاً للتقوى والورع، وكان المأمون يبجّله ويعظمه، فاستصوب المأمون رأى وزيره، واسند إليه ولاية العهد من بعده، وكتب بذلك إلى الآفاق، وأمر بخلع السواد شعار العباسيين ولُبْس الخضرة شعار العلويين(٣٦)، بيد أن هذا الأمر أثار عليه العباسيين ببغداد، وألهب نفوسهم، فوجدوا عليه موجدة شديدة أفقدتهم صوابهم فسارعوا إلى خلعه ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدى، وأحسّ أن الأمر يوشك أن يخرج من يده، فتجهّز للمسير إلى بغداد، وفى طريقه بطوس توفّى على الرضا، فلم يتخذ وليًا لعهده من العلويين، بل عاد إلى بنى العباس، واغتيل حينئذ الفضل بن سهل.

وما إن وصل المأمون إلى بغداد حتى اختفى عمه ابراهيم، وظل مستخفيًا مدة حتى عفا عنه، وعاد ثانية إلى لبس السواد، وظل يعطف على أبناء عمه العلويين، على الرغم من خروجهم عليه مرارًا(٣٧).

وربما كانت أهم ثورة للشيعة بعد المأمون، ثورة محمد بن القاسم بن على بن عمر بن الحسين لعهد المعتصم سنة ٢١٩ هـ. فقد خرج بالطالقان(٣٨) يدعو إلى الرضا من آل محمد، فاجتمع عليه خلق كثير، إلاّ أن عبدالله بن طاهر استطاع أن يهزمه ويأسره، ثم يرسله إلى المعتصم ولكنه يستطيع الهرب، ويظل مختفيا، فلم يوقف له على أثر ولا على خبر(٣٩).

(٣٢) اليعقوبى ١٤٥/٣، والمسعودى ٢٦٥/٣، وابن الطقطقى ١٤٥، والنجوم الزاهرة ٧٢/٢.

(٣٣) الطبرى ١٢٣/٧.

(٣٤) الطبرى ١٢٥/٧، وابن الطقطقى ص ١٦٥.

(٣٥) اليعقوبى ١٧٥/٣، والطبرى ١١٧/٧، والمسعودى ٣٤٨/٣، والنجوم الزاهرة ١٦٤/٢.

(٣٦) انظر فى بيعة المأمون لعلى الرضا كتاب اليعقوبى ١٧٦/٣، والطبرى ١٣٩/٧، والمسعودى ٣٤٩/٣ وابن الطقطقى ص ١٦٢.

(٣٧) انظر الطبرى ١٦٨/٧، والنجوم الزاهرة ١٨٣/٢.

(٣٨) الطالقان: إقليم من أقاليم طخارستان، وهو يدخل الآن ضمن جمهورية أزبكستان السوفييتية.

(٣٩) اليعقوبى ١٩٨/٣، والطبرى ٢٢٣/٧، والمسعودى ٨/٤، والنجوم الزاهرة ٢٣٠/٢.

ثم يأتى الواثق بالله وبعده المتوكل على الله.. وكان أشد كرها من سابقيه لآل علىّ، وكان إلى جانب ذلك رجلا فظًا غليظ القلب، فكان يتتبع الشيعة، ويأخذهم بقسوة، ويذكرون أنه كان يلتذ حين يجلس مع ندمائه فيتندرون بآل علىّ.. وظل يطلق يده فى اضطهاد الشيعة حتى أنه كان يحرم عليهم زيارة قبر الحسين، ثم أقدم على هدم القبر عام ٢٣٦ هـ، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأمر أن يكون الهدم تاما، وأن يبذر على الانقاض البذور، وأن تروى، وأن يتعهد القائمون بالتنفيذ هذا النبات حتى ينمو كى تضيع معالمه..

وهكذا استأثر التشيع فى هذا العصر بالجانب الأكبر من معارضة العباسيين.

وخلاصة ما ذكرناه عن الشيعة العلويين، أن كل الحركات العلوية كانت زيدية، وأن سياسة العباسيين الأولين كانت مفرطة فى القسوة، وأن العلويين اتجهوا عندما تفرقوا إلى الغرب، ونزلوا بلاد المغرب، كما اتجهوا إلى الشمال.

ونلاحظ أن هذا الاتجاه إلى الغرب غلب عليه العنصر العربى فكان للتشيع بسبب هذا صبغة عربية قومية، هذه الصبغة هى التى مهدت الطريق أمام الفاطميين فيما بعد.

أما الهجرة إلى الشمال فإنها هى التى مهدت الطريق أمام الديلم - وهم أعاجم - فكانت المقدمة التى أدت إلى قيام العصر البويهى.

نظم الحكم..

حين انتصرت الثورة العباسية، بسواعد الخراسانيين وأسلحتهم، كان على العباسيين أن يحفظوا لهم الجميل، ويعترفوا لهم بالفضل الجزيل، فما هى إلا فترة وجيزة، حتى رأيناهم يصطنعون الفُرْس فى كل مراكز الدولة الحساسة، وفى دواوين الخلافة المختلفة..

فاتخذوا منهم وزراء وقوادًا وولاة وحكاما وكتّابا وحجّاجا، ورأيناهم وقد اتخذوا من نظمهم الساسانية نظاما عاما للدولة، وطبقوا هذه النظم فى معظم شئون الحكم بل لقد تشبّه الخلفاء العباسيون بملوك الفرس فى كل شىء، فأصبح الخليفة العباسى وكأنه ملك ساسانىّ، يحكم حكما مطلقا، وهو حُكم ينتقل بالوراثة، ويطبعه الدين تماما كما كان يطبع الحكم الساسانى، إذ كان الساسانيون يعدون أنفسهم رؤساء للدين وحُماة له وحُرّاسا. ولما كان العباسيون من بيت النبوة، فقد كانوا يعدون أنفسهم ورثة الخلافة الشرعيين، ووجهوا علماء الفقه والكلام لإصدار الفتاوى التى تؤيد زعمهم، وتكون لهم سندًا فيما يزعمون.

ولا شك أن هذا زعم باطل[٤٠]، لا يقرّه الإسلام، لأن الولاية العامة على المسلمين لا تُورَثْ، وإلاّ ورثها العباس عم الرسول بعده، ولم يرثها أبوبكر الصديق، وحتى الأموال

(٤٠) العصر العباسى الأول ص ١٩.

والأعيان التى تركها الرسول لا تورث، لما صح فى الحديث النبوى من قوله عليه ﷺ : «إنا معشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركناه فهو صدقة» وإذا كان هذا الإرث ممنوعا فى الأعيان والأموال، فمنعه فى ولاية الأمة ألزم وأوجب، إذ ينبغى أن يتولاها الكفء الصالح على نحو ما تولاها أبوبكر وعمر.

ومهما يكن من أمر فقد أقام العباسيون خلافتهم على حق الإرث الشرعى، فهم من عصب البيت النبوى – لذلك فهم أحق الناس بإرث الرسول، ومضوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من المهابة والتقديس، كان لها – بلا شك – أسوأ الأثر فى خنوع الناس وخضوعهم للظلم والفساد، وعجبا نرى فقهاء المسلمين المشرعين، الذى طالما عارضوا الأمويين، وعدُّوهم دنيويين ظالمين، نرى هؤلاء الفقهاء ينصاعون إنصياعا تامًا للعباسيين، ويعدّونهم رؤساء شرعيين للأمة من الناحيتين الدينية والدنيوية.

على شاكلة الفرس الساسانيين، ظل العباسيون يلقون فى وعى الناس أنهم أصحاب حق إلهى فى الحكم، فهم «سلطان الله فى أرضه»[٤١]. وتراهم وقد أحاطوا أنفسهم على غرارهم بنظام تشريفات وبلاط، واتخذوا لأنفسهم العديد من الحجاب، واختفوا عن أعين الناس.. لم يعد العرب يدخلون على الخلفاء كما كان الشأن فى عصر بنى أمية، بل لابد لهم قبل الدخول عليهم من استئذان هؤلاء الحجاب.

واتسع الخلفاء العباسيون فى محاكاة الملوك الساسانيين، فأنشأوا فى كل ولاية ديوانا للخراج، يقوم عليه موظف كبير ينفق منه على الولاية، ويرسل ما تبقى من الأموال إلى بغداد، حيث كان بها لكل ولاية ديوان خاص، ويسمى مجموع هذه الدواوين باسم ديوان الزمام أو بيت المال، كما كان لدار الخلافة ديوان خاص يقوم على نفقاتها. ومن أهم دواوين الخلافة ديوان الرسائل، الذى لعب دورًا خطيرًا فى نهضة النثر العربى، وكانت تصدر عنه رسائل الخلفاء، وكان بجواره ديوان الخاتم، الذى تُختَم فيه تلك الرسائل بعد مراجعتها، وديوان التوقيع، وهو خاص بالنظر فى المظالم ورقاع أصحاب الشكوى، وكانوا يسمونها باسم القُصَص، وكان من عادة ملوك الفرس ووزرائهم أن يوقعوا عليها بعبارات موجزة بليغة، فجاراهم خلفاء بنى العباس ووزراؤهم فى هذا الصنيع[٤٢].

وليس هذا كل ما أخذه العباسيون عن ملوك بنى ساسان من النظم الإدارية والسياسية، فقد أخذوا عنهم أيضا نظام الوزارة، وكلمة «وزير» عربية الأصل. فقد وردت فى القرآن الكريم، يقول جَلَّ شأنه على لسان موسى:

---

(٤١) الطبرى ٣٣١/٦.

(٤٢) انظر ما كتبه الدكتور شوقى ضيف عن الرسائل الديوانية والتوقيعات فى كتابه العصر العباسى الأول ص ٤٦٥. وانظر أيضا فصل الحياة الأدبية من هذا البحث. وانظر الباب الثالث «الكاتب».

﴿واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي﴾ ومعناها فى الآية الكريمة المؤازر والمساعد، غير أنها أخذت تُطْلَق عند فاتحة العصر العباسى على المستشار الأول للخليفة فى إدارة شئون دولته[٤٣]. وهى وظيفة كانت معروفة فى الدولة الساسانية حيث كان الملوك يقيمون - نظرًا لاحتجابهم عن الرعية - وسطاء يصرفون أمور الدولة، ويرسمون سياستها، ويعيِّنون موظفيها، وقد جاراهم العباسيون فى هذا النظام، فاتخذوه لأول مرة فى تاريخ الخلافة العربية، وأطلقوا على صاحبه اسم الوزير[٤٤].

لقد كان معظم الوزراء فى العهد العباسى من الفرس - وهذا أمر طبيعى - بعد أن أطلق الخلفاء أنفسهم أيدى مواليهم الفرس، فبسطوها على كل شىء، وظلوا يستأثرون لأنفسهم بشئون الخلافة، ويرقون إلى أعلى المناصب، وقد أحكموا للعباسيين هذا النظام وصاغوه صياغة ساسانية، وأول من اتخذه العباسيون وزيرا منهم «أبوسلمة الخلّال» الذى كان يلقب بوزير آل محمد، ثم تتابع على الوزارة أسرة البرامكة[٤٥] التى ظلت تلى أمور الدولة سبعة عشر عامًا، كانوا هم المتصرفين أثناءها فى كل شئونها، وأتاح لهم ذلك أن يصبغوها بصبغة فارسية خالصة، حتى إذا كانت سنة ١٨٧ هـ، نكبهم الرشيد نكبتهم المشهورة[٤٦].

وفى عصر المأمون، نجد أسرة بنى سهل الفارسية تتقلد منصب الوزارة، وتمكِّن بدورها للتقاليد والنظم الفارسية فى الحكم، وكان أول من وليها منهم الفضل بن سهل الملقب بذى الرياستين (رياسة السيف والقلم) الذى مدحه ابراهيم بن العباس مدائح جمّة، ورثاه بمراثى تقطر حسرةً وألما. وقد لزم الفضل بن سهل المأمون منذ حياة أبيه الرشيد، ودبر أموره حتى أفضت الخلافة إليه فاستوزره[٤٧].

---

(٤٣) العصر العباسى الأول ص ٢٢.

(٤٤) يقول ابن الطقطقى: (الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١٠ وما بعدها): «الوزير وسيط بين الملك ورعيته، فيجب أن يكون فى طباعه شطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة والأمانة... والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباسى، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجى والآراء الصائبة، فكل منهم يجرى مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسُمى الوزير وزيرًا، وكان قبل ذلك يسمَّى كاتبا أو مشيرًا».

(٤٥) انظر ما ذكره عنهم الجهشيارى ص ١٧٧، والمسعودى ٢٥٧/٣.

(٤٦) اختلف المؤرخون وأصحاب السير فى هذه النكبة ، فردَّها بعضهم إلى أسباب شخصية، وردَّها ثانون إلى أنهم جردوا الرشيد من كل سلطان وكل أمر ونهى، وردَّها ثالثون إلى أن الرشيد وقف على ما كانوا يبطنونه من الزندقة، ويظهر أن سببها الحقيقى يرجع إلى اطلاق جعفر البرمكى لعلوى ثائر من محبسه هو يحيى ابن عبدالله - كما ذكرنا من قبل - كان قد استأمنه الرشيد عليه، فلم يوف الأمانة.. [انظر فى نكبة البرامكة وأسبابها: الطبرى ٤٨٤/٦ وما بعدها، والمسعودى ٢٨٤/٣ والجهشيارى ص ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢٥٤، وابن الطقطقى ص ١٥٦].

(٤٧) يتحدث الرواة عن عظمة هذا الوزير فيقولون: «إنه كان إذا دخل على المأمون وهو لايزال برور يجلس على كرسى مجنح، ويحمل فيه، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه، فإذا وقعت وُضع الكرسى ونزل عنه فمشى، وحُمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون، ثم يسلم، ويعود فيقعد على الكرسى، وإنما ذهب ذو الرياستين فى ذلك إلى مذهب

وكان من تمام العظمة وأبهة المُلك أن يُجعل لكل طبقة ممن فى خدمة الخلفاء زى خاص يتميزون به ويعرفون – تماما كما كان يفعل الأكاسرة الفرس[٤٨]. وفى ذلك يقول الجاحظ: «لكل قوم زىّ، فللقضاة زىٌّ، ولأصحاب القضاة زىّ، وللشرَط زىّ، وللكتّاب زىّ، وللكتّاب الجند زىّ... وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب، فمنهم مَنْ يلبس المبطَّنة، ومنهم من يلبس الدُّرَّاعة[٤٩]، ومنهم من يلبس القباء[٥٠]. ومنهم من يلبس البازيكند[٥١]، ويعلق الخنجر، ويأخذ الجُرْز[٥٢]، ويتخذ الجُمّة[٥٣]». وكان الفقهاء يلبسون المبطّنة والطيلسان[٥٤] والقلانس[٥٥]. فتقاليد الساسانيين حوكيت حتى فى أزياء رجال الحاشية والموظفين وطبقاتهم، وكان ما دخل منها فى شئون الحكم أقوى قوة، مما دفع كثيرين من الفرس إلى ترجمة الكتب التى تصورها عن لغتهم، وعملُ ابن المقفع فى هذا الميدان ذائع مستفيض ورسومه من مثل كتاب «آيين نانه» ومعنى آيين النظم والتقاليد، ولم يقف عمله فى هذا الصدد عند الترجمة. فقد نقل فى رسائله القصيرة والطويلة كثيرا من وصايا الفرس فى السياسة والحكم على نحو ما يلقانا فى رسائله المعروفة باسم «الأدب الصغير» و «الأدب الكبير» و «رسالة الصحابة» وهو يريد بهم صحابة السلطان وحاشيته[٥٦]. ثم تتابع المترجمون على نقل كثير من الرسائل والكتب التى تضم تقاليد الفرس فى الحكم والسياسة، حقا فقدت معظم هذه الكتب، ولكن بقيت منها مرويات وفيرة، أوردها الطبرى فى حديثه عن الفرس فى أوائل تاريخه الكبير، كما أورد بعضا منها الجهشيارى فى مقدمة كتابه الوزراء والكتاب، كما نجد بعضا آخر فى عيون الأخبار لابن قتيبة.

ولعلنا لا نغلو بعد ذلك كله إذا قلنا إن النظم السياسية والإدارية فى الدولة العباسية طُبعت بطوابع فارسية قوية، تحولت فى أثنائها الخلافة ملكا كسرويًّا، يقوم على الاستبداد والقهر والبطش الذى لا يعرف رفقا ولا لينا[٥٧].

الأكاسرة، فإن وزيرا من وزرائها كان يُحمَل فى مثل ذلك الكرسى ويقعد بين أيديها عليه» [انظر الوزراء والكتاب للجهشيارىّ ص ٣١٦].

(٤٨) الجهشيارى ص ٣.

(٤٩) جُبّة فارسية.

(٥٠) ثوب فارسى قصير.

(٥١) البازيكند كساء يلقى على الكتف.

(٥٢) الجُرْز آلة من الحديد يضرب بها.

(٥٣) البيان والتبيين للجاحظ ١١٤/٣.

(٥٤) الأغانى (دار الكتب ٣٦٠/٥ – والطيلسان ثوب فارسى).

(٥٥) الأغانى ٢٩١/٦ – والقلانس جمع قلنسوة وهى غطاء الرأس.

(٥٦) العصر العباسى للدكتور شوقى ضيف ص ٢٥.

(٥٧) دكتور شوقى ضيف ص ٢٥.

الخلفاء العباسيون

كان خلفاء العصر العباسى الأول[٥٨] من الشخصيات القوية، يتولون زمام الأمور بأيديهم ويسيطرون على قدر كبير من السلطان، ولهذا تميزت شخصياتهم بما صدر عنهم من أعمال، حقا لقد شارك الوزراء - فى الإدارة، وفى السياسة، وبرزت أسماء قواد كثيرين، وبرزت أسماء كثير من السيدات (زبيدة والخيزران) ولكن ذلك كله لم يكن ليطغى على شخصيات الخلفاء مثل المنصور والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم..

آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بعد أخيه السفاح، والمنصور - كما تقول المصادر التاريخية - شخصية حازمة، وهو فى الواقع المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، بمعنى أنه هو الذى أرسى دعائمها، فقد استطاع بحزمه وحسن اقتناصه للفرص أن يتخلص من أبي مسلم دون أن يحدث من وراء ذلك أى اضطراب - لا فى العراق حيث يوجد الجند الخراسانى، ولا فى خراسان نفسها. وهو الذى استطاع بحنكته ودهائه، أن يضع يده على خراسان موطن الثورة والشيعة، وأن ينقلها من قبضة زعماء الثورة إلى قبضة الخلافة فأصبح حاكما حقيقيا للدولة الإسلامية. والمنصور أيضا هو الذى وطَّد أمور الدولة لمن بعده، بحيث سارت الدولة على أساس مستقر، وقد وضح هذا الأساس وضوحا أكبر عندما افتتح - كما رأينا من قبل - سياسة عنيفة مع العلويين، وأخمد ثورة علوية قامت فى عهده وهى ثورة محمد الملقب بالنفس الزكية[٥٩].

وللمنصور فضل كبير فى تدعيم الأمن على حدود الدولة، فقد أقام فى هذه الحدود عددًا كبيرا من الحصون التى كانت قد تهدمت بفعل أعداء الدولة أيام الفتن والحروب.

ونستطيع أن نرى مدى حزم المنصور وصرامته فى جمعه لزمام القيادة فى يديه، وفى بناء مدينة بغداد[٦٠]، فقد جعلها مدينة عبّاسية صرفة، واقترن اسمه بها حتى كان يقال مدينة المنصور، وجمع فيها دواوين الدولة وأنصارها وجيوشها، ويكفى المنصور عبقرية أنه هو الذى اختار موقع هذه المدينة، ووضع الأساس لما بلغته بغداد من ازدهارها فى كل نواحى الحياة العامة.

ثم يأتى بعد المنصور سبعة من خلفاء العصر العباسى الأول هم:

---

(٥٨) أنظر فى هؤلاء الخلفاء ما كتبه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى كتابه العصر العباسى الأول ص ٣٣ وما بعدها وانظر أيضا ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين الجزء الأول. وتاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى الجزء الثانى.

(٥٩) انظر فى ثورة النفس الزكية الطبرى ١٨٣/٦ والمسعودى ٢٢١/٣.

(٦٠) راجع كتاب بغداد قديما وحديثا لمصطفى جواد وأحمد سوسة - طبع مطبعة المجمع العلمى - ص ١٧ وما بعدها. وانظر فى تخطيط بغداد الجزء الأول من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى، ومعجم البلدان لياقوت، ومختصر البلدان لليعقوبى، وكتاب بغداد فى عهد الخلافة العباسية لجى لسترانج ترجمة بشير يوسف (طبع المطبعة العربية ببغداد) وبغداد مدينة السلام لطه الراوى (طبع دار المعارف).

الخليفة المهدى بن المنصور، ثم ابناه الهادى والرشيد، ثم أبناء الرشيد الثلاثة: الأمين والمأمون والمعتصم.. ثم يأتى بعد ذلك الواثق بن المعتصم. وهو آخر خلفاء العصر الذهبى للخلافة العباسية..

ويختلف هؤلاء السبعة فى جملتهم عن الخليفتين الأولين أبى العباس السفاح والمنصور، فقد ورثوا دولة قد استقرت على نمط مدعوم، فقد أصبحت حياتها السياسية ميسرة، ولهذا نشأ فى عهدهم ما لم يكن معروفا من قبل، فظهرت حياة البلاط العباسى، وأحاطوا أنفسهم بأبهة الملك وعظمته، وركنوا أنفسهم إلى ترف لا حدّ له حتى صار أسطورة من الأساطير لاتزال الأجيال تحكيها إلى اليوم.

* الرشيد

وقد اختارت الأساطير منهم شخصية الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ)، فهى الشخصية التى طال حكمها، ثم إن ثلاثة من بنيه تعاقبوا على الخلافة، فكان الرشيد بنفسه وبأولاده أبرز سمة من سمات هذا العصر.

قام الرشيد بدور عظيم فى حياة الدولة، فكان درعها المتين، يحميها بسياسته وبنشاطه، وتصوره لنا المصادر التاريخية خليفة نشيطا، دائب الحركة متنقلا بين أرجاء دولته، غازيا مرة، وحاجًا مرة أخرى، وقائدًا لجيوشه لقمع الفتن والاضطرابات مرة ثالثة[٦١]. وتصوره الروايات التاريخية من ناحية أخرى مقترنا باسم «دينى» امبراطور بيزنطة، وكذلك «تُوفِلِسْ»، واقترن اسمه كذلك باسم «شارلمان»، ولكن الرشيد من غير شك، كان أعظم هؤلاء الملوك على الاطلاق، وكان - فى عصره - يحكم أعظم دولة كانت قائمة على الأرض، وهو إذا قورن بشارلمان - فإن شخصيته تفوق بكثير شخصية شارلمان، الذى كان حاكما على قبائل همجية جرمانية، لا تعرف معنى للاستقرار ولا للثقافة ولا لبناء المدن، ولا تعرف صناعة تتقنها ولا إدارة منظمة تقوم على شئون الدولة، ولم يكن شارلمان إلا أُميا لا يكاد يكتب اسمه. أما الرشيد فكان عنوان الرجل المهذب المثقف، الذى يمثل الثقافة فى أرقى مستوياتها فى تلك العصور.

وعلى الرغم من عهد الرشيد الزاهر، فإن أيامه لم تخل من الفتن والاضطرابات، والحروب

---

(٦١) يقول الطبرى (٦/٥٣٠): وكان إذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة، وكان يتصدق من صُلْب ماله فى كل يوم بألف درهم بعد زكاته» ويقول ابن الطقطقى (ص ١٤٣): «كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم وكان يحج سنة ويغزو سنة، كذلك مدة خلافته إلا سنين قليلة، وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة وحج ماشيًا، وكان إذا حجّ حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ولم يُرَ خليفة اسمح منه بالمال، وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه».

والثورات، فقد قامت فى عهده ثورات عدة[٦٢] أشعل بعضها العلويون وغير العلويين، كان آخرها ثورة رافع بن الليث بسمرقند سنة ١٩٠ هـ فرأى الرشيد أن يسير إليه بنفسه فى سنة ١٩٢، ولكنه توفى فى طريقه إليه بطوس سنة ١٩٣ هـ وتمت الغلبة بعد ذلك على رافع ودحرت حركته.

وكان الرشيد قد عقد ولاية العهد من بعده لابنه محمد سنة ١٧٣ هـ ولقبه بالأمين، وضم إليه الشام ومصر، ثم عقد لابنه عبدالله ولاية العهد من بعد أخيه سنة ١٨٣ هـ ولقبه بالمأمون، وضم إليه الولايات الشرقية، وتأكيدا لهذا العقد بين الأخوين جعلهما يوقعان عليه ويقسمان على الوفاء به، واحتراما لهذا العقد وتقديسًا لما جاء فيه أعلم به الأمصار، وعلّقه فى الكعبة سنة ١٨٦ هـ[٦٣]، وفى هذا العقد أيضا بايع الرشيد بولاية العهد لابنه القاسم - وكان لايزال صبيا - بعد أخويه ولقّبه المؤتمن، وضم إليه الجزيرة والثغور.

* كان هذا الصنيع من الرشيد - نذير شؤم، وبداية صراع مرير بين الأشقاء، فلم يكد ينتقل الرشيد إلى جوار ربه، حتى دبّ الخلاف بين الأمين والمأمون، إذ أخذت حاشية الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) تُسوّل له أن ينقض العهد الموثّق فى البيت الحرام، وشاءت الظروف أن يقع الأخوان فريسة للصراع الحزبى والجنسى.. العربى والفارسى، وكان الحزب العربى يغلب على الأمين، بينما كان الحزب الفارسى يغلب على المأمون.. فقد كانت أم الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور وهى هاشمية عربية، بينما كانت أم المأمون «مَرَاجل» وهى أَمَةٌ فارسية...

ومازال الحزب العربى - فيما يقال - يغوى الأمين بخلع أخيه، ونقض العهد، وتولية ابنه موسى ولاية العهد من بعده، حتى استجاب له، وتردّدت المراسلات بين الأخوين، وأوشك المأمون أن يجيب الأمين إلى ما يريد من خلع نفسه، ولكن الفضل بن سهل وزير المأمون ردّه عن ذلك، ونهض بأمره واستمال له الناس.. فقامت بينهما حروب طاحنة[٦٤].. انتهت بمقتل

---

(٦٢) فى عهد الرشيد هاجت العصبية بالشام بين اليمنية والمضرية، وأطفأ نائرتها جعفر بن يحيى البرمكى [انظر الجهشيارى ص ٢٠٨، والطبرى ٤٥٧/٦، ٤٦٦]

وثار أهل الحَوْف بمصر وقضى على ثورتهم هَرْثمة بن أعين، كما قضى على ثورة أخرى بأفريقية. [انظر فى ذلك الطبرى ٤٦١/٦].

وثار الخرّمية بجرجان وفض جموعهم على بن عيسى بن ماهان [أنظر الطبرى ٤٦٦/٦]

وثار الخزر فى القوقاز وأرمينية، وقلم أظفارهم خازم بن خزيمة ويزيد بن مزيد الشيبانى [انظر الطبرى ٤٦٦/٦]. وثارت بلاد الزاب جنوبى الجزائر، وأعاد الأمن إلى نصابه ابراهيم بن الأغلب فكافأه الرشيد بكتابة عهد له على افريقية نظير خراج يؤديه سنويا، فأنشأ هناك دولة الأغالبة، واتخذ حاضرة له «العباسة» التى بناها جنوبى القيروان.

(٦٣) المسعودى ٢٧٠/٣، ٣٨٠، النجوم الزاهرة ١٩٢، الطبرى ٤٧٥/٦.

(٦٤) انظر فى الخلاف بين الأمين والمأمون الطبرى ٢/٧، والمسعودى٣٠٢/٣، ٣٠٨ والجهشيارى ص ٢٨٩، وابن الطقطقى ص ١٥٩. ومن المصادر الحديثة العصر العباسى ص ٣٨ وما بعدها. وتاريخ الإسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن.

الأمين، واستقرار الأمر فى يد المأمون سنة ١٩٨ هـ.

ومن المهم أن نعرف أن الأمين - خليفة مظلوم، ضاعت شخصيته الحقيقية لما لحقته من هزيمة، ولما تردد فى الأمور، ولما خضع للوشايات والدسائس، وهو على أى حال بطل عصبية الأبناء - كما يقول المؤرخون المحدثون - وهى العصبية الفارسية المستعربة المقيمة فى العراق من أبناء الجيش الخراسانى، الذى قدم من خراسان، واستقر فى العراق، وهو من ناحية أخرى بطل فكرة التوفيق بين عصبية الأبناء هذه وبين العصبية العربية الممثلة فى الشام ومصر، وهو خليفة صورته المصادر - رجلا مترفا، غير حازم، يطالعه النحس وسوء الطالع فى كل خطوة يخطوها.

* تولى المأمون الخلافة (١٩٨ - ٢١٨ هـ) - وشخصيته كما تصورها المصادر شخصية خليفة ذكى محنك، صقلته التجارب، يستطيع أن يتصرف وفقا للمواقف مهما اضطربت وتناقضت، وله المقدرة على التنقل من موقف إلى موقف بسلاسة، وسهولة وسعة أفق دون إحداث اضطرابات، فهو حينا يعتمد على الخراسانية وحدهم، وبعد ذلك نجده يعتمد على الشيعة، ويتطرف فى هذا حتى يختار «علىَّ الرضا» وهو علوىّ[٦٥] وليًا للعهد، ليكسب بذلك ثقتهم، وحتى يتناسى هؤلاء خصوماتهم... ثم نجده بعد ذلك يميل إلى أهل السنة.. ثم يناصر فرقة المعتزلة، ونجده بعد أن حاز ثقة المشرق الاسلامى، يتحول إلى النصف الغربى ويكسب مودة المغرب.

بهذه الملكة - ملكة التوفيق - وهذه السياسة استطاع المأمون أن يتغلب على ما صادفه من صعاب.

وعصر المأمون من أزهى عصور الدولة العباسية، فقد كان حرّ الفكر شغوفا بالمعرفة، ولم يكد يستقر فى بغداد حتى جعل من مجلسه ندوة علمية كبيرة يتحاور فيها ويتناظر الفقهاء والمتكلمون والعلماء من كل صنف، وجعله اتصاله بعلماء الكلام - وفى مقدمتهم ثمامة بن أشرس النمرى، وبشر بن غياث المريسى - يعنى بالفلسفة وعلوم الأوائل حتى مهر فيهما، وقد استطاعا أن يجرّاه إلى الاعتزال - وإلى القول بأن القرآن مخلوق، وأن من لا يقول بذلك يدخل فى عداد المشبِّهة[٦٦]. وماتوافى سنة ٢١٢هـ حتى يجعل المأمون فى فكرة خلق القرآن عقيدة رسمية للدولة، ويكتب إلى الآفاق بامتحان[٦٧] الفقهاء فيها، فمن لم يقر بأنه مخلوق

(٦٥) فى سنة ٢٠١ هـ عزل المأمون أخاه القاسم من ولاية العهد وولى عليها مكانه «على الرضا»، وتثور عليه أسرته ببغداد، وتبايع عمه ابراهيم بن المهدى فيعزم على المسير إلى بغداد ويدخلها فى ربيع الأول سنة ٢٠٤ هـ [انظر العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف ص ٣٨].

(٦٦) العصر العباسى الأول ص ٣٩.

(٦٧) انظر فى هذه المحنة الطبرى ١٩٥/٧ ومابعدها، واليعقوبى ١٩٤/٣، وكتاب بغداد لابن طيفور (طبع القاهرة) ص ١٨١، والنجوم الزاهرة ٢١٢/٢، ٢١٨.

ضُرب وحبس وأشخص إلى بغداد.

وعهد المأمون لم يخل من ثورات، فكان يعهد فى إخمادها إلى قواده الأكفاء من مثل طاهر بن الحسين الذى ولاه خراسان فى سنة ٢٠٥، فقضى على رءوس الفتنة بها، ولما مات جعل المأمون ولاية خراسان لابنه طلحة ثم أخيه عبدالله، فأسس هناك «الدولة الطاهرية» التى عاشت نحو قرن من الزمان.

والمأمون إلى جانب هذا كله - رجل حرب، يقود الجيوش ويغزو فى سبيل الله، فهو أحق الخلفاء بأن يلقب بالغازى بمعنى المجاهد، حتى لقد مات وهو على رأس جيشه فى جبهة آسيا الصغرى، فى ثغور الشام حيث نجحت سياسته فى حماية حدود الجبهة التركية.

* وجاء المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) وهو ثالث ثلاثة أخوة أولاد الرشيد، وسمته الشخصية أنه فارس مقدام، يحب الفروسية، ولهذا مال إلى الترك، وخصَّهم بتقديره ورعايته، وبنى لهم عاصمة جديدة هى «سامراء»(٦٨) مفسحا لهم أكبر مجال عرفوه منذ أن اتصلوا بالدولة الاسلامية. والسمة الثانية البارزة فى شخصية المعتصم هى وفاؤه لأخيه المأمون، حتى ليمكن القول أن حكمه كان امتدادًا لحكم المأمون، فنراه يسير على نهجه فى كل الأمور السياسية والدينية، وتظل فى عهده محنة القول بخلق القرآن.

وفى عهد المعتصم قامت ثورات عدة أهمها ثورة الزُّط بالبصرة التى قضى عليها عجيف بن عنبسة(٦٩). وفى سنة ٢٢٠هـ يسير جيشًا بقيادة الأفشين، لمحاربة بَابك، ويمده بكثير من القواد أمثال أبى دُلَف العِجْلى، ومحمد بن يوسف الثغرى، وسرعان ما تتوالى انتصارات هذا الجيش ويدحر بَابِك وشيعته ويستسلم صاغرًا(٧٠) ولم يلبث أن أدخل إلى بغداد مقيدًا مغللا، فتعالى التكبير، ثم قُتل وعلقت رأسه، وأحرق جسده عبرة ونكالاً.

* توفى المعتصم سنة ٢٢٧ هـ فخلفه ابنه الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ)، وقد سار على سُنّة سابقيه، فأعاد محنة القول بخلق القرآن جذعة، إذ نراه يكتب إلى الولايات المختلفة بامتحان الفقهاء، والعنف بمن لا يُقرّون بأنه مخلوق، ولم تحدث فى سنواته الخمس فتوق كثيرة، سوى ما كان من شغب بعض الأعراب فى الحجاز، وقد قضى على شغبهم بَغَا الكبير(٧١). وشغب بعض الأكراد، وسحق شغبهم وصيف التركى(٧٢)، وسرعان ما توفى الواثق سنة ٢٣٢هـ

(٦٨) اختلف الباحثون فى اسمها، كما اختلفوا فى بغداد فقيل هو اسم فارسى، وقيل بل هو آرامى، انظر: بلدان الخلافة الشرقية، تأليف لسترانج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص ٧٦، وانظر أيضا مادة سامراء من دائرة المعارف الاسلامية، وانظر فى تخطيط سامراء: المسعودى ٩/٤ ومعجم البلدان لياقوت وكتاب البلدان لليعقوبى.

(٦٩) الطبرى ٢٢٥/٧، اليعقوبى ١٩٨/٣، والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٢

(٧٠) الطبرى ٢٢٦/٧، اليعقوبى ٢٠١/٣، المسعودى ١٤/٤، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٢

(٧١) الطبرى ٣٢٢/٧ ومابعدها، اليعقوبى ٢٠٥/٣، والنجوم الزاهرة ٢٥٧/٢

(٧٢) الطبرى ٣٣١/٧

وتقول المصادر التاريخية – إن الواثق كان أقل خلفاء العصر العباسى الأول من حيث وضوح الشخصية، وإن كان قد استطاع أن يحتفظ للخلافة ببعض هيبتها وسيادتها على الجند الاتراك، إلاّ أن مكانة الأتراك كانت قد تدعمت، وقويت شوكتهم، وأصبح لهم نفوذ لا يستهان به بحيث أصبحوا هم القواد وهم الوزراء وهم الولاة.. والحجاب. فاختاروا من بعده الخليفة المتوكل، وتحكموا فيه وفى سياسته، فلما حاول التمرد عليهم والخروج عن طاعتهم تآمروا عليه ثم قتلوه.. ،

* فعهد المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) بداية عصر الضعف والوهن فى حياة الدولة العباسية(٧٣) فقد أصبح الأتراك هم كل شيء فى الدولة، وأصبح خلفاء بنى العباس منذ المتوكل مسلوبى السلطة ضعيفى الارادة، بسبب تدخل هؤلاء الاتراك فى شئون الدولة، حتى لقد صار من سلطتهم تنصيب من يشاءون، وعزل من يريدون، أوسَمْل عينيه ثم قتله(٧٤).

كما طبعت الدولة بطابع عجيب غريب – لم يكن موجودًا من قبل، وهو تدخل العنصر النسائى فى شئون الدولة، وكثرة تولية الوزراء وعزلهم، وتولية العهد أكثر من واحد، مما أدى إلى قيام المنافسات والصراعات بين أمراء البيت العباسى الواحد.

فقد أدت تولية المتوكل – الذى وُصف بأنه ظل الله الممدود بينه وبين خلقه – أولاده الثلاثة المنتصر والمعتز والمؤيد للعهد، وتقديم ابنه المعتز على المنتصر، إلى اغتيال هذا الخليفة بيد ابنه المنتصر وبتحريض من الأتراك، ولا غرو فقد حاول بعض هؤلاء الأتراك إغتيال هذا الخليفة فى دمشق من قبل ولكنهم لم يفلحوا فانتهزوا فرصة حنق المنتصر على أبيه، وانضموا إليه وقتلوه، فخَلَفَه ابنُه وقَاتِلُه على العرش، ولم يلبث أن عمل بتدبير الأتراك على إقصاء أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، إذ كانوا يخشون أن ينتقم هذان الأميران – وخاصة المعتز – منهم لقتل أبيهما المتوكل(٧٥).

---

(٧٣) انظر ماكتبناه عن الحياة السياسية فى العصر العباسى الثانى فى كتابنا (أبو بكر الصولى) طبع دار المعارف سنة ١٩٨٤م

(٧٤) انظر تاريخ الاسلام السياسى والدينى والاجتماعى – للدكتور حسن ابراهيم الجزء الثالث.

(٧٥) الطبرى ١١/٧٥ ومابعدها.

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية[1] فى عصر الرجل

الفوضى السياسية، والصراعات الداخلية، والمكائد والمؤامرات، والحروب والثورات، إذا طال عهدها، ودام زمانها، لابد حتما وأن تؤدى إلى الخراب والدمار، والتفتت وتقطيع الأوصال، ونضوب الأرزاق بين جميع الطبقات. بيد أن ذلك – لا يمنع من وجود الترف، إذا كان موجودًا من قبل، فلا يندر، وليس هناك ما يمنع، أن يجتمع الترف والفوضى فى دولة، إن هى ورثت السلطان القديم، والثروة الواسعة، ومظاهر الحضارة وأفانين المعيشة الفاخرة.. ثم تألبت عليها الظروف وتغير لها وجه الزمن، فوقعت فريسة للصراعات والثورات والاضطرابات.. وانتهى بها الحال إلى الفوضى، بل كثيرا ما تكون الفوضى من أسباب الترف، والمغريات به، لأن الناس فى هذا المجتمع – كما يقول ابن خلدون – يكونون قد تعودوا الاخلاد إلى الدعة واغتنام اللذة، واستعذاب الرفاهية، والانغماس فى نعيم الترف، فيؤدى ذلك إلى الإحجام عن كل ما هو جليل وصالح، ومفيد ونافع، فتضعف العزائم والهمم، وتضييع المثل والقيم، ويؤدى ذلك جميعه إلى الفوضى فى جميع مظاهر الحياة وتتجه حياتهم الاجتماعية – نتيجة للحضارة والترف إلى فساد الأخلاق، وإلى الفوضى السياسية فى الدولة ويكون ذلك عاملاً من عوامل ضعف الدولة وانحلالها، وقد تطمع الدولة المجاورة فى الإغارة عليها والظفر بها إن هى طالبتها[2]، وقد يطمع عامل من عمال الأطراف بالاستقلال بإمارته أو ولايته، وتكوين دويلة له قد تتسع وتمتد إلى ما جاورها من الولايات. يقول ابن خلدون: إن الدولة تقوم على دعامتين أساسيتين: العصبية والمال، وأن الخلل إذا طَرَق للدولة، طرقها من هذين الأساسين، وتتعرض العصبية للخلل والانتقاص لسببين:

الأول: لاستبداد صاحب الدولة عليهم فى سبيل الانفراد بالحكم.

والثانى: لتأثير الترف فى نفوسهم، لأنه يفقدهم العصبية والمنعة.

---

(١) انظر فى الحياة الاجتماعية فى هذا العصر – من المصادر الحديثة:
- حياة الشعر فى الكوفة، فصل الحياة الاجتماعية. ص ١٣٩ ومابعدها.
- العصر العباسى الأول فصل الحياة الاجتماعية ص ٤٤ ومابعدها
- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والاجتماعى الجزء الثالث..
- ضحى الاسلام الجزء الأول.

(٢) رأى ابن خلدون فى مقدمته – فصل كيفية طروق الخلل للدولة ص ٢٩٤ [طالبتها أى حاولت الاستيلاء عليها وضمها بالقوة]

لأن صاحب الدولة عندما ينزع إلى الانفراد بالمجد، يبدأ فى جَدْع أنوف عشيرته وذوى قُرباه المقاسمين له فى اسم الملك، ويقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه، فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة، فيهلكون لذلك ويقلون، وبهذه الصورة تفسد عصبية صاحب الدولة، وتضعف شكيمتها، فيضطر صاحب الدولة إلى الاستعاضة عنها بالموالى والمصطنعين.

وخلل الدولة من جهة العصبية يرافقه خلل من جهة المال، لأن الدولة فى أولها تكون بدوية، فيكون القصد فى النفقات والتعفُّف عن الأموال، ولكن عندما يحصل الاستيلاء، ويستفحل الملك، ويبدأ الترف، ويكثر الإنفاق بسببه، تعظم نفقات السلطان وأهل الدولة على العموم، ويدعو ذلك إلى الزيادة فى أعطيات الجند، وأرزاق أهل الدولة، ويعظم الترف، ويكثر الإسراف فى النفقات وتعظم نفقات الدولة فتزداد حاجتها إلى المال شيئا فشيئا، فيضطر صاحب الدولة إلى التفنن فى جمع المال بوسائل وطرق شتى، حتى يلجأ فى آخر الأمر إلى وسائل الظلم والإرهاق، وذلك يزيد الخلل، وزيادة الخلل تزيد الحاجة إلى الجند وإلى المال، وهكذا يشتد الخلل شيئا فشيئا إلى أن يصبح كليا[٣].

كلام ابن خلدون حول «كيفية طروق الخلل للدولة» يتطابق تمام الانطباق على الدولة العباسية فى أخريات عصر الرجل فالخلفاء ضعفت عصبيتهم، وتفرق شملهم نتيجة للصراع على السلطة والحكم، والخوف من منافسات أبناء العصب الواحد، فاضطر الخلفاء إلى حبس أخوتهم وأبناء عمومتهم، والتنكيل بالأمراء والأميرات، حتى ولاة العهود تعرضوا للنكث والتغيير، والحبس والتشهير، ولا شك أن ذلك أطمع فيهم القواد والجنود، فأظهرهم بمظهر الضعف والفرقة، وأدى ذلك جميعه إلى ضعف الخلافة وضياع هيبة الخلفاء، ونشأة الصراعات الداخلية حول السلطة، وإحياء عنصر الشك والدس والخوف، واصطناع الموالى والعمال، واستخدام الجند والرقيق، وطمع الولاة وأمراء الولايات بالاستقلال بأطراف الدولة، وأدى هذا كله –فيما بعد– إلى تفتيت الدولة العباسية إلى دويلات وإمارات، إلى أن سقطت فى النهاية.

أما من حيث الحضارة، فهى دائما تؤدى إلى الترف، والترف إذا حصل فى الدولة دعا إلى مذاهب الحضارة الأخرى، والتخلّق بعوائدها.. وإذا بلغ الترف والتأنق فى مجتمع غايته، تبعه طاعة الشهوات، فتتلوّن النفوس من تلك العوائد بألوان شتى، «واستفحال الحضارة والترف يقترن بوجه عام بارتفاع أسعار الحاجيات، فتزداد عندئذ مشاكل المعيشة بقدر ازدياد الحاجات وارتفاع أسعارها، فتعظم نفقات أهل الحضارة، وتخرج عن القصد إلى الإسراف، وتذهب مكاسبهم كلها فى النفقات، ويتتابعون فى الاملاق والخصاصة، ويغلب عليهم الفقر، فتكسد الأسواق، ويفسد حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف[٤]». كذلك كان

---

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٤ – ٢٩٧ (بتصرف)

(٤) المرجع نفسه «فصل الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ومؤذنة بفساده» ص ٣٧٢.

الأمر - أخريات عصر إبراهيم بن العباس، ضعفت فيه عصبية الخلفاء، وطمع الاتراك وقوادهم، وأدت الحضارة والترف إلى فساد الأخلاق، والاسراف فى النفقات، ونتج عن ذلك كله الفوضى السياسية والاجتماعية، والاغتيالات والمصادرات، والعزل والسمل، والتنكيل والتقتيل، وطمع الأمراء فى الداخل والغزاة فى الخارج.

حين انطلقت الفتوح الإسلامية فى أرض الله، لتنشر دعوة الله، فتحت العراق وايران والشام ومصر، فورث العرب ما فى الأولى والثانية من الحضارات الساسانية والكلدانية والآرامية وما فى الثالثة والرابعة من حضارات بيزنطية وسامية قديمة ومصرية، وأخذوا يكوّنون من ذلك ومن تراثهم العربى الخالص حضارتهم الإسلامية.

ومن الطبيعى أن تغلب على الأمويين - وقد اتخذوا دمشق عاصمة لهم - الحضارة البيزنطية وما كان بالشام من عناصر سامية حضارية، حتى إذا انتقلت الخلافة إلى العباسيين ونقلوا عاصمتهم إلى العراق - نرى أن الحضارة الساسانية الفارسية تغلب على ما كان به من عناصر كلدانية وآرامية.. وقد بدا ذلك واضحا منذ شرع المنصور فى بناء بغداد(٥) لتكون عاصمة لدولته. إذ أقامها المنصور مستديرة على شاكلة طيسيفون المعروفة باسم المدائن حاضرة الساسانيين، وابتنى فيها قصره المعروف بقصر الذهب على طراز قصورهم ذات الأواوين الفخمة. وما لبثت بغداد أن أصبحت أهم مدينة فى العالم العربى، إذ بنيت بها مئات المساجد وعشرات القصور الفخمة، وتكاثر بها التجار والصناع، وكان لكل طائفة منهم شارع خاص أو سوق خاصة، فهذا سوق العطارين، وذاك سوق البزازين، وهذا سوق الصيارفة مستبدلى النقود، وذاك سوق الوراقين، وهذا سوق بائعى الحلى والطرف المعدنية، وذاك سوق الرقيق المكتظ بالجوارى من كل جنس، وأمّها المغنون والمغنيات، ونزلها الأدباء والعلماء من كل صنف وعلى كل لون، فزخرت بالحياة، تزينها البساتين الملحقة بالدور والقصور والمتنزهات وميادين اللعب بالصولجان وغيره، كما تزينها القوارب التى كانت تتلألأ على صفحات دجلة بأشكالها المتنوعة من طيارات وسميريات وحديديات وحرامَات وزلالات وجعفريات(٦). ولم تزل بغداد حاضرة للخلفاء العباسيين، حتى استكثر المعتصم فى عسكره من الترك(٧) وآذوا العامة، بما كانوا

(٥) بنى أبو جعفر المنصور بغداد، وجعلها عاصمة لدولته - بدلا من الكوفة مركز العلويين من قديم، حتى يأتى على نفسه مما قد ينشب فيها من ثورات، وحتى يعزل جنده عن أهلها فلايفسدونهم، وقد عنى بها عناية بالغة، فجعلها قلعته الحصينة. وقد وضع أول لبنة فيها بيده سنة ١٤٥ قائلا «بسم الله، والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» ويقال إنه جلب إليها كثيرا من مواد البناء التى كانت لا تزال قائمة فى المدائن حاضرة الساسانيين، وظل البناء قائما بها حتى سنة ١٤٩هـ [انظر معجم ياقوت، وكتاب بغداد قديما وحديثا، وبغداد مدينه السلام لطه الراوى.

(٦) ويقول سيد أمير على «كانت تسمى بحق مدينة القصور المشيدة بالمرمر. وكانت العمائر فيها مؤلفة من عدة طبقات وكان تأثير الذوق الفارسى ظاهرًا جليا فى زخرفتها...» انظر مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى - ترجمة رياض رأفت ص ٣٨٤].

(٧) يقول صاحب النجوم الزاهرة (٢٣٣/٢): «إن المعتصم اشتراهم وبذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب وأمعن فى شرائهم».

يجرون من خيلهم فى الأسواق والشوارع، فكانوا يرصدونهم ويقتلونهم، حينئذ رأى المعتصم أن يعتزل بجنده فى موضع ناء عن بغداد، حتى يبعد أذاهم عن العامة، ولم يزل يتخيرلهم موضعًا حتى انتهى إلى سامراء[٨] شرقى دجلة بين بغداد وتكريت، فأعجبه موقعها، فأخذ فى بنائها سنة ٢٢١هـ وأمر أن تسمى «سُرَّ مَنْ رأى» وبهذا الاسم كانت تضرب النقود العباسية.

عاش الخلفاء وحواشيهم وتباعهم من الأمراء والوزراء والقواد معيشة الترف والبذخ وكانت خزائن الدولة بما يتدفق فيها من جداول الأموال هى المعين الغَدِق الذى هيأ لكل هذا الترف، فقد كانت تُحْمَل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض.

ذكروا أن المنصور خلّف حين توفى أربعة عشر مليونًا من الدنانير وستمائة مليون من الدراهم[٩]، وأن دخل بيت المال سنويًا لعهد الرشيد كان نحو سبعين مليونًا من الدنانير[١٠]. وكانت هذه الأموال تنفق على من يحف بالخلفاء – من بيْتهم – ومن الوزراء والقواد والولاة والعلماء والشعراء والمغنين. روى الأصفهانى فى أغانيه: أن الهادى أعطى لمروان بن أبى حفصة مائة وثلاثين ألف درهم[١١]، وأن الرشيد – الذى كان بحرًا فياضا – كان يجزل على العلماء والفقهاء من أمثال قاضيه أبى يوسف والأصمعى والكسائى، كما كان يجزل للشعراء والمغنين من نواله، فقد وصل سلمًا الخاسر وحده لمدائحه فيه بعشرين ألف دينار[١٢]، وطرب يومًا لغناء مخارق فأقطعه ضيعة ودارًا ووصله بثلاثة آلاف دينار[١٣]. وأجاز الأمين عبدالله بن أيوب التيمى الشاعر يوما مائتى ألف درهم[١٤]. وكان يعجب بمغنية تسمى بذلا، فأنفق عليها أموالا طائلة، ويقال إنه أهداها من الجوهر ما لم تملك واحدة مثله[١٥].

وكان لهذه السيول التى كانت مائتى تسيل إلى حجور العلماء والأطباء والمترجمين والشعراء والمغنين، أثرها الواسع فى نهضة العلوم والآداب والفنون، فقد كُفى أصحابها مئونة العيش، وكان منهم كثيرون يرتّب لهم رزق معلوم يأخذونه فى كل شهر أو فى كل سنة، بل لقد كان منهم وخاصة من المغنين والشعراء من يثرى ثراء فاحشا[١٦].

---

(٨) المسعودى ٩/٤. وظل الخلفاء بعد المعتصم يقمون بها حتى سنة ٢٧٦هـ إذ تحولوا منها إلى بغداد ثانية.

(٩) المسعودى ٢٣٢/٣

(١٠) مقدمه ابن خلدون ص ١٢٧ (طبع البهية) والجهشيارى ص ٢٨١، وضحى الاسلام ١١١/١

(١١) الأغانى ٨٠/١٠، ويقال إن سلما الخاسر أنشده مدحة فيه فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم [انظر الجهشيارى ١٧٣]

(١٢) الأغانى ٧٧/١١ (طبعة الساسى)

(١٣) الأغانى ١٤٤/٢١

(١٤) النجوم الزاهرة ١٨٩/٢

(١٥) أغانى ١٣٨/١٥ (ساسى) وانظر ما قيل عن المأمون فى الطبرى ٢١٢/٧

(١٦) يقال إنه صار إلى ابراهيم الموصلى المغنى أربعة وعشرون مليون درهم سوى رزقه أو راتبه الجارى، وهو عشرة آلاف درهم فى كل شهر وسوى غلّات ضياعه [أنظر الأغانى ١٦٣/٥ طبع دار الكتب] ويقال إن سلما الخاسر خلف حين توفى خمسين ألف دينار (أنظر المسعودى ٢٦٠/٣، والجهشيارى ص ١٦٠)

وكان الوزراء ينافسون الخلفاءَ فى بذلهم وعطائهم لهؤلاء الشعراء والأدباء، وللبرامكة سجل فياض فى الجود والبر، حتى لقد ذكروا.. أنه لم يكن يُرى لجليس خالد البرمكى دار إلاّ وخالد بَنَاها له، ولا ضيعة إلاّ وخالد ابتاعها له، ولا دابة إلا وخالد حمله عليها(١٧).

وسخاء ابنه يحيى وولديه يحيى وجعفر يرتفع فوق سخائه درجات، فقد كان تحت تصرفهم خزائن الدولة، وبأيديهم الأمر والنهى، فملئوا منها أيدى العلماء والأطباء والمترجمين والمغنيين والشعراء.

يقال أنهم أعطوا ابراهيم الموصلى يوما ستمائة ألف درهم وضيعة بمائة وستين ألفا(١٨). وأعطى يحيى البرمكى يوما ابنه إسحق مائة ألف درهم ليبتاع بها دارًا، وأعطاه ابنه جعفر مائة ألف لفُرشها، وأعطاه ابنه الفضل مائة ألف لزخرفتها، وأعطاه ابنه محمد مائة ألف رابعة لنفقتها(١٩).

وبلغ - فيما يقال - ما أعطوه لسَلْم الخاسر الشاعر عشرين ألف دينار(٢٠).

ولم يكن البرامكة وحدهم الذين يبذلون من أجل الأدب والفن، بل نافسهم فى ذلك الفضل ابن الربيع، والفضل بن سهل، وأضاف الولاةُ والقواد إلى تلكم المكارم مكارمًا أخرى ويلقانا من هؤلاء معن بن زائدة وابن أخيه يزيد بن مزيد الشيبانى وابنه خالد وغيرهم.

وكان لهذا النعيم الذى يرفل فيه هؤلاء الخلفاء وبطانتهم أثر كبير فى استفحال حياة الترف بكل ما فيها، وطبيعى أن تؤدى هذه الأموال لا إلى النعيم فحسب، بل أيضا إلى الترف فى الحياة، وكل أسبابها المادية من دور مزخرفة، وفرش وثيرة، وثياب أنيقة معطرة، ومطاعم ومشارب من كل لون، والتماس لكل أدوات الزينة، والتفنن فيها تفننا تبيح كل ما يمكن من استمتاع بالحياة.

ويصوّر ذلك من بعض الوجوه ما يُرْوى عن مجلس للمهدى، كان يجلس فيه على فُرش موردة، وعليه ثياب موردة، وعلى رأسه جارية تلبس هى الأخرى ثيابا موردة(٢١). وما يُرْوَى عن مجلس الرشيد من أنه كان يعبق بالطيب والزعفران(٢٢). وأيضا ما يروى عن زواج المأمون ببوران بنت وزيره الحسن بن سهل، فقد أنفق فيه ما يفوق أغرب القصص الخيالية، إذ روى أن أباها فرّق على حاشية المأمون رقاعا بأسماء كثير من الضياع، وبدرًا من الدنانير والدراهم كل بدرة عشرة آلاف. ويقال إن المأمون أعطى بوران ألف ياقوته، وأوقد لها شموع العنبر وبسط لها حصيرًا منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت، ونثرت جدّتها عليها حين جلس إليها المأمون ألف درة(٢٣).

(١٧) الجهشيارى ص ١٥٠
(١٨) الأغانى ٣٨/٥ (دار الكتب)
(١٩) الأغانى ٣٠٨/٥ ومابعدها
(٢٠) الأغانى ٧٧/٢١ (ساسى)
(٢١) الجهشيارى ص ١٦٠
(٢٢) الطبرى ٥٣٧/٦
(٢٣) الطبرى ١٨٧/٧، واليعقوبى ١٨٦/٣، والمسعودى ٣٥١/٣

ويذكر المسعودى، أن المعتصم كان يتأنق تأنقا كبيرا، حتى قيل: إن ثيابه كانت تشبَّه بالزُّهرة لتألقها[٢٤]. واشتهر بلبس قلانس طويلة ذات ألوان مختلفة، سميت بالمعتصميات، كما اشتهر بأنه ألبس قواده وكبار جنده دراعات الديباج المنسوجة بالذهب المرصعة باليواقيت والأكاليل المرصعة بالدرر من كل لون[٢٥].

وكان الوزراء وغير الوزراء من علية القوم يَحْيَوْن هذه الحياة المترفة، وينغمسون فيها انغماسًا، جامعين لقصورهم ومجالسهم كل ما يمكنهم من تحف[٢٦].

ذكر التنوخى أن بعض العباسيين ورث عن خادم كان مولى لأبيه وابن عم له ماتا فى يوم واحد، ما قيمته أربعون ألف دينار، ويقولون إنه عمّر دارًا بألف، واشترى جوارى وآلات وفرشا وثيابا بسبعة آلاف، وأعطى لتاجر ألفين يتجر له فيها، وأودع فى بطن الأرض عشرة آلاف للشدائد، وأبتاع بالباقى ضيعة تُغِلّ فى كل سنة ما يزيد على مقدار نفقته[٢٧].

وطبيعى أن يشيع فى هذا الجو الزاخر بالترف - التأنق فى الملبس والثياب، وقد عمَّ حينئذ ببغداد - كما أشرنا من قبل - لبس الأزياء الفارسية، حيث كانت كل طائفة من طوائف الموظفين ورجال الدولة، تلبس زيًّا خاصا بها يميزها من الطوائف الأخرى.

وفى هذا العصر - استكثروا من العطور وأنواع الطيب من الغالية والمسك والكافور والعنبر والروائح الأرجة، التى كانت تستخلص من البنفسج والنرجس والنَّيلوفر، وغير ذلك من الأزهار.

واستكثر النساء من أدوات الزينة، وألوان الأناقة، فكن يرفلن فى الثياب الحريرية، ويختلن فى الحلى والجواهر متخذات منها تيجانا وأقراطًا وعقودًا وقلائد.

ومن أهم الجوانب التى يتضح فيها بذخ الطبقة المترفة - المطاعم والمشارب. فقد طعموا وشربوا فى أوانى من الذهب والفضة وصحاف الصينى المزخرفة، والصحاف الزجاجية المنقوشة والمحفورة. وتفنن لهم الطهاة فى ألوان الطعام والشراب. وقد أورد الجاحظ فى كتابه «البخلاء» حشدًا كبيرًا من ألوان الأطعمة والأشربة، وهى فى مجموعها فارسية.

ومما يدل على كثرة أفانين الطهاة فى الأطعمة، ما يروى من أن مائدة المأمون ضمت ذات يوم ثلاثمائة لون[٢٨]. وقد تعجب الأصمعى لكثرة ما رآه على مائدة الفضل بن يحيى من ألوان الطعام، وما غسلوا به أيديهم بعد الأكل من ألوان الطيب والغالية والعنبر[٢٩].

(٢٤) المسعودى ٩/٤ - ١٢، وأنظر وصف مجلس الواثق فى الأغانى ١١٦/٤
(٢٥) المسعودى ٩/٤.
(٢٦) أنظر مارواه الأصمعى عن قصر الفضل بن يحيى البرمكى، طبقات الشعراء ص ٢١٤.
(٢٧) الفرج بعد الشدة ١٧/٢ (٢٨) ابن طيفور ص ٣٦
(٢٩) طبقات ابن المعتز ٢١٤، ولابراهيم بن العباس كتاب سماه «الطبيخ» ألفه فى وصف هذه الأطعمة وطريقة طهيها.

ومن تتمة هذا الترف فى المطعم أن نراهم يتواضعون على طائفة من آداب المائدة، اقتبسوا كثيرا منها عن الفرس[٣٠].

وعلى نحو ما كان للمائدة آدابها، كان لمجالس الخلفاء والوزراء وعليه القوم آدابها، وهى تعرف بآداب المسامرة[٣١]، وكان لابد للنديم من إحسانها حتى يخف على قلب منادمه، وكثير من هؤلاء الندماء استطاع أن يعتلى منصب الوزارة بما كان يحسنه من التبسط إلى الخليفة فى الحديث فى ساعات صفوه وغضبه، ومن لم يعتل منهم منصب الوزارة سالت عليه الهبات السنية. ولذلك لا نعجب أن يصبح الحذق بالمنادمة وما تتطلبه من كياسة مطمحا لكثير من العلماء والأدباء والفقهاء وكل من يريد الحظوة عند خليفة أو وزير[٣٢].

الرقيق والجوارى..

وكثر الرقيق فى العصر العباسى الأول، كثرة مفرطة، بسبب كثرة من كانوا يؤسرون، وبسبب انتشار تجارته. ومعلوم أن الاسلام يقصر الاسترقاق على أسرى الحروب من الأجانب، بيد أن تجارة الرقيق كانت شائعة فى إيران وخراسان وما وراءهما، وفى الدولة البيزنطية. وعظمت هذه التجارة فى الإسلام على مر السنين، حتى كان فى بغداد شارع خاص بها، يسمى «شارع الرقيق»[٣٣].

وقد دعا الاسلام دعوة واسعة إلى تحرير الرقيق، فكان كثير منهم يحرَّرون، وقد يصل بعضهم إلى أرفع المناصب فى الدولة، مثل الربيع بن يونس مولى المنصور، وحاجبه ثم وزيره[٣٤] وكان الرشيد يستكثر منهم حتى قال إنه سار يوما وبين يديه أربعمائة منهم[٣٥]. وفى عهد المعتصم – استكثر منهم ومازال يشتريهم من أيدى مواليهم، ومن النخاسين حتى اجتمعوا له بالآلاف، وحتى اضْطُرّ أن يبنى لهم – كما أسلفنا – «سُرّ من رأى» كى يجنّب الناس شرهم.

وكان رقيق النساء من الجوارى أكثر عددًا من رقيق الرجال، فقد امتلأت بهن الدور والقصور، إذ أحلّ الاسلام للشخص أن يتملك من الاماء والجوارى ماشاء، وبينما قيّد حريته إزاء الحرائر، فحرّم عليه أن يتزوج منهن بأكثر من أربع، أطلق حريته إزاء الجوارى، فلم يقيده بعدد منهن، وإن كان قد حرم عليه بيع من يَسْتَولدها وردّ إليها حريتها بعد وفاته، وجعل أولاده منها أحرارًا منذ ولادتهم. وكان الرجال بعامة يفضلونهن على الحرائر، لأنهن كن من أجناس

---

(٣٠) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢١٤/٣ (٣١) المسعودى ١٩٥/٣

(٣٢) انظر كتابنا «أبو بكر الصولى» فصل المنادمة طبع دار المعارف سنة ١٩٨٥ وانظر كتاب أدب النديم لكشاجم.

(٣٣) البيان والتبيين ٦٩/١، وكان الرقيق حينئذ يُجلب من بلاد الزنج وأفريقية الشرقية، ومن الهند وأواسط آسيا ومن بيزنطة وجنوبى أوربا.

(٣٤) الجهشيارى ص ١٢٥، وابن الطقطقى ١٢٩.

(٣٥) الأغانى ٢١٨/٥ (دار الكتب).

مختلفة، فمنهن الفارسيات والهنديات، والحبشيات، والأرمنيات، والتركيات والروميات.

وربما كان للحجاب دخل فى ذلك، فقد كانوا لا يرون من يريدون الاقتران بهن من الحرائر، أما الجوارى فكن معروضات للبيع بدور النخاسة، فكانوا يختارونهن حسب مشيئتهم وهواهم[٣٦].

وكانت هؤلاء الجوارى والاماء من أجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة، فأثرن آثارًا واسعة فى أبنائهن، وهى آثار امتدت إلى قصر الخلافة، وعملت فيه أعمالا بعيدة، فقد كان أكثر الخلفاء من أبنائهن، فالمنصور أمه حبشية، والهادى والرشيد أمهما الخيزران رومية، والمأمون أمه مراجل فارسية، وكذلك أم المعتصم ماردة.

وقد استكثر الرشيد وزوجه زبيدة من الجوارى والإماء، حتى ليذكرون إنه كان عند كل منهما زهاء ألفى جارية فى أحسن زى من الثياب والجوهر[٣٧]. وكان قصر الأمين يزخر بالجوارى الغلاميات اللآتى يلبسن لبس الغلمان[٣٨]. وزخر قصر المأمون بالجوارى المسيحيات[٣٩]. وامتلأ بهن وبغير هن قصر المعتصم والواثق[٤٠].

ويفيض كتاب الأغانى بأخبارهن فى دور النخاسة والقيان، ويصور كيف كان يغشى هذه الدور الشعراء.. وكثيرا ما كان يقع حب جارية فى قلب شاعر، ويصبح فى محنة لا يجد إلى التخلص منها سبيلا – كما حدث لابراهيم بن العباس – وكان بعض الشعراء من يقاوم إغراءهن، ولكنه يظل يغاديهن صباح مساء مفتونًا بهن.

وعلى هذا النحو بقيت دور النخاسة والقيان معارض للجمال، وهى معارض مفتوحة ليلًا ونهارًا، يجتمع فيها الفتيان من الشعراء وغير الشعراء يتملين بالجمال ومفاتنه.

وكانت كثيرات من هؤلاء الجوارى يثقفن بفنون الآداب، فكن يجمعن إلى جمالهن عذوبة الحديث، فيملأن على الشعراء وغيرهم قلوبهم وعقولهم، بل كان منهن من يتقن نظم الشعر، مثل (عنان) جارية الناطفى و «سكن» جارية محمود الوراق. وقد عرض عليه أحد الطاهريين أن يشتريها منه بمائتى ألف درهم فأبى التفريط فيها[٤١]، لما كانت تَشْعُر به قلبه من الحب المضطرم.

وكان منهن من يضفن إلى ذلك إجادة فن الغناء، فكن فتنة من فتن العصر، على نحو ما كانت «دنانير» جارية البرامكة، و «عريب» جارية الأمين والمأمون. وكان للغناء فى الناس لهذا العصر أثر أى أثر، فقد شغلوا به أى شغل، وكأنه نعيمهم من دنياهم، الذى لا يؤثرون سواه لما يبعث فى نفوسهم من غبطة وابتهاج.

---

(٣٦) انظر ما ذكره الجاحظ فى ذلك فى رسائله ص ٢٧٤ طبع السندوبى.
(٣٧) الأغانى ١٠/١٧٢.
(٣٨) المسعودى ٤/٢٤٤.
(٣٩) الأغانى ٥/٣٨٨، ٧/٩٨، ١٢/٥١.
(٤٠) المرجع السابق.
(٤١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢٢.

وكانت بغداد دارًا كبيرة للغناء، جذبت إليها المغنين والمغنيات من كل فجّ، ونثرت الأموال عليهم نثرًا، بل كالتها كيلا، وأول من كلها من الخلفاء المهدى، واقتدى به الهادى وخلفهما الرشيد، فجعل المغنين مراتب وطبقات على نحو ما جعلهم أردشير[٤٢].

ومن أبرز المغنين حينئذ ابراهيم الموصلى، ويقال إنه خلّف تسعمائة صوت، صنعها ابتداء[٤٣]. ومنهم ابن جامع مغنى الرشيد، الذى كان يقال فيه، إنه زق عسل حلو، وطرب الهادى لصوت غناه فأعطاه ثلاثين ألف دينار[٤٤].

المجون..

ولقد ورث العباسيون كل ما كان فى المجتمع الساسانى الفارسى من لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فإذا الفرس المنتصرون يمعنون فى مجونهم، ويمعن معهم الناس، فقد مضوا يعبون الخمر عبًّا، ويحتسون كئوسها حتى الثمالة، وحاكاهم فى ذلك من عايشوهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة على الرغم من نهى الإسلام عنها.

وكان من أسباب انتشارها واقبال الناس عليها أن أدّى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة، كنبيذ التمر والزبيب المطبوخ، ونبيذ العسل والبُرّ والتين[٤٥].

فشرب الخلفاء هذه الأنبذة، وشربها الناس، وتهالك بعض الناس، إمعانا فى المجون، على أنواعها المحرمة بإجماع الفقهاء.

وتذكر المصادر أن الخليفة الهادى كان أول خليفة عباسى أُغرى بالخمر[٤٦]، ثم تبعه الرشيد[٤٧]، ومن جاءوا بعده. وأغلب الظن أنهم لم يكونوا يتجاوزون الأنواع المحلّلة إلى الأنواع المحرمة، إلّا ما كان من الأمين الذى كان يعيش للخمر المسكرة يشربها أرطالا[٤٨]. وكأنما كان فى قلبه جذوة من الغرام بها، لا سبيل إلى إطفائها إلّا بشرابها متتابعا، حتى ليصل أحيانا مساءه فيها بصباحه.

حدّث ابن المعتز أنه اصطبح بها يومًا مع أبى نُواس وطائفة من ندمائه «فأتى بالشراب كأنه الزعفران، أصفى من وصال المعشوق، وأطيب ريحا من نسيم المحبوب، وقام سُقاة كالبدور بكئوس كالنجوم، فطافوا عليهم، وضربت المغنيات خلف الستائر بمزاهرها، فشربوا معه من صدر نهارهم إلى آخره فى مذاكرة (أحاديث) لقطع الرياض، ونشيد كالدّر المفصل بالعقبان، وسماع يحيى النفوس ويزيد فى الأعمار، فلما كان آخر النهار دَعَا بعشرة آلاف دينار فى صوانى،

---

(٤٢) كتاب التاج المنسوب إلى الجاحظ ص ٣٧.
(٤٣) الأغانى ١٨٧/٥.
(٤٤) الأغانى ٣٠٣/٦.
(٤٥) ضحى الإسلام ١١٩/١.
(٤٦) الجهشيارى ص ١٤٤.
(٤٧) الطبرى ٤٨٩/٦، ٤٣٥.
(٤٨) الجهشيارى ٢٩٩ والمسعودى ٣٠٥/٣.

فأمر فنثرت عليهم فانتهبوا والشرابُ - بَعْدُ - يدور عليهم بالكبير والصغير من الصِّرف والممزوج» حتى إذا نام واستيقظ فى السحر طلب إلى أبى نواس أن ينشطه إلى متابعة السكر ببعض الأبيات، فأنشده:

نَبِّه نَـدِيمَكَ قَـدْ نَعَس ... يُسْقِيكَ كأسًا فى الغَلَسْ
صِـرْفًا كـأن شُعَـاعَهـا ... فِى كَفِّ شَـارِبِهـا قَبَسْ
تَـذَرُ الـفَتَى وكـأنَّمَـا ... بِلِسَـانِـهِ مِنْهَـا خَـرَسْ
يُـدْعَى فَيَـرْفَـع رأسَـهُ ... فَـإذَا اسْتَقَلَّ بـِهِ نَكَسْ

فهش الأمين ونشط ودعا بالشراب يصطبح به لليوم التالى، وينعم بنشوته[٤٩]، غير مفكر فى وقار خلافة ولا فى دين، فقد احتلت قلبه وبسطت سلطانها عليه فأحبها وهام بها هياما.

ويذكر الأصفهانى، أن الناس جميعا فى العصر - قد تورطوا فى إثمها تورطا، وكان منهم من يسرف فى شربها إسرافًا شديدًا حتى ليتناول منها عشرة أرطال دفعة واحدة[٥٠]. ويؤثر عنهم أنهم كانوا يكرهون أن يدور الشراب بين اثنين، لأن أحدهما قد ينهض لحاجة فيبقى صاحبه واجمًا، ومن أجل ذلك استحبوا أن يدور الشراب بين ثلاثة أو أربعة أو خمسة، بحيث لا يزيدون عن ذلك، حتى لا يستحيل الشراب إلى لون من ألوان الشغب، وفى ذلك يقول أبو نواس:[٥١]

ثَـلاثَـةٌ فِى مَجْلِسٍ طَيِّب ... وَصَاحِبُ الدَّعْوة والضَّارِبُ
فإنْ تَجَاوَزَت إلى سَادِسٍ ... أَتَاكَ مِنْهُم شَغبٌ شَاغِبُ

وقد تفنن الشعراء فى وصف نشوتها وآثارها فى الجسد والعقل، ووصف دنانها وكئوسها ومجالسها ونُدَمَائها وسقاتها، وكانوا عادة من النصارى والمجوس واليهود، وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر، كما كانوا يزينون قاعة الشراب بالرياحين[٥٢].

وفى هذا العصر اقترنت الخمر بالغناء والرقص، إذ تحولت دور القيان فى كَرْخ بغداد وفى البصرة والكوفة، إلى خانات كبيرة للشرب والقصف كل مساء، وكان الشعراء وغيرهم يؤمنها للشراب على غناء القيان وضرب الطبول والدفوف.

وكانت البساتين فى ضواحى بغداد تمتلئ بالحانات التى تختلف إليها الشعراء وغيرهم من الفتيان، كحانة «بستان صَبَّاح» التى وصفها مطيع بن إياس فى بعض شعره[٥٣]. فالبساتين أو

(٤٩) طبقات ابن المعتز ص ٢١٠.
(٥٠) الأغانى ٢٢٥/٥.
(٥١) ديوان أبى نواس ص ٣٥٦، وانظر ص ٣٥٨.
(٥٢) انظر ما قاله أبو نواس فى ذلك، طبقات ابن المعتز ص ٢٠٦.
(٥٣) الأغانى ٣٢١/١٣ (دار الكتب).

على الأقل طائفة منها تحولت إلى حانات كبيرة للخمر والقصف والمتعة بسماع بعض المغنين والقيان.

وليس معنى ذلك أن الشعب كله فى هذا العصر - كان يعيش هذه المعيشة المترفة، ويرفل فى حلل الترف والبذخ، بل لقد كان الثراء الفاحش فى قصور الخلفاء والوزراء يقابله فقر مدقع فى بيوت الشعب.. وكأنما كُتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعا بأسباب النعيم، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء، وأن يتحمل من أعباء الحياة ما لا يطاق. ومرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين، الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد، وقد مضوا هم وبطاناتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حدّ، وطبقات قُتِّر عليها فى الرزق، فهى تشقى إلى غير حد، واضطرب أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم.

ولعل هذا البذخ وما صحبه من اعتصار الشعب، هو السبب الحقيقى فى كثرة الثورات على العباسيين، ولعله أيضا السبب الحقيقى فى تعلق الناس بالمهدى المنتظر، الذى سيملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جَورًا وفجورًا، مما هيأ لكثرة الجمعيات السرية، واعتناق الناس لعقيدة التشيع على اختلاف فرقها، غير أن المسألة لم توضع موضعا سليما صريحا على أساس مشكلة العدالة الاجتماعية، واستنزاف الشعب لمصلحة طبقة تعيش معيشة باذخة مسرفة فى البذخ، بل وجهت توجيها خاطئا، على أساس دعوات دينية مارقة كدعوة الخرّمية التى استوحت آراء المزدكية والمانوية، وحتى الشيعة وفرقهم أعلوا المقاصد الدينية على مقاصد العدالة الاجتماعية، وبذلك أخفقت هذه الثورات جميعا، لأنها لم تضع للشعب اللافتات والشعارات الحقيقة التى يلتف حولها ويعمل من أجلها(٥٤).

ولعل فى هذا وغيره، الرد المقنع لفكرة ابن خلدون عن الترف.. التى دار حولها كثيراً فى مقدمته، على أنها أهم عامل من عوامل سقوط الدول. إن هذه الفكرة على إطلاقها ليست صحيحة، بل إن الفقر هو الذى يسقط الدول أكثر مما يسقطها الغنى والترف. وأن الأزمات الاقتصادية والسياسية، والأنانيات والجشع والخوف من المستقبل، واستخدام ما ليس بخُلُقى.. كل ذلك يسقط الدول أكثر مما يسقطها الغنى. فإذا كان ابن خلدون - حين وضع نظريته «حول الدولة وتطوراتها» يريد بالدولة البيت المالك وأهله، الذين انغمسوا فى الترف وشغلوا به، وأصبحوا غير قادرين على حسم الموقف، فهذا صحيح، أما إذا كان الأمر متصلا بالشعب كله، فإن هذا لم يحدث. فسقوط الدولة العباسية وتمزقها إنما كان أساسا بسبب اختلال فى الثروة بين طبقة حاكمة أو عصبية مسيطرة، وشعب معدم.

---

(٥٤) العصر العباسى الأول ص ٥٢.

الفصل الثالث

الحياة الأدبية فى عصر الرجل

وعصر إبراهيم بن العباس - عصر ازدهار الشعر والنثر جميعا[٥٥]، وصل فيه كل فن إلى غايته، ارتقت فيه الحياة العقلية والأدبية رقيا بعيد المدى، نتيجة للحضارة وامتزاج الثقافات، واحتكاك الآداب واللغات، فانسابت نتيجة لهذا الرقى تيارات عقلية كثيرة فى الشعر والشعراء معا، جذبهم إليها المتكلمون والفلاسفة، ومادار فى رحابهم من مجالات ومناظرات، حيث كان الشعراء والأدباء يختلفون إلى حلقاتهم ليشاركوا فى صور هذا الجدال المطروح، ويلتقطون بعض طرائف الفكر ولطائف المعانى.

وكانت البادية لاتزال المنبع الفياض الذى يغذى الحواضر، ويمدهم بكثير من الشعراء الفصحاء[٥٦]. ذوى السليقة العربية السليمة. وقد تحول كثير من هؤلاء الشعراء إلى معلمين يعلمون الناشئة اللغة ويروون لهم الأشعار القديمة. وكان يقابلهم فى المدن شعراء لم ينشأوا فى البادية، ولكن السليقة العربية تحولت إليهم، حتى أصبحوا لا يقلون عن شعراء البوادى فصاحة وبيانا.

كان لعلماء اللغة الفضل الأول فى تحول السليقة العربية إلى شعراء المدن[٥٧] وأدبائهم، فقد جمعوا لهم اللغة والشعر الجاهلى والإسلامى، ووضعوا لهم المقاييس الفنية التى يجب أن يحتذوها ويسيروا على نهجها، وظلوا دوامًا يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى، والنموذج الفذّ الذى يجب أن يترسموا خطاه، وينظموا على منواله. وعلى هذا النحو كان الشاعر العباسى يحوّل إلى نفسه نماذج الشعر القديم بكل خصائصها وكل سماتها، يعينه فى ذلك

---

(٥٥) انظر فى الحياة الأدبية - فيما يتصل بالشعر - فى هذا العصر:

- الفن ومذاهبه فى الشعر للدكتور شوقى ضيف - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٥
- العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٧.
- حياة الشعر فى الكوفة للدكتور يوسف خليف - طبع وزارة الثقافة سنة ١٩٦٨.
- ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين - طبع النهضة المصرية (الجزء الثانى).
- تاريخ الشعر العربى للأستاذ نجيب البهبيتى - طبع دار الكتب سنة ١٩٥٠.
- الحياة الأدبية فى البصرة للدكتور أحمد كمال زكى - طبع دار المعارف سنة ١٩٧١.
- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى للدكتور محمد مصطفى هدارة طبع دار المعارف سنة ١٩٦٣.
- الحياة الأدبية فى العصر العباسى للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى طبع مصر سنة ١٩٥٤.

(٥٦) مثل أبى البيداء، وابن الدُّمينة وأبى حية النُّميرى وأبى ضمضم الكلابى وغيرهم. انظر الفهرست ٦٥ (طبع القاهرة).

(٥٧) كان من هؤلاء اللغويين شعراء بارعون، بادروا إلى الاحتذاء على هذه القدوة.. من هؤلاء اللغويين الشعراء حماد الراوية والخليل بن أحمد والأصمعى وغيرهم.

اللغويون بما يعرضون عليه منها تجاه سمعه وتحت بصره، وشركهم فى ذلك بعض الشعراء على نحو ما هو معروف عن أبي تمام ومجموعاته الشعرية التى انتخبها بذوقه من أشعار القدماء والمحدثين، وفى مقدمتها ديوان الحماسة، ولم يكتف اللغويون بما عرضوا من القصيد والرجز، فقد وضعوا للشعراء أقيسة اللغة فى الاشتقاق والتصريف والنحو وموسيقى الشعر وعروضه، وبذلك وضعوا فى أيديهم جميع الآلات التى تعينهم لا على التثقيف بالعربية والتدرّب عليها فحسب، بل أيضا على أن يتقنوا التعبير بها، والتصرف فيها حسب حاجاتهم الوجدانية والعقلية والحضارية(٥٨).

فالشاعر العباسى تهيأ له من العلم بالشعر القديم ما لم يكن يتهيأ للشعراء السابقين بعد أن أطلع على مجهودهم وعبقريتهم ونتاجهم الفني، ومثلهم الفذة، وبعد أن كشف له كل عناصرها وذخائرها.. ونفذ نتيجة لحصيلته من ذلك كله إلى أسلوب جديد، اصطلح العلماء والباحثون، القدماء والمحدثون على تسميته «بأسلوب المولّدين».

وهو أسلوب قام على عتاد من القديم، وعُدّة من الذوق الحضرى الجديد، أسلوب يحافظ على مادة اللغة ومقوماتها التصريفية والنحوية، ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة بحيث تُنْفَى عنه ألفاظ العامة المبتذلة، كما تنفى عنه ألفاظ البدو الحوشيَّة. أسلوب يعتمد على الألفاظ المنتخبة، مع العذوبة والرشاقة حينا، والجزالة والرصانة حينا آخر.. يهديهم فى ذلك ذوقهم المتحضر الدِمِثْ الذى ينفر من كل لفظة غريبة وكلمة وعرة(٥٩).

موضوعات الشعر

وإذا نظرنا فى موضوعات الشعر - فى هذا العصر، فإننا لا نكاد نرى موضوعا قديما من الموضوعات إلّا ونظم فيه العباسيون نظما يروع النظر بدقته ورقته، وبدائع فكره، وروائع معانيه، وصدقه الفني. وهم لم يكونوا فى ذلك مقلّدين، بل كانوا مبدعين مخترعين، فما من غرض من أغراض الشعر إلّا طوّروه وارتقوا به، وأعادوا خلقه من جديد، مستعينين فى ذلك بملكاتهم الخصبة وبحسِّهم الحضرى وذوقهم المثقف.. خاصة بعد أن وضع اللغويون أمام أذهانهم وأبصارهم نماذج الشعر المثلى، وشرحوها وذلّلوها وعلّقوا عليها بما يضىء غوامضها، ويجلى دقائقها.

١ - المديح:

والمديح من الموضوعات التقليدية الموروثة التى وصلت الشاعر العباسى بالشاعر القديم، الذى وضع أصول هذا الفن، وظهرت قصيدته فى ثوبها النهائى، فلم يكن أمام الشعراء العباسيين

(٥٨) العصر العباسى الأول ص ١٤٥.

(٥٩) المصدر نفسه ص ١٤٦ «وبشار فى طليعة من أرسوا هذا الأسلوب المولد الجديد.

إلّا أن يترسموا هذا الشكل، ويتبعوا منهجه وخطاه، بعد أن صبغوه ولوّنوه بذوقهم الحضرى وبثقافتهم الواسعة.

ومن المعلوم أن الشاعر القديم اتخذ من المديح أداة لتجسيم الأخلاق الكريمة، والمثل الرفيعة، التى قد تواضع الشعراء عليها، وتفاخروا بها، كالكرم والشجاعة، والأنفة والإباء، والثقة بالنفس، والاعتداد والمضاء، والعزة والكرامة.

وهذه المثل العليا تعد تمائم العروبة، وميراث العرب، ومجمع فضائلهم على مرّ العصور، لذلك فالمديحة العربية الجاهلية كانت وسيلة للتربية الاجتماعية من جهة، ودعامة للمثل الخلقية العربية من جهة أخرى، وتميمة للبطولات العربية من جهة ثالثة.

ثم جاء الإسلام.. بمُثُلِه السمحة، وتعاليمه القيّمة، فصبغ مُثُل العرب وقيمهم بصبغة روحية دينية، فأضاف إلى المعانى العربية القديمة، معانى إسلامية جديدة قوامها طاعة الله وأولى الأمر، والعدل والمساواة، والإخاء والوفاء، والتقوى والرحمة.. إلى آخر هذه المعانى الإنسانية الدينية.

وسرعان ما أضاف شعراء المديح هذه الصفات إلى ممدوحيهم من خلفاء وأمراء وحكام ولايات، وظلت تلك المعانى تسطع فى سماء الشعر، حتى إذا وصلنا إلى عصر إبراهيم بن العباس، وجدنا شعراءه قد مضوا يتمسكون بكل الميراث الجاهلى التليد، والتراث الإسلامى الجديد. وأخذوا يبثون كل ذلك فى مدائحهم، فصوّروا المثل الخلقية العربية، وما أشاعه فيها الإسلام من مثالية روحية، مضيفين إلى ذلك معانى من واقعهم الحضارى، وظروفهم الاجتماعية والسياسية، فضمنوا هذه المدائح معانى جديدة تتصل بما تتطلبه الجماعة من عدالة الحكام، ورفع الظلم عن المغبونين، كما أكثروا من الحديث عن عدالة الخلفاء وعن تقواهم. من مثل قول مروان بن أبى حفصة فى مطلع قصيدته للمهدى:(٦٠)

أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ ... سُنَنَ النبىِّ، حَرَامَهَا وحَلَالَهَا

ويقول أبو العتاهية فى هارون الرشيد:(٦١)

ورَاعٍ يُرَاعِى اللَّهَ فى حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودِ
تَجَافَى عنِ الدُّنْيَا وأَيْقَنَ أَنَّهَا ... مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بدارِ خُلُودِ

ومدحوا القواد أيضا مدائح رائعة، ومجدوا انتصاراتهم على أعدائهم، الذين كانوا ينازلونهم فى أواسط آسيا وفى آسيا الصغرى، وغير ذلك من الأماكن التى كانت مسرحا للحروب والغزوات، وصد الهجمات. من مثل قول بشار فى مدح أحد القواد:(٦٢)

---

(٦٠) الأغانى ٨٩/١٠ (دار الكتب).
(٦١) الأغانى ١٠٤/٤.
(٦٢) المختار من شعر بشار للخالديين ص ٧٧.

دَعَانِي إلى عُمرٍ جُـودُهُ ... وقَوْلُ العَشِيرةِ بَحْرٌ خِضَمْ
فَتًى لَا يَنَامُ على دِمْنَةٍ ... وَلَا يَشْرَبُ الماءَ إلّا بدَمْ
إِذَا نَبَّهَتْكَ حُرُوبُ العِداةِ ... فنَبِّه لَها عُمَرًا ثُمَّ نَمْ

ومعنى ذلك، أن المديحة العربية قد تطورت، وأن تطورها إنما بدأ وتم فى العصر الإسلامى، ثم مضى العباسيون يحاكون الإسلاميين فى إبراز المعانى المختلفة للمثل الخلقية التى تواضعوا عليها، مستغلين ثقافتهم وأذهانهم وعقولهم الخِصْبة، فى تجلية المعانى الخلقية المختلفة، وخاصة الكرم والشجاعة وقيادة الجيوش، ولهم فى ذلك طرائف عديدة، إلى جانب الصفات الدينية الأخرى.

ولم يصور الشعراء العباسيون المثالية الخلقية العامة فى مدائحهم فحسب، بل صوروا كذلك المثالية السياسية، والأحداث التى وقعت فى عصور الخلفاء، وسجلوا الفتن والثورات، ونوّهوا بالانتصار على أعداء الدولة من الروم والترك. وبذلك صارت المديحة العباسية وثيقة رسمية، تضم بين جوانحها كل ما يتصل بالممدوح وعصره وحياته والأعمال الكبرى التى نهض بها، والأحداث التى عاصرها.

وربما كان أهم ما صورته قرائح الشعراء وسجلته مدائحهم.. صور الأبطال الذين كانوا يقودون جيوش الدولة المظفرة ضد أعدائها المتربصين بها، فقد أشادت إشادة رائعة بكل معركة خاضوا غمارها، وكل حصن اقتحموه حتى كادت لا تترك موقعة ولا بطلا دون تصوير يحفز النفوس العربية على الاستبسال والمضاء.

وكان الرشيد والمأمون والمعتصم رجال حرب، وقواد جيوش، ترأسوا جيوشهم وقادوها حين محقوا البيزنطيين محقا، فنرى الشعراء يتغنون بانتصاراتهم غناء يسكب الفرحة فى كل النفوس، لعل من أروعه غناء أشجع شاعر البرامكة، بفتح الرشيد «هرقلة» فى آسيا الصغرى ودحره لنقفور امبراطور بيزنطة وجيشه(٦٣)

وأروع من غناء أشجع ما ترنم به أبو تمام، يوم فتح المعتصم أنقرة، وأحرق عمورية، فى ملحمته البائية المشهورة ، التى يقول فى مطلعها:(٦٤)

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنباءً من الكُتُبِ ... فى حَدِّهِ الحدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

ويقول على بن جبلة فى تصوير بطولة أبى دُلَف العجلى قائد المأمون:(٦٥)

---

(٦٣) انظر هذه القصيدة فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٧٥. والأغانى ١٠٣/١٨ (طبع الساسى).
(٦٤) انظر القصيدة فى الديوان ٤٥/١.
(٦٥) المقانب: جماعات الخيل، ذرا الحجر فتاوها، زحوف: صفة مبالغة من الزحف يريد الجيش والأمر: الكثرة.

المَنَـايَـا فِي مَقَـانِبِـه   والعَطَايَا فى ذَرَا حُجَـرِه
وزحُـوف فِي صَـوَاهِـلِه   كَضباح الحَشْر فى أمـره

وكان المدائح قديما تستفتح بمقدمات طللية تقليدية، تصف الديار وعهود الهوى، وأيام الشباب، وذكريات الشاعر.. ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء وحيوانها ونباتها وطيرها، ثم يصف بعيره أو فرسه، ويسرح ببصره ليلتقط صورًا لما حوله، وقد يعرض لوصف مشهد صيد، وكثيرا ما يضمن مديحته خبرته مع الأيام، وحكمته التى استقاها من الزمن.

كل ذلك حافظ عليه الشاعر العباسى، ولكن مع توضيح للصور وإظهار للألوان، وإبراز للقسمات، وتركيز يبرز ثقافته ونظراته الجديدة للحياة الحضرية، حياة المدن بما فيها من قصور وحدائق وزهور، وأضاف إلى تلكم العناصر والقسمات إضافات جديدة تلائم عصره، وتعبر عن حصيلته الثقافية، وذخائره العقلية، التى استقاها عبر السنين عن طريق الصقل والمران واستيعاب تراث الأقدمين.. فنرى الشاعر العباسى قد اختط لنفسه منهجا جديدًا يتناسب مع العصر والبيئة الثقافية. وهذه هى العناصر المؤثرة فى الأدب عموما، والشعر والشاعر خصوصا. فنراه يبدأ مدائحه - أحيانا - بتصوير أحاسيس الحب، ومشاعره، وتحليل خواطره، أو وصف صاحبته وصفا دقيقا يتضح فيه أثر الفكر الحديث، على نحو قول بشار فى أرجوزته الدالية، التى يستهلها بقوله:(٦٦)

يا طَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمَدِ   باللهِ خَبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِى

فنراه يصور شجنه وحنينه إلى دِعْد وفتنته لجمالها، فيمضى يصور دلالها بقوله:

صَدَّتْ بِخَدٍّ وجَلَتْ عن خَدِّ   ثم انثنتْ كالنَّفَسِ المرتَدِّ

وهى صورة جديدة لم يكن الشاعر القديم يستطيع رسمها.

ونجد الشاعر العباسى يضيف إلى تصويره للحب تصويرًا لمطامحه وآماله فى الحياة على نحو ما هو معروف عن أبى تمام، وتصويره لصلابة نفسه أمام عوادى الزمن. يقول:(٦٧)

يَوْمِى مِنَ الدَّهْرِ مثلُ الدَّهْرِ مُشْتَهِرٌ   عَزْمًا وحَـزْمًا وَسَاعِى مِنْه كـالحِقَبِ
فأَصْغِرِى أن شَيْبًا لاحَ بِى حَدَثًـا   وَأَكْـبِرِى أَنَّنِى فِي المَهْـد لَمْ أَشِبِ
فـلا يُؤَرِّقْـكِ إيمَـاضُ القَتِـيرِ بـهِ   فـإِنَّ ذَاكَ ابتسـامُ الـرأى والأَدَبِ
لَا تُنْكِـرِى منْـهُ تَخْـدِيـدًا تَجَلَّلَهُ   فالسَّيْفُ لَا يَزْدَرِى أَنْ كَانَ ذَا شُطَبِ

(٦٦) الديوان ٢/٢١٩، والأغانى ٣/١٧٤.

(٦٧) الديوان ١/١١٦ (ويؤرقك: يسهدك. إيماض: لمعان. القتير: ابتداء الشيب. التخديد: الطرائق التى تبدو فى الخد والجبين مع تقدم السن. وشطب السيف: طرائقه التى تظهر فيه بسبب شحذه.

وفى المديحة العباسية، نجد الشاعر يضمنها منثورات من حِكَمِه التى استقاها من الزمن وخبرها من الأيام، تماما كما كان يفعل الجاهليون، من أمثال زهير وطرفة ولبيد وغيرهم، بيد أن العباسيين توسعوا فى ذلك توسعا شاسعًا، خاصة وقد وصلتهم أمداد من آداب اللغات الفارسية، وغير الفارسية. فنجد بعض الشعراء ينظمون أشعارًا قَصَرُوها على الحكم، على نحو ما هو معروف فى قصيدة أبى العتاهية ذات الأمثال(٦٨)، وهى تضم أربعة آلاف بيت كلها من الحكم العربية والأجنبية من خبرته الشخصية، من مثل قوله:

حَسْبُـك مِمَّا تَبْتَغِيــهِ القـوتُ   مـا أكثرَ القُـوتَ لمن يَمُـوتُ
لكُلِّ مَايُؤْذِى -وإنْ قَـلَّ- أَلَمْ   ماأطْوَلَ الليلَ عَلَى مَنْ لم يَنَمْ
مـا انْتَفَـعَ المرءُ بِمِثْـلِ عَقْلِهِ   وَخَيْرُ ذُخْرِ المـرءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إنَّ الفَسَــادَ ضِــدُّه الصــلاحُ   وربَّ جِــدٍّ جَــرَّهُ المُـزَاحُ

ومعنى ذلك أن الحكمة المتصلة بشعر المديح أخذت تغذيها روافد أجنبية، مما أتاح للشاعر العباسى أن يتسع بالحكم، فيدخلها فى نسيج شعره تجميلا وتزيينا.

* وخلاصة القول، أن المديحة العباسية لم تكن مديحا خالصا، بل كانت تضم عناصر عدة، فهى تحمل فى فاتحتها كثيرا من أحاسيس الشاعر وخواطره، ومشاعره إزاء الحب. وحاول الشاعر العباسى التجديد، فترك وصف الأطلال الموروث، وصور الرياض والربيع والطبيعة(٦٩). والقصور، وغير ذلك مما يرتبط بالحياة الحضرية المترفة التى عاشها المادح والممدوح على السواء، وكل ذلك كان يبتغى به التجديد فى مقدمات مدائحه.

وحاول بعض الشعراء أن يقدم لمدائحه بوصف الخمر وما يتصل بها(٧٠)، إلا أن ذلك لم ينتشر وإنما اقتصر على قلّة قليلة خاصة حين أفردوا لفن الخمريات قصائد ومقطعات مستقلة نفسوا فيها عن أهوائهم ومشاربهم، ووصفوا لونها وطعمها ورائحتها وكئوسها وسقاتها وغير ذلك مما سنتحدث عنه بعد قليل.

٢ - الهجاء..

وعلى نحو ما تطور فن المديح، ودخلته عناصر التجديد، تطور فن الهجاء، بل لعل التطور فيه كان أوسع، لأنه الفن الذى لا يتصل بالخلفاء، بل يتصل بالحياة العامة.. وهى حياة لم يعد أساسها العصبيات القبلية.

(٦٨) انظر بعضها فى الأغانى ٣٦/٤ (دار الكتب).
(٦٩) مقدمات أبى تمام يتجلى فيها هذا الجانب تجليا واضحا، وكذلك مقدمات البحترى.
(٧٠) بدأ هذا الاتجاه بشار وتوسع فيه مسلم وأبو نواس وأبو العتاهية، غير أن هذا الاتجاه لم يدم طويلا.

ومن أجل ذلك ضعف فن النقائض، الذى كان شائعا فى العصر الأموى، عند جرير والفرزدق والأخطل. بيد أن الهجاء لم تضعف حدّته، وتخمد جذوته بسبب التنافس الشديد بين الشعراء، فهو سلاحهم وعتادهم فى الدفاع عن أنفسهم، والهجوم على أعدائهم.

وطبيعى أن تكون قصيدة الهجاء «قصيدة شعبية». لأنها ليست مما يقدم للخلفاء والوزراء والقواد إلا قليلا مما يمكن أن نسميه نقدًا اجتماعيًّا.

وأكثر الهجاء نجده مقطوعات قصيرة، لأنهم كانوا يتمثلون بفكرة الأمثال الفارسية ويترامون بها كما يترامى المحاربون بالسهام ، وهى سهلم تغمس فى الرّذائل التى كان المجتمع يحتقرها ويزدريها كالبخل.

وقد تبارى الشعراء فى رسم معانيه، تارة يخزون وخز الإبر، وتارة يطعنون طعنات قاتلة، من ذلك قول بشار فى هجاء ابن قزعة بشُحّة:(٧١)

فَلَا تَبْخَلَا بُخْل ابن قزعةَ إنه مخافة أَنْ يُرْجى نداه حزينُ
إذَا جِئْتَه للعُرْف أغلق بَابَهُ فلم تَلْقَه إلّا وأَنْتَ كَمِينُ

وقول أبى تمام مصورًا غيرة شخص لا فى موضع الغيرة من نسائه، وإنما الغيرة على طعامه وَرُغفانه حتى لكأن كسر رغيفه كسر عظم من عظامه، بل لكأنه فتك به أشد الفتك(٧٢)

صدَقَتْ أَلِيَّته إنْ قَالَ مُجْتَهِدًا لا والرَّغيف، فذاك البرُّ من قَسَمِهْ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِى لو أَنَّ غَيْرَتَهُ على جُرْذَقِهِ كانتْ عَلَى حُرَمِهْ
إنْ رُمْتَ قِتْلَتَهُ فَأْفتِكْ بخبزَتِهِ فَإِنَّ مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِهِ ودَمِهْ

واشتهر فى هذا العصر حماد عجرد وبشار بن برد فى أهاجيهما التى كان الصغار ينشدونها ويرفعون بها أصواتهم فى الطرقات، وكلها تدور حول الاستخفاف والتهوين والتحقير.

يقول حماد عجرد:(٧٣)

وأَعْمَى يُشْبِـه القِـرْدَ إِذَا مـا عَمِىَ القِـرْدُ
دَنِىّ لم يَـرُحْ يومًـا إلَى مَجْـدٍ ولم يَـغْـدُ
ولم يَحْضُـر مع الحُضَّـا......رِ فى خَـيْرٍ ولم يَـبْـدُ
ولم يَخْشَ لـه ذَمٌّ وَلَمْ يُـرْجَ لـه حَمْـدُ

---

(٧١) ابن المعتز ص ٣٦.
(٧٢) ديوان أبى تمام ص ٤٥٩، وانظر عيون الأخبار ٢٤٦/٣ [أليته: قسمه وحلفه، الجراذق: جمع جرذق وهو الرغيف].
(٧٣) الأغانى ١٤/ ٣٢٩ (دار الكتب)

ويقال إن بشارًا حين سمع هذه الأبيات بكى من شدة إيلامها لنفسه، فقال له قائل: أتبكى من هجاء حماد؟ فقال: والله ما أبكى من هجائه، ولكن أبكى لأنه يرانى ولا أراه، فيصفنى ولا أصفه.

وتهاجوا أيضا بالزندقة(٧٤)، وهتك الأعراض، وربما كان لشيوع المجون والفحش أثر فى ذلك.

وتشيع فى كثير من قطع الهجاء روح السخرية المريرة، وقد تشيع روح الفكاهة المضحكة على نحو ما يلقانا من هجاء أبي العتاهية(٧٥) لعبد الله بن معن، وقد جعل منه فتاة تتزين لتغرى الرجال.

وقد دفعت الشعوبية بعض الشعراء - من أمثال بشار(٧٦) ليهجو العرب بأشعار تُعَدّ وصمة فى جبينهم، فهى تصوير لضراوة حقدهم العنيف على العرب.

وفى قصائد وأبيات الهجاء نجد الشعراء يوائمون بين أهاجيهم ومهجويهم، تماما مثلما كانوا يوائمون فى مدائحهم، فإذا كانوا قضاة وصفوهم بالظلم، وإذا كانوا وزراء وصفوهم بالجور والعنت، وإن كانوا مرتشين أو مختلسين وصفوهم بذلك وأذاعوا سرقاتهم(٧٧). ولابراهيم بن العباس فى ذلك مقطعات كثيرة فضح بها ابن الزيات، وزير الواثق فى مرحلة الصراع بينهما، مما كان سببا فى مصادرة أمواله، ثم فضيحته واعدامه.

٣ - الفخر..

والفخر من الموضوعات التقليدية القديمة، التى امتدت جذورها عبر العصور، تصور نفسية الشاعر وتتحدث عن شجاعته وتصوير بطولاته، وأمجاد قبيلته، وتسجل مفاخرها ومآثرها، لذلك ظلت له حيوته، وظل صوته مدوّيا.

وهو وإن كان قد ضعف فيه الفخر القبلى أو النزعة القبلية الخالصة - إلا أنه قد ظهر فيه فى هذاالعصر - تعصب بعض الموالى لمواليهم ولجنسياتهم. وأشعار بشار فى التعصب للقيسيين مشهورة، من مثل قوله:(٧٨)

(٧٤) انظر هجاء حماد عجرد لبشار بالزندقة الأغانى ٣٢٥/١٤.
(٧٥) الأغانى ٢٢/٤ (دار الكتب).
(٧٦) انظر على سبيل المثال قصيدة لبشار فى ديوانه ٣٧٧/١.
(٧٧) انظر فصل الهجاء فى شعر ابراهيم بن العباس.
(٧٨) الأغانى ١٦٢/٣.

إذَا مـاغَضِبْنَا غضبـةً مُضَـرِيَّـةً هَتَكْنا حِجَابَ الشَّمْس أوَمْطَر الدَّمَا
إذَا ما أَعَرْنَا سَيِّدًا من قبيلة ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَـا وسَلَّمَا

وكان أبو نواس يتعصب لمواليه من بنى سعد العشيرة القحطانيين، وقد نظم فيهم أشعارًا كثيرة، وجاراه فى ذلك دعبل الخزاعى، الذى ردّ على مذهَّبة الكميت التى تشيّع فيها للنزاريين على القحطانيين ردًّا عنيفا مما جعل أبا سعد المخزومى يهاجيه طويلا(٧٩).

على أننا نرى الفخر يتحول عند بعض الشعراء من فخر قبلى إلى فخر شعوبى، يستمد من العصبية الجنسية، ويمتلئ بالحقد والعنف الشديد على العرب.

فبشار بعد أن نجحت الثورة العباسية، أظهر ما كان يستره من كره للاسلام والعرب. وأخذ يعنف بهم عنفا شديدًا، مصورًا البغض الذى كان يحرق كبده، من مثل قصيدته البائية(٨٠):

هَـلْ مِنْ رَسُـولٍ مُخْـبِرٍ عَـنِّى جَمِـيـعَ الـعَـرَبِ
بـأنـنى ذُو حَـسَـبٍ عَـالٍ عـلى ذى الحسبِ
جَدِّى الَّذِى أَسْمُـو بِهِ كِـسْـرَى وسـاسـان أبِى
وَقَـيْـصَـرُ خَـالِى إذَا عَـدَدْتَ يَـوْمًـا نَـسَـبِـى

وهناك فخر هادئ لا يصور عصبية ولا قبلية ولا جنسية، وإنما يصور شعورًا طاغيا بالخلق الكريم، والشيم الرفيعة، من مثل قول عوف بن محلم الخزاعى(٨١).

وَإنِّى لَذُو حِلْمٍ على أن سَوْرَتِى إذَا هَزَّنِى قَوْمٌ حميتُ بِها عِرْضِى
وإنِّى لأُجْـزِى بـالكرامـة أهلهـا وبِالْحِقْد حِقْدًا فى الشدائِدِ والخَفْضِ

وقول بكر ابن النطاح(٨٢):

ومَنْ يَفْتَقِـرْ مِنَّا يَعِشْ بحُسَـامِـهِ ومَنْ يَفْتَقِر مِنْ سَائِرِ الناس يَسْأَلِ
وَإنَّـا لنَلْهُـو بـالسيوف كـما لَهَتْ فتـاةٌ بِعِقْدٍ أو سِخَـابِ قَـرَنْفُـلِ

كما أن هناك فخرًا يصور الاحساس بالقوة ومغالبة الزمن، ورباطة الجأش، وممن أكثر من بث هذا الفخر فى مدائحه وشعره أبو تمام، ثم تبعه فيا بعد المتنبى.

---

(٧٩) انظر الأغانى ٢٩/١٨ (طبع الساسى).
(٨٠) ديوان بشار ٣٧٧/١.
(٨١) ابن المعتز ص ١٩٢ (السورة: السطوة وشدة الغضب)
(٨٢) الأغانى ١٥٥/١٧ (الساسى) [السخاب: القلادة وعادة تكون من القرنفل وبعض الطيب]

٤ - الرثاء

والرثاء من الموضوعات التى تمس النفس الانسانية، وتحرك مشاعرها إزاء الموت، لفقد الأهل والأحبة والأصدقاء، وهو موضوع قديم برع القدماء فى تمثله وتصويره، والتعبير عنه، على نحو ما نرى فى رثاء الخنساء لأخيها صخر، من مثل قولها[٨٣]:

أَغَرُّ أَبْلَجُ تَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كَأَنَّهُ علمٌ فى رَأْسِهِ نَارُ

وإذا ما وصلنا إلى عصر الرجل، وجدنا الشعراء ينشطون نشاطًا، ويجدّون جدًّا فى التعبير عن جزعهم ورثائهم وتأبينهم لأبطالهم، وقد تمثلوا العديد من معانيه لما بثته فى نفوسهم وعقولهم وخواطرهم الثقافة والفلسفة، بما يتصل بمشكله الحياة والموت، لذلك نراهم يصوغون معانى الرثاء صياغة تعكس الحزن والأسى وأحاسيسها على النفوس، وقد صوروا أن الموت كأس دائر يتجرع غصصه جميع الناس، وأخذوا يضيفون إلى ذلك تأملاتهم فى حقائق الموت وسنن الوجود. من مثل قول ابن مناذر فى تأبين عبد المجيد الثقفى[٨٤]:

كلُّ حَيٍّ لاَقَى الحِمَامَ فَمُودِى ما لحيٍّ مُؤَمَّلٌ مِنْ خُلُودِ
لاَ تهابُ المَنُون شَيْئًا ولاتَرْ عَى على وَالدٍ وَلاَ مَوْلُودِ

ولم يترك الشعراء خليفةً ولا وزيرًا ولا قائدًا مغوارًا إلاّ وأبّنوه تأبينًا رائعا، وقد صوَّروا فى هؤلاء القواد خاصة بطولاتهم، وجزع الأمة لفقداتهم. وهو وإن كان رثاء يفطر القلوب حسرة وجزعًا وحزنًا ولوعة.. إلاّ أنه يحتفظ بالحماسة والقوة، ويخلد سيرهم وبطولاتهم ويمجد ذكراهم تمجيدًا يضرم الحمية فى نفوس الشباب للدفاع عن العرين حتى الموت، دفاعًا يقوم على البأس والقوة والاستطالة. ومن خير ما يمثل هذا الرثاء.. مراثى أبى تمام[٨٥]، من مثل قوله فى مرثيته العينية فى محمد بن حميد الطوسى:

وماكنتَ إلاّ السيف لاَقَى ضريبةً فقَطَّعَهَا ثُم انْثَنَى فتقطَّعَا

وبكى الشعراء رفاقهم وأصدقاءهم بكاء مرًّا، بكاء يصور مرارة الفراق.. من مثل قول بشار فى رثاء أحد أصدقائه[٨٦]:

---

(٨٣) المصون فى الآداب ص ١٧.
(٨٤) ابن المعتز ص ١٢٢.
(٨٥) الديوان ص ٣٣٥ (طبعة بيروت)
(٨٦) المختار من شعر بشار للخالدين ص ٢٥ (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) [جزر: جمع جزور وهو البعير الذبيح، ظاعنين: سائرين، خفضا جمع خافض وهو المقيم

أشربْ عَلَى تَلَفِ الأحِبَّةِ إنَّنا جُزُرُ المَنِيّةِ ظَاعِنِينَ وخُفَّضَا
وَيْلِى عليه وَوَيْلَتِى مِنْ بَيْنِهِ كان المحبَّ وكنت حبًّا فانقضى
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وذُقْتُ فِرَاقَهُ فوَجَدْتُ ذا عَسَلًا وَذَا جَمْرَ الغَضا

وما من أحد من الشعراء إلّا وقد فقد أخًا أو ابنا، فكانت تميد به الأرض ويبكى بدموع غزار، وكان أكثر ما يخفف عنهم أساهم وجزعهم أبيات ينظمونها، يفرغون فيها طاقتهم، وينفسون فيها عن مشاعرهم وما يعتمل فى قلوبهم من حزن.

يقول العُتْبى فى رثاء ابن له اختطفه الموت وهو فى ريعان شبابه، بعد أبناء آخرين(٨٧):

وَقَاسَمَنِى دهرى بَنِىَّ بِشَطْرِهِ فلمّا تَقَضَّى شَطْرَه عَاثَ فى شَطْرِى
ألا لَيْتَ أمىّ لَمْ تَلِدْنِى وَلَيْتَنِى سَبَقْتُكَ إذْ كُنّا إلَى غَايَةٍ نَجْرِى
وكُنتُ بِهِ أَكْنَى فأَصْبَحْتُ كُلَّمَا كُنِّيت بِهِ فاضَتْ دُمُوعى عَلَى نَحْرِى

وعلى نحو ما تفجعوا على أبنائهم وإخوتهم، تفجعوا على زوجاتهم تفجعًا كله عطف وبر ورحمة، ولابن الزيات مراث مختلفة لزوجته، توضح من بعض الوجوه ثراء الفكر العباسى بالخواطر، وقدرتهم على تحليل وتمثيل أحزانه. يقول فى رثاء زوجته وحزن طفله الذى افتقد عطف الأم وحنانها(٨٨):

ألَا مَنْ رأى الطفلَ المُفَارِقَ أُمَّهُ بُعَيْدَ الكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ
رَأى كلَّ أُمٍّ وابنها غير أُمِّهِ يَبِيتَانِ تَحْتَ اللَّيلِ يَنْتَجِيَانِ

* وظلت مآتم الشيعة قائمة منذ العصر الأموى، يقوم عليها السيد الحميرى والكميت، بل منذ مقتل على بن أبى طالب، وظلوا ينوحون على ذويهم نواحا حارًا، ودموعهم لاترقأ ولا تجف وأهم من يلقانا من شعراء التشيع فى هذا العصر - إلى جانب ابراهيم بن العباس. منصور النمرى، ودعبل الخزاعى، وديك الجن وغيرهم.

ولدعبل قصيدة يصور فيها ما نزل بالعلويين من كوارث فى كربلاء وغيرها وينوح على قتلاهم، وخاصة الحسين نواحا مؤثرًا، ويفيض فى حرمانهم من الاستمتاع بحقهم فى الخلافة آملا فى خروج المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت ظلما وجورًا. وفيها يقول(٨٩):

مَلامَك فِى آلِ النبىِّ فإنَّهم أحِبَّاىَ مَا عَاشُوا وأهْلُ ثِقَاتى

---

(٨٧) الحماسة بشرح المرزوقى ص ١٠٧١، وانظر زهر الآداب ٢١٢/٣
(٨٨) ديوان ابن الزيات ص ٦٧ (نشر جميل سعيد بمطبعة نهضة مصر بالفجالة) وانظر العمدة ١٢٥/٢
(٨٩) أنظر ماكتبه عنه أستاذنا الدكتور شوقى ضيف فى كتابه العصر العباسى الأول ص ٣١٨ وما بعدها

فيارَبّ زِدْنى مِنْ يَقينى بَصيرةً ... وَزِدْ حُبَّهم يارَبُّ فى حَسَناتِ
ألم تَرَ أنّىَ مِنْ ثَلاثِين حِجّةً ... أروحُ وأغدو دائم الحَسَرَاتِ
أرى فَيْئَهُمْ فى غيرهِمُ متقسَّمًا ... وأيديهم من فَيْئِهِم صَفِراتِ
وَلولاَ الذى أرجوه فى اليوم أو غَدِ ... تَقَطَّع قَلْبِى إثرهم حَسَراتِ
خروجُ إمامٍ لاَ مَحَالةَ خارِجٌ ... يَقومُ عَلَى اسْمِ اللهِ والبركاتِ
يُمَيِّز فينا كلَّ حَقٍّ وباطل ... وَيَجْزِى عَلَى النَّعْماءَ والنَّقماتِ

ومن العناصر الجديدة التى أضافوها لفن الرثاء، مراثيهم للمدن والقصور(٩٠)، وقد استطاع الشعراء أن يستنبطوا فى ذلك كثيرا من المعانى الدقيقة، والأفكار الطريفة.

٥ - الاعتذار والعتاب..

والاعتذار - موضوع من موضوعات الشعر القديمة، وجدناه كثيرا عند النابغة الذبيانى(٩١)، حتى لقد طغى على عناصر شعره الأخرى، وتابعه فى ذلك شعراء آخرون، إسلاميون ومحدثون وترسموا خطاه، متخذين لهم مسالك دقيقة تدل أوضح الدلالة على رهافة الحسّ وخصب الشعور.

من مثل قول سلم الخاسر (ت ١٨٦هـ) معتذرًا للمهدى:

إنّى أعُوذُ بخيرِ النّاسِ كُلّهم ... وأنتَ ذَاكَ بِمَا تَأْتى وتَجْتَنِبُ
وأنتَ كالدَّهْرِ مبثوثا حَبَائِله ... والدَّهْرُ لا مَلْجأً مِنْهُ ولا هَرَبُ
ولَوْ مَلَكْتُ عنان الريح أصْرِفُهُ ... فى كل ناحية مَافَاتَكَ الطَّلَبُ

ومن شعراء العصر الذى جالوا فى مجال الاعتذار والعتاب، أبوتمام، إذ يقول(٩٢):

لَئِن كنت أخْطُو ساحة المَحْل إننى ... لأترك روضًا من جداك وجَدْوَلا

ويقول أبو دلف معاتبا(٩٣):

وَمَنْ لى بالعين التى كنت مَرّةً ... إلىّ بها فى سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

وتزخر دواوين شعراء العصر وتراجمهم بالاعتذرات والمعاتبات بين الأصدقاء، تعبر عن عواطف الصداقة الدقيقة، وقد تفننوا فى رسم اعتذاراتهم مستوحين فيها قدراتهم العقلية،

(٩٠) انظر قصيدة الخُرَيمى فى رثاء بغداد بعد أن حوصرت فى عصر الأمين، ثم رميت بالمجانيق فاندلعت فيها النيران واحترقت بعض الأحياء - (مروج الذهب ٣١٣/٣)
(٩١) أنظر أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٠ ومابعدها
(٩٢) الديوان ١٠٨/٣ (طبع المعارف) [المحل: الجدب، والجدا: العطاء]
(٩٣) العقد الفريد ١٦٥/٢

وحسن تصرفهم، من ذلك اعتذار ابراهيم بن سيابة للفضل بن الربيع، وكان قد سخط عليه سخطا شديدًا.

إن كان جُرْمى قد أَحَاط بِحُرْمَتِى … فـأَحِطْ بُجْرمِى عَفْـوَكَ المَـأْمُـولاَ
فكَمْ ارتجيتـك فى التى لا يُرْتجى … فى مثلهـا أحـدٌ فَنِلْتُ السُّـولاَ
وضللتُ عنك فلم أجدْ لى مَذْهَبًا … ووجدتُ حِلْمَك لِى عَلَيْـكَ دَلِيلاً
هَبْنِى أَسَأْتُ - وما أَسَأْتُ - أُقِرّكى … يـزدادُ عَفْوُك بَعْـدَ طَوْلـك طُولاَ
فـالعفو أَجْمَـلُ والتفضّل بـامرىءٍ … لم يَعْدم الرَّاجُونَ مِنْه جَمِيـلاً(٩٤)

وواضح أن هذا الاعتذار مكتوب بأقيسة منطقية سديدة.

٦ - الصداقة

ويتصل بموضوع العتاب والاعتذار: موضوع الصداقة والأخوة، وهو من الموضوعات الحديثة التى استحدثتها العقلية العباسية، وقد وقف الشعراء أمام هذا الموضوع وقفات طويلة فتحدثوا عن واجبات الأخّوة والصداقة، واختيار الاخوان والأصدقاء، وسَبْر أخلاقهم قبل اصطفائهم، فهم على طبقات: منهم من يشبه الدواء، ومنهم من يشبه الداء، ومنهم المتصنع الملق الذى يشبه الثمرة المرّة حسنة المنظر، فإن نزل بك سوء فر منك وازورّ عنك.

وفى ذلك يقول حماد عجرد(٩٥):

كَمْ مِنْ أخٍ لك لستَ تنكرهُ … مـادمتَ مِنْ دُنْيَـاكَ فى يُسْـرِ
مُتَصَنِّـعٍ لَـكَ فى مَـوَدَّتِـهِ … يَلْقَـاكَ بـالتَّـرْحِيبِ والبِشْـرِ
يُطْرِى الوفاءَ وَذَا الوَفَاءِ وَيَلْـ … ـحَى الْغدرَ مُجْتهِدًا وذا الغَـدْرِ
فَإذا عَدَا - والدَّهْرِ ذَو غِـيَرَ … دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ(٩٦)
فـارفُضْ بـإجْمَـالٍ مـودَّةَ مَنْ … يَقْـلِى المُقِـلَّ وَيَعْشَقُ المُـثْرِى

وحماد يجعل مقياس الأخوة الصادقة المواصلة فى العسر، ويعرض علينا صورة الإخاء الكاذب، الذى لا يعرف الأخ فيه أخاه إلا فى السراء، أما فى الضراء فيزوّر عنه إزورارًا.

* وجعلهم تفكيرهم فى الأخوة ينهون عن صحبة الحمقى لما تجرُّ من بلاء كثير.. وفى ذلك يقول أبو العتاهية(٩٧):

---

(٩٤) الأغانى ٩١/١٢ (دار الكتب) [السول: السؤل وهو ما يسأله، وخففت الهمز للشعر، الطَّول: الفضل]
(٩٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٨، والأغانى ٣٥٩/١٤ [يطرى: يمدح، يلحى: يذم.
(٩٦) عدا الأولى من العداء والثانية من العدو أى الجرى. بإجمال: بأدب، يقلى : يكره.
(٩٧) العقد الفريد ٣٥٧/٦

احْـذَرْ الأَحْمَقَ أن تـصـحـبـه ... إنَّمـا الأَحْمَقُ كـالثَّـوبِ الخَـلَقْ
كُـلَّمَا رقَّـعْـتَــه مِـنْ جـانـبٍ ... زَعْـزَعَتْه الـرِّيحُ يـومًا فـانْخَـرَقْ
أو كَصْدع – فى زُجَاج – فَاحِشٍ ... هَـلْ تَرَى صَـدْعَ زُجَاجٍ يلْتَصِقْ
فَــإذا عَــاتبْتَــه كَىْ يَـرْعَـوِى ... زَادَ شَــرًّا وتَمَـادَى فى الحُـمُـقْ

ويقول بشار – عن الصداقة والصديق(٩٨):

إذَا كُنْتَ فِى كُلِّ الأُمُورِ مُعَـاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّـذِى لاَ تُعَاتِبُـهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فإنَّهُ ... مُقَــارِفُ ذَنْبٍ مَــرةً وَمُجَــانِبُــهْ
إذَا أَنْتَ لم تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى القَذَى ... ظَمِئْتَ وأىُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

٧ – الغزل..

ومن الموضوعات القديمة الشائعة التى ترتبط بعاطفة المرء وأحاسيسه «الغزل» والغزل هو الموضوع الأول والأساسى عند الشاعر القديم حتى لقد جعل فاتحة أى عمل فنى هو حنينه إلى ذكرياته وأيام صباه، وتذكره للأحبة وديارهم، ومراتع لهوهم وأماكن لقاءاتهم.

لقد كان الغزل الفن الشعرى الذى يجد فيه الشاعر متنفسا عن تباريحه وأشجانه، وحنينه وأسقامه. لذا فهو خير وسيلة لترجمة عواطف الفرد فى كل زمان وآن.

تطور فن الغزل منذ عصره القديم.. حتى إذا وصلنا إلى عصر إبراهيم بن العباس، وجدنا للغزل أكثر من صورة.. فهناك الغزل العذرى العفيف، الذى يصور كل معانى الحب البرىء المنزّه ويحكى معانيه، ويسجل الحنين ولوعة الحب، وعذاب الصد والهجران بما يحمل بين طيات ذلك كله من فقدان الأمل واستعذاب الألم.

* وهناك الغزل المادى الصريح، الذى انسابت جداوله منذ عمر بن أبى ربيعة وأمثاله لتصب فى أنهار شعراء العصر، بما يحمل بين طياته من حسّ وشهوة ووصف لجمال المرأة الجسدى، وما يتبعه من إغراء.

نما هذان الاتجاهان جنبا إلى جنب، ونما بجانبهما نوع ثالث من الغزل الشاذ، الغزل بالغلمان، ومعروف أن أبانواس يعد ضريبة كل هذا الإثم ويتحمل وزره.

ولقد كان أصحاب الغزل العذرى من القلة بحيث طغى عليهم أصحاب الغزل المادى الصريح، والغزل الشاذ، بحكم ما كان فى المجتمع من تحلل خلقى، أعانت عليه أسباب مختلفة،

---

(٩٨) ديوانه ١/٣٠٥ والأغانى ٣/٩٧ [مقارف: مرتكب]

إذ كان كثير من الشعراء زنادقة مستهترين خارجين على المثل والتقاليد العربية الإسلامية، فأطلقوا لأنفسهم العنان، فصوروا نوازع غرائزهم النوعية، تصويرًا يعكس ما فى نفوسهم من مجون وفسوق، على نحو ما نجده عند بشار زعيمهم، من مثل قوله:(٩٩)

لا يُؤْيِسنَّكَ مِنْ مُخَبَّأةٍ قَوْلٌ تُغَلِّظُه وَإن جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إلَى مُيَاسَرَةٍ والصَّعْبُ يُمكِنُ بَعْدَ ما جَمَحا

ومع ذلك كانت هناك لاتزال أسراب من الغزل العفيف تحلق فى سماء الفن. وإمام هذا الفن فى هذا العصر بلا منازع العباس بن الأحنف، فقد قصر شعره على التغنى بالغزل العفيف بما يشعل قلبه من نيران اللوعة والوجد، وما يثيره من حنين، حتى لقد يذرف الدموع من مثل قوله فى فوز:(١٠٠)

أَزَيْنَ نِسَاءِ العَالَمِين أجيبى دُعَاءَ مَشُوقٍ بالعِرَاقِ غريبِ
كتبتُ كتابى ما أقيمُ حُرُوفَه لِشِدّةِ إعْوَالِي وطول نَحِيبِى
أَخُطُّ وأمْحُو ما أَخُطُّ بِعَبْرَةٍ تَسُحُّ عَلَى القرطاس سَحَّ ذنوبِ
أَيَا فَوْزُ لَوْأبْصَرْتِنِي مَاعَرفْتِني لِطُولِ نُحُولِي بَعْدَكُمْ وشحُوبِي
وأنتِ من الدنيا نَصِيبى فإن أَمُتْ فَلَيْتَكِ مِنْ حُورِ الجِنَانِ نصيبى
أرى البَيْنَ يَشْكُوه المحبون كُلُّهم فَيَارَبُّ قرِّبْ دار كُلِّ حَبِيبِ

وقد حرص شعراء العصر، بما حصلوا عليه من ثقافة، وبما أوتوا من خبرة، وبما حصّلوا من ذخيرة فنية ولغوية، أن يأتوا فى غزلهم بالكثير من المعانى الطريفة، والأخيلة البديعة، وأعملوا عقلهم وفكرهم، فأخرجوا روائع الغزل، من مثل قول بشار:(١٠١)

أَتَتْنِي الشمسُ زائرةً ولم تَكُ تَبْرَحُ الفَلَكا

وقول أبى نواس فى جَنَان:(١٠٢)

حَوْراءُ إنْ نَظَرَتْ إلَيْكَ سَقَتْكَ بالعَيْنِ خَمْرَا
وكأنْ رَجْعَ حديثها قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا
وكأن تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيه سِحْرَا
يُزِيدُك وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

(٩٩) الأغانى ٢٠٩/٣ (دار الكتب).
(١٠٠) ابن المعتز ص ٢٥٤، ابن قتيبة ص ٨٠٣.
(١٠١) المختار من شعر بشار ص ٦٤.
(١٠٢) الديوان ص ١٦٥ (طبعة آصاف).

وقوله فى دنانير:

صَلَيْتُ من حبها نَارَيْن، وَاحِدَةٌ فِي وَجْنَتَيْهَا وأُخْرى بَيْنَ أَحْشَائِى

وقول مسلم بن الوليد:(١٠٣)

أُقِرُّ بالذَّنْبِ مِنِّى لَسْتُ أَعْرِفُه كَيْمَا أَقُولُ كَمَا قَالَتْ فَنَتَّفِقُ
حَبَسْتُ دَمْعِى عَلَى ذَنْبٍ تُجَدِّدُه فكُلُّ يوم دُمُوعَ العَيْنِ تَسْتَبِقُ

وهكذا كان نظم شعراء عصر الرجل فى الغزل، إنهم لم يكادوا يتركون معنى للقدماء إلا أثاروه وسبقوه، سواء اتصل هذا المعنى بالغزل الحسى أو بالغزل العُذْرِى، ومضوا يدلون على ذوق مهذب صاف، وحسّ رقيق، وشعور مرهف دقيق، متأثرين بما غمستهم به الحضارة الجديدة، وبما ألبستهم منه الثقافات المعاصرة المائجة حولهم، فحاولوا هم من ناحيتهم أن يطوفوا سامعيهم، ومتذوقى فنهم بما يرسمون من صور فنية دقيقة المعانى، وأخيلة رائعة مبكرة.

٨ - الخمريات..

والخمريات من الموضوعات القديمة التى ترتبط بالجاهلية(١٠٤)، ومعروف مدى انتشارها وغمرها لكل المنتديات، حتى لقد كانت وسيلة من وسائل الشهامة والكرم وحسن الضيافة عند الشعراء، فقد وجدنا حديثا عنها فى شعر عنترة وزهير والأعشى وعدى بن زيد وغيرهم. ثم تابعهم فى ذلك الشعراء، منذ أواخر عهد بنى أمية، على نحو ما هو معروف عن الوليد بن يزيد وبطانته وحاشيته(١٠٥).

فإذا ما وصلنا إلى عصر إبراهيم بن العباس، وجدنا مجالس الخمر تتفشى فى الكوفة والبصرة، حتى إذا انشئت بغداد نافستها فى الخمر والمجون، ويعد مطيع بن إياس فى الكوفة(١٠٦)، وبشار فى البصرة(١٠٧)، القائدين لهذه الخمرية. فمن يرجع إلى ترجمتها فى الأغانى، يجد صورة قوية من الاباحية والاستهتار، على شاكله قول مطيع:

اخْلَع عِذَارَكَ فى الهَوَى واشرب مُعَتَّقَةَ الدِّنَانِ
لا يُلْهِيَنَّكَ غيرَ ما تَهْوَى فَإِنَّ العُمْرَ فَانِي

---

(١٠٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٩.

(١٠٤) انظر اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ٤٨٩ للدكتور محمد مصطفى هدارة طبع دار المعارف سنة ١٩٦٣.

(١٠٥) انظر التطور والتجديد فى الشعر الأموى لأستاذنا الدكتور شوقى ضيف ص ٢٧٢ وما بعدها.

(١٠٦) انظر فى مطيع وأخباره وأشعاره: ابن المعتز ص ٩٤، الأغانى ٢٧٤/١٣.

(١٠٧) الأغانى ١٣٥/٣، ٢٤٢/٦.

وأبو نواس أستاذ فن الخمريات فى الشعر العربى غير مدافَع، سواء من حيث الكمية، أو من حيث الكيفية، فقد عاش للخمر، يتغنى بها مجاهرًا بالفسوق والمجون، وكان شىء من ذلك قد أخذ يشيع على ألسنة الشعراء منذ ظهور الوليدبن يزيد، ونَمَّاه بشار ومطيع بن إياس ووالبة بن الحباب وعصاباتهم من المجان فى البصرة والكوفة. غير أن أبا نواس اتسع به اتساعا شديدًا، فإذا الخمرية تتكامل صُورتها وتتَفرد لها القصائد والمقطوعات، وتصبح فنا مستقلا، له وحدته الموضوعية، مستعينًا فى ذلك بملكاته العقلية الخصبة، التى أمدته بكثير من المعانى الدقيقة، ومستعينا أيضا بملكاته الخيالية التصويرية البديعة، التى رفدته بكثير من التشبيهات والاستعارات البارعة، وحتى إن فاته التصوير النادر والمعنى الدقيق أحيانا، فإنه لم تكن تفوته حلاوة النغم ورشاقة اللفظ، وقد مضى يتحدث عن كئوسها ودنانها وعتقها وطعمها ورائحتها ومجالسها، مصورًا كلفه بها وهيامه وتهالكه على احتسائها من أيدى سُقَاتها بين آلات الطرب ورنَّات القيان(١٠٨)، يقول:(١٠٩)

إنما العَيْشُ سماعٌ ... ومُــدامٌ ونــدامٌ
فـإذا فَـاتَــكَ هـذا ... فَعَلَى الدنيا سلامَ

فلا حياة فى رأيه سوى حياة الخمر والمجون فى بيوت القيان وفى الحانات، ومن ثم مضى يدعو فى خمرياته دعوة واسعة إلى العدول عن وصف الأطلال إلى وصف الخمر والمتاع بما يقترن بها من غناء وسُقاة، على نحو ما يصور ذلك فى قوله:(١١٠)

لاتَبْــكِ لَيْـلَى ولاتَــطْرَبْ إلى هِنْـد ... واشْرَبْ عَلَى الوَرْدِ من حَمْراءَ كالوَرْدِ
كأسًا إذا انْحَدَرَتْ فى حَلْقِ شاربها ... أَجْـدَتْـه حُمْـرَتَهـا فِى العَـيْنِ والخَـدِّ
فـالخَمْـرُ يَـاقُـوتَـةٌ والكَـأْسُ لُؤلُؤَةٌ ... فِى كفِّ جَـارِيـةٍ مَمْشُـوقـةِ القَـدِّ
تُسْقِيكَ من يدهـا خمرًا وفى فمهـا ... خَمْـرًا فمالـك من سُكْرَيْنِ مِنْ بُـدِّ

وعلى هذا المنوال هام أبو نواس فى الخمر، وذاب فى خمرياته، حتى لتتردد بين ثناياها دعوة إلى الفجور والمجاهرة بالشراب دون تفكير فى حكم الشرع، أو فى الجنة أو النار. يقول:

الراحُ شيءٌ عَجيبٌ أَنْتَ شَارِبُهَا ... فاشْرَبْ وإنْ حَمَّلَتْكَ الراحُ أَوْزَارَ
يَا مَنْ يلُومُ عَلَى حَمْرَاءَ صَافِيَـةً ... صِرْ فى الجِنَانِ وَدَعْنِي أَسْكُنُ النارَ

(١٠٨) العصر العباسى الأول ص ٢٣٤.
(١٠٩) العقد الفريد ٢٢١/٦.
(١١٠) الديوان ص ٢٦٥ [أجدته: أفادته وأعطته].

ويقول أيضا:

فَخُذْهَا إِنْ أَرَدْتَ لَذِيذَ عَيْشٍ ولاَ تَعْـدِلْ خَلِيلِى بـالْمُدَامِ
فَإِنْ قَالُوا حرامٌ قُلْ حَرَامٌ ولـكِنَّ اللَّذَاذَةَ فى الحــرامِ

وقد مضى أبو نواس وغيرُه من شعراء العصر يتحدثون عن إدمان الخمر، فوصفوا كل ما يتصل بها. أديرتها وسقاتها وكئوسها ودنانها، مصورين نشوتهم بها، وهى نشوة أفقدتهم وعى الحقيقة، ووصلت بهم إلى حد الشغف.

٩ - الزهد..

وإذا كان المجون قد فشا فى جانب من جوانب المجتمع، فقد كان يقابله فى الجانب المقابل زهد وتبتل عند كثيرين، فقد وجدنا غير شاعر ينظم فى رقائق الزهد ودقائقه، متحدثا عن الموت والحساب، والثواب والعقاب، وإيثار ما يبقى على ما يفنى، وما عند الله خير وأبقى، وتحدثوا عن التزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح، كما تحدثوا طويلا عن القناعة بالكفاف والرضا بما قسم الله.

هذا وللزهد بذور وجذور فى الشعر القديم، ولما جاء الإسلام أخذ يزكى جذوته فى نفوس المسلمين، فإذا لبيد والنابغة الجعدى ينظمان مواعظ خالصة، وزهديات تعبر عن أثر الإسلام فى نفوسهم وأشعارهم، ثم تلاهم الشعراء الأمويون، فنظموا كثيرا من الزهديات، وتحدثوا طويلا عن الموت، وأنه نهاية كل كائن حى.

وقد امتص العباسيون كل ما مضى من زهد السابقين، وزهد المعاصرين، وما طبعه الإسلام فى نفوسهم، وما طبعه الحزن والأسى والصراع والثورات فى أذهانهم، فعكفوا على الزهد، واعتكفوا عن الناس، واجدين فى ذلك راحة لنفوسهم، وإيثارًا لما عند الله، فهو خير وأبقى مما عند الناس.

وكان للوعاظ من المتكلمين وغيرهم أثر بعيد فى ذلك، خاصة بعد أن اشتعل المجون فى كل شئون الحياة، فأخذوا يصرخون فى الناس، أن يَنْصَرِفوا عن هذا الطريق المؤدى إلى الهلاك، وكانوا هم أنفسهم مع كثيرين من الفقهاء واللغويين والمحدِّثين يعيشون حياة زاهدة حقة.

وممن اشتهروا وشاركوا فى هذا الجانب من الحياة عبدالله بن المبارك[١١١]، المحدِّث المشهور،

---

(١١١) انظر فى ترجمة ابن المبارك وأشعاره: الأنساب للسمعانى ١٧٩، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٣٥٤/١ والتهذيب لابن حجر ٣٨٤/٥، والنجوم الزاهرة ١٣/٢.

وتلميذ مالك بن أنس، ومحمود الورّاق(١١٢). فشعره كله زهد وتنفير من الدنيا ومتاعها الزائل، ودعوة إلى تقوى الله والعمل الصالح. يقول:

يَا غَافِلاً تَرْنُو بِعَيْنَيْ رَاقِدِ ... ومُشَاهِدًا لِلأَمرِ غيرَ مُشَاهِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إلى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي ... دَرَكَ الجِنَانِ بها وفوزَ العَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ الله أَخْرَجَ آدَمًا ... منها إِلَى الدُّنيا بذنبٍ وَاحِدِ

فلابد للمسلم إذن أن يبادر إلى العمل الصالح، وأن يجافى الذنوب والآثام حتى يكون حقا مطيعا لربه، وهى طاعة لا تتم معرفة الله وشكر نعمه بدونها، بل لا تتم محبته محبة صحيحة إلّا إذا ألح الإنسان فى التماسها، وابتغى إليها كل وسائل العبادة متحاميا المعاصى وكل ما يجر إلى العصيان، منقطعا إلى الله متبتلا له، يقول:

تَعْصِى الإلَه وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَـذَا مُحَالٌ فِى القِيَاسِ بَدِيعُ
لَـوْ كُنتَ تُضْمِرُ حُبَّه لأَطَعْتَه ... إِنَّ المحبَّ لمن أحبَّ مُـطِيـعُ
فى كـلِّ يَـوْمٍ يَبْتَلِيـكَ بِنِعْمةٍ ... منه وأنتَ لشُكْرِ ذاك مُضِيعُ

والظاهرة الملفتة للنظر حقا، أن شعراء المجون أنفسهم مضوا يشاركون شعراء الزهد فى فنهم، إذ كانت تمر بهم أوقات عصيبة، تدفعهم إلى التفكير فى مصيرهم والدنيا وفنائها، وينطقون أحيانا بأشعار زاهدة، من مثل قول أبى نواس:(١١٣)

يَـاطَـالِبَ الـدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَـا ... جَمَحَتْ بـك الآمـال فَـاقْتَصِدِ
والقَصْدُ أحسنُ ما عملتَ له ... فـاسلكْ سَبِيلَ الخـير واجتهدِ
واعْمَـلْ لـدارٍ أَنْتَ جـاعلها ... دارَ المَقَـامَـةِ آخـرَ الأبـدِ

وقوله:(١١٤)

يارُبَّ وَجْهٍ فِى الـتُّرَابِ عَتِيقِ ... وَيَارُبَّ حُسْنٍ فى التُّرَابِ رَفِيقِ
فَقُلْ لقَرِيبِ الدارِ إنَّك راحلٌ ... إلى منزلٍ نَائِى المحلِّ سَحِيقِ
ومالنَّاسُ إلّاهَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ ... وذُو نَسَبٍ فى الهَالِكِينَ عـرِيقِ
إذَا امتحنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَنْ عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ

---

(١١٢) انظر فى محمود الوراق وأخباره وأشعاره: تاريخ بغداد ٨٧/١٣، وطبقات الشعراء ٣٦٧، والبيان والتبيين ١٩٧/٣، والعقد الفريد ٢٢٨/١، وفوات الوفيات ٢٨٥/٢، وعيون الأخبار ٥٣/٣.

(١١٣) الديوان ص ١٩٣.

(١١٤) الديوان ص ١٩٢.

وأخذت تدخل فى الزهد عناصر أجنبية، ولعل خير من يمثل هذا الجانب أبو العتاهية من مثل قوله:(١١٥)

لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنٌ وجَوْهَرُ وأَوْسَطٌ وأَصْغَرٌ وأَكْبَرُ
وكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهْ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهْ
الخَيْرُ والشَّرُّ هما أَزْوَاجُ لِذَا نِتَاجٌ ولِذَا نِتَاجُ
والخَيرُ والشَّرُّ إذا ما عُدَّا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَّا

ومن المهم أن نعرف.. أن الزهد الإسلامى ارتفعت موجته فى هذا العصر حتى تحول فى بعض جوانبه إلى حياة صوفية خالصة، تقوم على حسن التوكل، وطاعة الله، والمداومة على عبادته. واسم رابعة العدوية(١١٦) التى ظهرت فى هذا العصر مشهور، ومثلها إبراهيم بن أدهم.

* هذه هى أهم أغراض الشعر عند شعراء عصر الرجل، وهكذا تطورت بين أيديهم تطورًا كبيرا، بيد أننا لا نستطيع أن ننكر تأثر الشعراء العباسيين بالشعراء الأقدمين تأثرًا واضحا حتى أننا لا نغالى إذا قلنا: إن الشعراء العباسيين وإن كانت قد أثرت فيهم الثقافة والحضارة، فتفننوا وأبدعوا، إلا أنهم ظلوا يسيرون على نهج أسلافهم مترسمين خطاهم، مبقين على الشخصية القديمة للشعر العربى بكل ما يتصل به من عناصر ومقومات، وبكل ما يتصل به من صياغة ناصعة قوية، وكأنما انحل هذا الشعر القديم فى نفوسهم بجميع معانيه وصوره وصياغاته، وقد أخذوا - إبداعا واختراعا - يخرجونه إخراجًا جديدًا، مزاوجين بين العصر الذى عاشوه، والحضارة التى تنفسوها بكل ما يتصل بها من ثقافات، وبين الشراب الشعرى القديم، بحيث نجد عندهم هذا الرحيق الشعرى الصافى، الذى يغذى قلوب العرب فى كل زمان ومكان. فليس هناك انقطاع بين الماضى والحاضر، بل هناك اتصال وثيق محكم، حيث استبقيت عناصر الشعر التقليدية، وأخذت تعاد من جديد، حيث يمكن القول: إن الماضى يمثّل فى الشعر العباسى بأقوى مما كان يمثل عند أصحابه.

ومع إحساسنا الواضح والقوى، بظهور حركة التجديد التى ظهرت فى القرن الثانى إبان عصر الرجل، إلّا أننا لا نستطيع أن نغفل قوة الشعر القديم ونفوذه فى ذلك العصر، فقد ظل مسيطرًا على جانب من الحياة الأدبية فيه، وكانت قوة تيار الشعر القديم لها مظهران:

الأول: خضوع الشعراء المجددين لهذا التيار فى بعض أشعارهم، وبخاصة شعر المديح،

---

(١١٥) انظر رأى الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى زهد أبى العتاهية - العصر العباسى الأول ص ٢٤١ وما بعدها. وانظر فى أبى العتاهية وأخباره وأشعاره: الأغانى ٤/١ (دار الكتب) والشعر والشعراء ٧٦٥، وابن المعتز ص ٢٢٨، والموشح ص ٢٥٤، ومرآة الجنان ٤٩/٢.

(١١٦) قوت القلوب للمكى ٨٤/٣، إحياء علوم الدين للغزالى ٢٦٧/٤.

لإثبات تمثلهم القوى للثقافة العربية القديمة، بكل سماتها وخصائصها، وقدرتهم على مجاراة النهج الشعرى القديم فى بعض الأحيان.

الثانى: وجود شعراء محافظين يلتزمون عمود الشعر القديم، ونهج القصيدة العربية القديمة، فى جميع شعرهم ولا ينساقون وراء التجديد أيًّا كانت صوره وأشكاله. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى نرى الشعراء وقد اتجهوا اتجاهات متعددة، أهمها:

١ – التعبير عن الذات، هى نزعة واضحة كل الوضوح فى شعر القرن الثانى، فقد تحول الشعراء إلى أنفسهم يبحثون فى حناياها، يستقرئون دواخلها وأسرارها، مصورين مشاعرهم وأحاسيسهم، وعكفوا على قلوبهم يستنطقونها فتجيبهم، وتفتح مغاليق أسرارها لهم، فلم يعد تغزلهم مجرد وصف حسى جامد لامرأة مثالية فى جمالها وفتنتها، ولم يعد وصفهم لمظاهر الطبيعة بعيدًا عن مشاعر نفوسهم وإحساساتهم، بل اندمجوا فى تلك المظاهر اندماج الألفة والمشاركة الوجدانية، وكانوا يقيسون حالات نفوسهم بحالاتها، ويقرنون خفقات قلوبهم بخفقاتها..

وهكذا تجدد الاتجاه الذاتى فى الشعر العربى، ودخل مرحلة جديدة تتغور فى أعماق النفس، ولا تكتفى بملامسة سطحها الظاهر، مما أبرز شخصية الشاعر بعد أن كانت مطمورة تائهة فى أوصافه التى يخلعها على الأشياء، بل نجد الشاعر يستغل قصيدته فى المدح، فى عرض مشاعره والتحدث عن ذات نفسه فى أول القصيدة(١١٧).

٢ – الاتجاه الانسانى: وأول خطوة فى هذا الاتجاه يتمثل فى ظهور الإحساس بالوطن، وظهور الشعور الأبوى الرحيم، والتسامح والعتاب، والحديث عن الصداقة والصديق، إلى آخر هذه الأحاسيس التى ترتبط بنوازع الفرد، واتصالاته بين الناس.

ومن المهم أن نذكر.. أن الشعر – إبان عصر إبراهيم بن العباس – تطابق والحياة فى هذا العصر تطابقا تامًا، من نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. نستطيع أن نلمس ذلك فيما بين أيدينا من مصادر أدبية وتاريخية، فظهرت فى هذا الشعر تيارات المجون واللهو، والحكمة والجد، والزندقة والإيمان، وطلب اللذة والزهد، كما صوّر كثيرا من المذاهب الدينية والسياسية والفكرية، التى كانت تسود هذا العصر، وعبر عن الثورات والفتن السياسية، والثقافات المختلفة، التى ماجت فى العصر.. ظهر ذلك كله واضحا فى هذا العصر، حتى أننا لنجد التطابق شديدًا بين الشعر وبيئته وعصره.

---

(١١٧) اتجاهات الشعر فى القرن الثانى الهجرى ص ١٧٤.

النثر وفنونه*

وفى هذا العصر، نما النثر وتطور، وكثرت أغراضه وتنوعت فنونه، ورقّت أساليبه، بعد إذ تحولت إليه الثقافات المختلفة، يغترف منها ويعب، مستغلا كل معارف الشعوب التى أظلتها الدولة الاسلامية، وتدخّل كل ذلك فى تركيبه وائتلاف نسيجه. فإذا هو نثر منمق يصور ثقافة العصر، كُتّابه وأدبائه، ويعكس مدى براعتهم فى تنميق رسائلهم وخواطرهم.

وقد تم هذا التحول إلى النثر عن طريقين:

١ - طريق النقل والترجمة، وقد شجع على المضى فى هذا الطريق - الخلفاء العباسيون ووزرائهم، خاصة البرامكة وبنو سهل وأسرة الصوليين وغيرهم، كما عنى به أفراد مختلفون مثل ابن المقفع، وآل نوبخت وغيرهم.

٢ - وطريق آخر، لعله أعظم أثرا، وأوسع مجرى وهو تعريب الشعوب الداخلة فى الإسلام، وانتقالهم إلى العربية، واعتناقهم لها لغة ولسانًا. فقد كان لهذا التعريب أثره السحرى فى انتقال هؤلاء الموالى والأعاجم بكل ما ورثوه وثقفوه وسجلته قرائح أدبائهم إلى العربية. وهم لم ينتقلوا بآدابهم وثقافاتهم فحسب، بل انتقلوا بكل عاداتهم وتقاليدهم ومثلهم وطرائقهم فى المعيشة، مما هيأ لتفاعل واسع بين العرب والشعوب المفتوحة.

فعلى نحو ما نجحت العقلية العربية فى استيعاب عناصر الثقافة المختلفة، وظهر ذلك جليا فى الشعر، أثمرت هذه العقلية فى امتصاص المباحث الفلسفية، وخاصة فى بيئات المتكلمين، وكان لذلك آثار بعيدة انعكست على النثر الفنى بشعبه المتعددة، لا من حيث الألفاظ والمصطلحات الجديدة فحسب، بل أيضا من حيث ذخائر الفكر اليونانى والعربى.

«ومن المؤكد أن التعبير عن كثير من هذه المعانى والخواطر، لم يكن مألوفًا للعربية، غير أنه قُيِّض من تابعى المتكلمين والكتّاب والمترجمين مَنْ مدَّ طاقتها وجعلها تسيغ تلك الخواطر والمعانى دون دخول أى ضَيْمٍ عليها من شأنه أن يمحو طوابعها أو يجور على خصائصها ومقوماتها، بل

---

* أنظر فى هذا الموضوع الكتب الآتية:
١ - الفن ومذاهبه فى النثر للدكتور شوقى ضيف طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥.
٢ - تطور الأساليب النثرية للأستاذ أنيس المقدسى - طبع بيروت.
٣ - نشأة الكتابة الفنية للدكتور حسين نصار، طبع نهضة مصر سنة ١٩٦٦.
٤ - العصر العباسى الأول للدكتور شوقى ضيف طبع دار المعارف سنة ١٩٦٧.
٥ - أدب الكتاب للصولى، نشر محمد بهجة الأثرى طبع القاهرة سنة ١٣٤١ هـ.

لقد أخذت توفق فى أثناء هذا التحول العقلى والحضارى وما صحبه من تراكيب وصيغ مستحدثه لا عهد لها بها سواء فى المجال العلمى والفلسفى، أو فى المجال الأدبى الخالص، ولم تقف المسألة عند احتفاظها بالقوالب العربية وأوضاعها اللغوية، وتيسير هذه القوالب والأوضاع وتذليلها للمعانى العلمية والفلسفية العميقة وأدائها بخفيات حدودها ورَسْمِها رسماً محددًا دقيقا، بل امتدت إلى استحداث أسلوب مولد جديد، أسلوب يحتفظ للغة بكل مقوماتها، كما يحتفظ بالوضوح والتجافى عن الألفاظ الغامضة، والمعانى المبهمة، بل إنه ليحرص على الأداء البليغ، بحيث يروق المتكلم والكاتب والمترجم والسامع، بعذوبة منطقة، بل بحيث تَلَذّ الآذان حيث تستمع إليه، كما يلذ العقول والقلوب»[١١٨].

وكل ذلك كان إيذانا بتعدد شعب النثر العربى، وتنوع فنونه.. فقد وجدنا فى هذا العصر من فنون النثر الكثير..

- فمن نثر الدواوين الذى يصدر عن الخلفاء والأمراء والوزراء مصرفا لأمور الدولة.

- إلى نثر فنى يحاكى الشعر فى أغراضه، فيتناول الرغبة والرهبة، والعتاب والرثاء، والمديح والتهانى، والاستعطاف والاعتذار.

- إلى نثر إنسانى، يصور نوازع الأفراد وأهواء نفوسهم، ويتناول النفس الإنسانية، من حيث هى مؤثرة فى الحياة، ومتأثرة بها، فهو يصفها ويرسم أخلاقها ويرشدها إلى الخير، ويعظها أن تتورط فى الشر، ويوضح لها سبيل الحياة بما يضرب لها من مثل، وما يفعل بين يديها من حكم.

- إلى نثر ساخر، يقصد به كاتبه التفكه والتندر، والترفيه عن النفس، أو تحقيق اللذة الفنية الخالصة، بتناول الموضوعات الأدبية من نقد للشعر، أو شرح له، أو تحليل لخبيئات معانيه.

- إلى نثر أدبى يقصد به توضيح قيمة عَلَمٍ من الأعلام، شاعر كان أو كاتب أو أديب وإظهار مكانته وبراعته.

- إلى نثر تعليمى، اصطنعه العلماء والكتاب والمعلمون فى دروسهم وأماليهم وكتبهم التعليمية والعلمية، التى قصدوا بها بذل العلم وتقديم الثقافة، دون ما استعراض لأسلوب أو تقعر فى لغة، إنما قصدوا به توصيل المادة العلمية إلى عقول الجمهور الأدبى مباشرة بلا تكلف أو تكليف عناء.

ومن المهم أن نعرف أن النثر - فى عصر الرجل - أصبح فنا تؤدى فيه جميع العلوم، وجميع الأغراض، حتى التى كانت وقفًا على الشعر، وتغيرت طبيعته، فَسَهُلَ ولَانَ، وأصبح طيّعا

---

(١١٨) الدكتور شوقى ضيف: العصر العباسى الأول ص ٤٤٣.

مرنا يستوعب كل ما يصادفه من أمور وعلوم.

*** ويهمنا من كل هذه الأنواع.. ما يتصل بالرسائل الأدبية، الإخوانية والرسائل الديوانية**

١ - الرسائل الأدبية والإخوانية

ذخر عصر الرجل بالكثير من الرسائل الأدبية والإخوانية، التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم إزاء علاقاتهم الإنسانية، ومواقفهم المختلفة منها، من رغبة ورهبة، وعتاب واعتذار، ومديح وهجاء، وتهنئة وتعزية، وتأبين ورثاء.

ومعروف أن كل هذه الأغراض كانت تؤدى قديما بالشعر، فهى الموضوعات التى يجوز فيها النظم. إنما الجديد فى هذا العصر، أن هذه الموضوعات كانت مادة خصبة فى رسم المعانى، وتسجيل العواطف، وترجمة المشاعر، حتى لقد زاحم النثر أخاه بمنكب ضخم، وبرز من الأدباء الناثرين طبقة ممتازة من الكتّاب الذين يجيدون فيه إجادة رائعة، ويُعْنَوْن بتحبير كلامهم، وتجويده وتلوينه بأزهى الألوان الفنية، لكى يطيق حَمْل المعانى الجديدة.

هذا بالاضافة إلى أن النثر الفنى - فيما وجدناه من رسائل - مرن مرونة كبيرة، ورقّت معانيه وتعابيره، وأصبح قادرًا على تصوير ما يختلج فى نفس كاتبه قدرة قد لاتتاح للشعر، لارتباطه بقواعد وقيود متعددة، كالوزن والقافية والتزام الأسس الفنية، والتقاليد التى تواضع عليها الشعراء والنقاد جميعا.

وبذلك كله وقف النثر ندًّا للشعر، ومنافسًا قويا له فى التعبير عن العواطف التى طالما عبَّر الشعر عنها، بل لقد أظهر فى ذلك طواعية ومرونة، لعلها لم تكن تتاح لكبار الشعراء.

وليس هذا فحسب، بل لقد رأينا كبار الشعراء يتخذون النثر أداة للتعبير عن مشاعرهم، كالعتابى(١١٩) وأبى العتاهية، وكأنهم وجدوا فى النثر وسيلة أيسر وأسهل فى التعبير عن خواطرهم، وفسحة لعرض المعانى التى كانوا لا يستطيعون تسجيل دقائقها وخباياها.

وتفيض المصادر الأدبية بالرسائل الاخوانية، التى تفنن الكتاب والأدباء فى تدبيجها وتنميقها وقد حاول كل منهم إظهار مقدرته وبراعته، فأخذ يتأنق فيما يكتب، ويحاول الإطراف بالمعانى أو بالصياغة، بما تجود به قريحته، وتظهره مهارته الفنية.

واشتهر من هؤلاء الأدباء الذين برعوا فى إستغلال مواهبهم الفنية فى كتابة الرسائل

---

(١١٩) يقول عنه الدكتور شوقى ضيف: «كانت قدرته فى الكتابة لا تقل عن قدرته فى الشعر، وكان يعمد فيهما جميعا إلى الإيجاز وأن يروع السامع بمعانيه كما يروع أساليبه [العصر العباسى الأول ص ٤٩٦]. وانظر رسالته إلى صديق انتجعه فى أيام شحيحة مجدبة [فى الأمالى ١٣٧/٢] ويقال إنه بلغ من تأثيره فى صديقه حين قرأ رسالته أن شاطره ماله.

الإخوانية الأدبية: ابن المقفع[(١٢٠)]، ومحمد بن زياد الحارثى[(١٢١)].

وكان لترجمة ابن المقفع لكتاب الأدب الكبير، وما جاء فى ثناياه من حديث عن الأخاء والمودة مادة غزيرة للأدباء من الكتاب، كى يستمدوا منها كل ما يحتاجون إليه فى تصوير الأخوة الحقة والصداقة الصادقة. ويصور ذلك من بعض الوجوه رسالة لجبل بن يزيد إلى بعض إخوانه، يقول فيها[(١٢٢)]:

«إعلم أنى إليك مشوق، وأن صلة الاخوان كرم، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه إلّا الرجاءُ، والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الإخاء، فإن الذى يكاتب إخوانه على حال الرغبة.. إن أحبَّ نال به إلى الصحة، وإن شاء وضعه للرغبة، والرغبة أملكها به، والذى يكاتب إخوانه على حال الرغبة.. إن أحبَّ مال به إلى الصحة، وإن شاء وضعه للرغبة، والرغبة أملكهما به، والذى يكاتب إخوانه على حال الضرورة فقد يستقطع الصلة عند الحدث مخافة الملامة من الناس على القطيعة الشُّنْعاء المشهورة لإخوانه، فإن الذى لا مودّة له قد يصل ذلك فى تلك القطيعة بأهل البلاد، وواضح أنه يتسع فى تصوير صحة الاخاء، وهو يجعل المتودِّدين الملحفين فى الإخوة أصنافا. فمنهم من يطلبها للرغبة، وإخاؤه لذلك مشوب، ومنهم من يطلبها للضرورة وإخاؤه بذلك موقوت، بحيث إذا ألم بصاحبه مكروه قطَعَهُ القطيعة الشنيعة».

* وموضوع التعازى والتأبين، من الموضوعات التى أكثر الكتاب من تدبيجها، وقد ضمنوها العديد من المعانى التى تتصل بفضائل الفقيد ومناقبه، وثواب المنكوب ببعض أهله، وأضافوا إلى ذلك عناصر الصبر على البلاء، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضائه وقدره.

كتب ابراهيم بن يحيى الأسلمى رسالة موجزة يعزى فيها الخليفة المهدى – لفقد ابنته يقول فيها[(١٢٣)]:

«أما بعد.. فإن أحقَّ مَنْ عرف حق الله عليه فيما أخذ منه، من عظَّم حق الله عليه فيما أبقى له، واعلم أن الماضى قَبْلك هو الباقى لك، وأن الباقى بعدك، هو المأجور فيك، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يُعَافَوْنَ منه»..

* وأبرز الموضوعات التى جال فيها الكتّاب برسائلهم الأدبية الاخوانية – موضوع العتاب والاعتذار وقد سجّله الكتاب فى رسائلهم التى تراسلوا بها مع اخوانهم وأصدقائهم

---

(١٢٠) انظر فى ترجمته وأخباره: الفهرست ١٧٢، والجهشيارى ص ١٠٣، وأمالى المرتضى ١٣٤/١

(١٢١) وهو أخو يحيى بن زياد الحارثى رفيق مطيع بن إياس، يقول عنه ابن النديم: «شاعر مترسل بليغ [الفهرست١٧١]

(١٢٢) انظر هذه الرسالة فى جمهرة رسائل العرب ٧٩/٣

(١٢٣) البيان والتبيين ٧٤/٢

وزملائهم. وهي رسائل تحمل عتابا رقيقا تارة، وقد ترتفع حرارة العتاب لتصل إلى العنف.. ولكنه عنف المهذّب المتحضر، الذى قد يمسّ ولكنه لا يخْدِش.

* ومن الرسائل الطريفة، التى كتبت فى العتاب، والتى تحمل بين أعطافها دقة الحسّ ورقة الشعور. رسالة بعث بها يوسف بن صبيح إلى محمد بن زياد الحارثى، وفيها يقول(١٢٤):

«حَفِظَكَ الله وحاطك، رأيتك - أكرمك الله - فى خَرْجَتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك، وإبلاغنا خبرك، وقطعتنا قطعَ ذى السَّلْوة، أو أخى الملّة(١٢٥)، حتى كأنك كنت إلى مفارقتنا مشتاقًا، وإلى البعد منا توّاقًا، فوقع بُعدك بحيث تحبّ من جهتين: إحداهما حلاوة الولاية، والأخرى لذة الراحة منا.. فإن يكن ذلك كما رجَّيناه قاطعناك مجملين، أو لبسناك على يقين».

* وتفنن الكتاب تفنّنا فى موضوع الاعتذار، وقفوا أمامه وقوفا طويلا، وتأنقوا فى تحبير رسائله، وحمّلوها ما تفيض به خواطرهم، وتختلج به نفوسهم..

يصور ذلك من بعض الوجوه رسالة محمد بن الليث إلى صديق له ظن به الظنون الخاطئة، دون تحقق أو روّية، يقول فيها(١٢٦):

«كيف يسعك أن تأخذنى بظن لو كنت فيه على حقيقة علم لما وسعك أخذى ولا عقابى عليه، ولو كانت العقوبة على الذنب الكامن فى سُوَيْداء القلب واسعة لك فى حكم الربِّ لكان فيما حجبت الغيوب عن العمل ما ينتقل فى القلوب التى لا تثبت على حال، إلّا ريثما يتبعها انتقال ما يدعوك إلى أن تمسك عنى وتقف حتى تعرف أيمضى رأى أم ينصرف».

وهو يشير إلى معنى نفسى دقيق، وهو أن الخواطر التى تلم بالإنسان لا تثبت على حال، ومن أجل ذلك كان الإنسان يتنقل بين لحظات وخواطر متناقضة، ولا يصح أخذ الإنسان بخاطر إلّا إذا ثبت فيه، وعاش طويلا، فقد يمر به خاطر سريع، ويمضى دون أوبة ولا رجعة(١٢٧).

وطوع الأدباء أسلوبهم ليفى بالتزام آخر كان مقصورًا على الشعر وهو فن الهجاء حتى لقد وجدنا بعض الشعراء من يؤثرون النثر ويفضلونه على الشعر، لانطلاق قرائحهم فى التعبير عما بأنفسهم من مرارة اضطرتهم إلى هجاء مهجويهم. وأنهم لم يكونوا بمستطيعين الانفصال عن واقعهم الشعرى، حيث التعبير المركز، فنراهم يضيفون إلى رسائلهم النثرية أبياتا من شعرهم، أو شعر غيرهم، لتشيع على الألسنة، وتظل وصمة عار على جبين المهجو. ومن خير ما يصور

---

(١٢٤) الأوراق (قسم أخبار الشعراء) لأبى بكر الصولى ص ١٥٢

(١٢٥) الملة: الملال.

(١٢٦) جمهرة رسائل العرب ١٨٥/٣. وانظر رسالة ابراهيم بن سيابة التى يعتذر فيها ويستعطف يحيى بن خالد البرمكى [الأغانى ٨٨/١٢ دار الكتب] وانظر الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٢٠٣.

(١٢٧) الدكتور شوقى ضيف العصر العباسى الأول ص ٤٩٤.

ذلك رسالة لأبى العتاهية[١٢٨]. فى هجاء الفضل بن معن بن زائدة، وكان قد حاول التقرب منه ومدحه، لنيل برّه، فردّه ردًّا غير جميل مما أغضبه وأثار ثائرته.

٢ - الرسائل الديوانية

واستحدث الخلفاء العباسيون نظما إدارية وسياسية جديدة وعديدة، وأنشأوا من أجل ذلك دواوين الخلفاء ا لمختلفة، فديوان للخراج، وديوان للنفقات، وديوان للجيش، وديوان الحروب، وديوان للرسائل، وديوان للخاتم.. كما كان لكل ولاية ديوان، وفوق هذه الدواوين ما يسمى «ديوان الزمام» الذى ينظر فى ضبط كل ديوان على حدة.

واستلزم العمل فى هذه الدواوين رجال لهم كفاءات معينة فى مجال الكتابة وتنميتها وتحبيرها، مما هيأ لوجود طبقة من الكتاب الرسميين، الذين يتولون النهوض بالأعمال فى هذه الدواوين.

وفى هذا العصر تهيأت كل العوامل المساعدة على نشاط الكتابة الديوانية[١٢٩]، وأدى ذلك إلى ازدهارها وتفرغ لها كتاب محترفون، أخذوا يعيشون من لعاب أقلامهم، وما تدره عليهم قرائحهم من دُرر المعانى وروائع التحبيرات..

كان من هؤلاء الكتّاب من يرفعه قلمه إلى رياسة ديوان، ومنهم من تقبل عليه الدنيا فيصبح رئيسا لمجموعة من الدواوين، ومنهم من ترفعه قريحته وبلاغته وحسن استحضاره للمعانى لأن يصبح وزيرًا يُدير الدولة ويدبر شئونها.. أو على الأقل - يصبح واليًا لإقليم من الأقاليم.. ونرى من أمثال هؤلاء الكثيرين:

فالحسن بن البحباح البُلخى كتب للمهدى والهادى والبرامكة، ثم ولى مصر فى عهد الهادى والأمين.

والحسن بن رجاء، كان كاتبا للمأمون ثم ولى فارس.

وعمر بن مهران، كان كاتبا للخيزران أم الرشيد، ثم ولّاه مصر لعدة سنين.

فالكتابة الديوانية كانت المِعْبر الذى يوصل الشخص إلى أرقى المناصب وأرفعها، منصب «كاتب الدولة» وهو منصب لا يصل إليه إلّا من توفر لديه فى كتاباته عنصران: الوضوح، والجمال الفنى.

- أما الوضوح فلأنه كان غالبا ما يوجّه رسائله إلى الرعية، ولابد للرعية أن تفهم.

---

(١٢٨) الرسالة فى العقد الفريد ٤/٢٣٦.

(١٢٩) انظر العصر العباسى الأول ص ٤٦٥.

– وأما من حيث الجمال الفنى، فلأنه يكتب عن الخلفاء والوزراء، ولابد أن يروعهم ببيانه وبلاغته.

ومن أجل أن يظهر فى كتاباتهم هذان العنصران، وفى سبيل امتلاكهم المقدرة البلاغية، وحسن البيان، كانوا يأخذون أنفسهم بإتقان العديد من المعارف، والثقافات، والعلوم، خاصة اللسانية والفقهية(١٣٠)، والإلمام بأخبار العرب وأشعارهم.. كما مضوا يقرأون كل ما ترجم من تراث الأعاجم، بالإضافة إلى المترجمات من اللغات المختلفة، خاصة الحكمة اليونانية، والهندية، والفارسية وغير ذلك. ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إن الثقافة الفارسية المترجمة، خاصة ما يتصل بالسياسة والأخلاق، كانت أهم مصدر من المصادر المؤثرة فى رقى الكتابة الديوانية وتطورها(١٣١).

وفى الحقيقة لقد بلغت الكتابة الديوانية شأوًا بعيدا عن عصر الرجل، إذْ اتّسع نقل الآداب الفارسية إتساعًا كبيرًا، شمل كل ما أثر عن ملوك الفرس ووزرائهم، من عهود ووصايا ورسائل، وانصبّ ذلك كله فى عقلية كتّاب الدواوين العباسية، فسالت مادته فى كتاباتهم، وبرزت فكرته فى صياغتهم، مما هيأ لظهور كل هذا التراث النثرى الديوانى، بمضامينه الفلسفية.

أيد الجاحظ هذه الحقيقة.. حقيقة ما كان يأخذ به الكتّاب أنفسهم من صقل لكتاباتهم وتنميق وتحبير، حتى تظهر فى أزهى حُلّة، وأعذب أداء وأحلى صياغة، فنراه يقول:(١٣٢)

«إنهم لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيّرة، والمعانى المنتخبة، وعلى المخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد، وفتحت للسان باب البلاغة ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعانى».

ويقول أيضا: «وأما أنا فلم أر قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا، ولا ساقطا سُوقيًّا»(١٣٣).

---

(١٣٠) كان علم الفقه من العلوم الأساسية فى ثقافة كاتب الديوان، لأنهم كانوا يكتبون فى شئون الخراج وفيما يجب على أهل الذمة أن يؤدوه من أموال، إلى غير ذلك من الأمور التى تهم الرعية، والدولة على السواء [انظر الباب الثالث من كتاب أدب الكتّاب للصولى حيث تحدث عن الجزء والخراج].

(١٣١) انظر مقدمة كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى، حيث مهّد لكتابه بتمهيد واسع عرض فيه لتدوين الفرس للدواوين ونظمها المختلفة، متحدثا فى ثنايا ذلك عن كتب الأكاسرة إلى عمالهم، ومقتبسا فصولا عن سابور، وناقلا الكثير من كلام أردشير وكلام أبرويز إلى وزرائه.

(١٣٢) البيان والتبيين ٢٤/٤.

(١٣٣) البيان والتبيين ١٣٧/١.

وقد ساعدهم العلماء على أداء هذا كله - بما ألّفوه لهم من كُتب تُعينهم على أداء حرفتهم الفنية، فكان أن ألف لهم ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) كتابه المشهور أدب الكاتب، ثم تبعه أبوبكر الصولى (ت ٣٣٦ هـ) فألف كتاب أدب الكتاب.

ولا شك أن فى كلام الجاحظ عن هؤلاء الكتّاب، ما يفيد أنهم كانوا يوفرون لألفاظهم كل عناية، وإنها لعناية تستمر بهم، فإذا هم ينقلون حرفة الكتابة من أسلوبها القديم أسلوب الصنعة إلى أسلوب جديد من التصنيع، أو بعبارة أخرى من السجع والبديع(١٣٤).

أما عن موضوع هذه الرسائل الديوانية، فهو كما يشير إلى ذلك اسمها.. كانت تتناول أساسًا تصريف أمور الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد، وتدوين وصايا الوزراء والحكام فى تدبير السياسة والحكم، كما تتناول أمور الفتوح والجهاد، وتسجيل العهود والأمان. لذلك فهى وثائق رسمية فى المقام الأول، ثم هى مدونات تاريخية، تُستَقى منها المعلومات التاريخية عن سياسة الدولة وأحوالها.

* وأهم سمة من سمات الرسائل الديوانية.. «التحميدات»(١٣٥) التى تُصدر بها. فقد تفنن الكتاب فى هذه التحميدات تفننا رائعا، يظهر مدى مقدرتهم الفنية فى استغلال محصولهم العلمى والثقافى والبلاغى حين يفتتحون هذه الرسائل..

وكانت كل تحميدة - وما يتصل بها من صنعة عمادها الذهنية الواعية المتفتحة، لابد وأن تتناسب مع موضوع الرسالة، ووجهتها السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، كما ترتبط بالغرض الذى من أجله دُبّجت وأُلّفت هذه الرسالة.

* مثال ذلك تحميدة عمرو بن مسعدة الصولى فى تعظيم الإسلام:(١٣٦)

«الحمد لله الذى عظم الإسلام، واختاره وأوضحه وأناره، وأعزّه وأنافه (أعلاه) وشرّفه، وأكمله وتمّمه، وفضله وأعزّه، ورفعه، وجعله دينه الذى أحبه واجتباه (اختاره) واستخلصه وارتضاه، واختاره واصطفاه، وجعله الدين الذى تعتد به ملائكته، وأرسل بالدعاء إليه أنبياءه، وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه، فقال جَلّ من قائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ منه﴾».

(١٣٤) الدكتور شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ١٩٥.

(١٣٥) التحميدات: جمع تحميدة، وهى أن تبدأ الرسالة الديوانية بعبارة (الحمد لله).

ويزعم المسعودى أن عبد الحميد الكاتب أول من استخدم التحميدات فى فصول الكتب. [مروج الذهب ١٧٨/٣]. وينسب إلى الرشيد أنه أول من أمر أن تبتدئ مكاتباته بعد البسملة بـ «الصلاة على النبى» [انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/٢]

ويروى الجهشيارى أن يحيى البرمكى - وزيره - أول من زاد فى الرسائل: «وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله» وأنه أنشأ فى ذلك كتابًا ذكر فيه فضل الأنبياء عليهم السلام» [الوزراء والكتاب ص ١٧٧].

(١٣٦) روى ياقوت فى معجمه: أن المنصور قال يوما لكتابه: أكتبوا لى فى تعظيم الإسلام، فبدر مسعدة فكتب هذه التحميدات [انظر معجم الأدباء ١٢٨/١٦].

ومن كتّاب جعفر بن يحيى البرمكي، الذين برعوا فى استهلال رسائلهم بالتحميدات، وتزيينها بألوان البديع والبيان، أنس بن أبي الشيخ. يقول فيه الجاحظ: «كان زكيًّا فهمًا نقى الألفاظ جيد المعانى، حسن البلاغة»[١٣٧]. يؤثر من تحميداته:[١٣٨]

«الحمد لله الذى بالقلوب معرفته، وبالعقول حجته، الذى بعث محمدًا ﷺ، فوفّى له، ومبلّغا فأدّى عنه، فحجّ به المنكر، وتألف به المدبر، وثبّت به المستبصر، إلى أن توفّاه على منهاج طاعته، وشريعة دينه، ثم أورثكم عهده، وخصّكم بكلمة التقوى، وجعلكم الأمة الوسطى».

* ومن أبرز كتاب الدواوين فى العصر، المشهود لهم بالبلاغة وقوة البيان:

– عمارة بن حمزة[١٣٩] كاتب المنصور، الذى ولاه فى سنة ١٥٦ هـ على كور دجلة والأهواز وفارس، ثم ولّاه المهدى خراج البصرة.

– ومسعدة بن مسعد الصولى[١٤٠]، الذى كان يكتب لخالد بن برمك وزير المنصور، ثم لواليه على فارس، ثم لما اتخذ المنصور أبا أيوب المورياني وزيرًا وقلده الدواوين، أقام مسعدة على ديوان الرسائل.

– وغسان بن عبدالحميد[١٤١]، وأبو عبدالله معاوية[١٤٢]، واسماعيل بن صبيح[١٤٣]، ومطرف بن أبي مطرف العبدى[١٤٤]، ويحيى البرمكى[١٤٥]، والفضل بن الربيع[١٤٦]، وموسى بن عيسى[١٤٧]، والفضل بن سهل[١٤٨]، والحسن بن سهل[١٤٩]، وأحمد يوسف[١٥٠]، وعمرو بن مسعدة[١٥١] وابن الزيات[١٥٢]، والحسن بن وهب[١٥٣].

---

(١٣٧) الجهشيارى ص ٢٣٩، وقد سلكه ابن النديم فى البلغاء العشرة الأول.
(١٣٨) جمهرة رسائل العرب ١٩١/٣ أحمد زكى صفوت.
(١٣٩) النجوم الزاهرة ١٦٤/٢، والفهرست ١٧١.
(١٤٠) معجم الأدباء ١٢٨/١٦.
(١٤١) الجهشيارى ص ١١٠.
(١٤٢) الجهشيارى ٢١٦.
(١٤٣) الجهشيارى ٢٢٧.
(١٤٤) معجم الأدباء ٧٢/١٦ (أخبار ابنه عمر بن مطرف).
(١٤٥) الجهشيارى ١٥٠ والعقد الفريد ٥٨/٥.
(١٤٦) الطبرى ١١/٧.
(١٤٧) الجهشيارى ص ٢٨٩.
(١٤٨) الوزراء والكتاب ص ٢٢٩.
(١٤٩) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٦٧، الجهشيارى ٢٣٠.
(١٥٠) تاريخ بغداد ٢١٦/٥.
(١٥١) معجم الأدباء ١٢٧/١٦، زهر الآداب ٢٤٩/٣.
(١٥٢) الأغانى ٤٦/٢٠، الفهرست ١٧٧.
(١٥٣) الفهرست ١٧٧، الأغانى ٦٧/٢.

* وأهم ما يميز الكتابة الفنية فى عصر الرجل، أنها كانت تقوم على الإطناب والتبسيط، وكثرة العطف والترادف، ورشاقة الألفاظ ورقتها، مع عدم تكلف السجع والبديع.. فكان الأسلوب المتوازن - أى المزدوج غير المسجع - هو السائد فى النثر الأدبى منذ القرن الثانى إلى الرابع[١٥٤]. ومن مميزات هذا الأسلوب المتوازن: أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وأن لا تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثانى، وأن تكون العبارات فيه قصيرة متساوية، وهو الأسلوب الذى يسميه الرمانى «السجع العاطل».

وإذا كان التوازن هو الطابع العام للنثر، كما يقول أنيس المقدسى - فى هذه الفترة، فإن ذلك لا يعنى مطلقا أننا لا نجد شيئا من السجع أو البديع فيه، بل إن السجع والبديع لم يبلغا فى تلك المدة ما بلغاه بعدها من السيادة والتحكم فى الأوساط الأدبية

بيد أننا - أهم ما نريد أن نصل إليه، أن هذا الأسلوب المتوازن كان أسلوب عدد من الكتاب، الذين نبغوا فى الأدب فى عصر الرجل، وخاصة سهل بن هارون والجاحظ، فكان أسلوبهم هو الذى مهد الطريق لنشأة صناعة السجع، والتأنق البديعى، الذى عرف وانتشر حتى ساد القرن الرابع الهجرى[١٥٥].

٣ - التوقيعات..

واستحدثت الحياة الحضرية - فى عصر الرجل - ظهور فن التوقيعات[١٥٦]، وهو فن مأخوذ عن الفرس، فقد تعوّد ملوكُ الفرس ووزراؤهم التوقيع على ما يقدّم إليهم من طلبات أو تظلمات أفراد الرعية - بتوقيعات تتصل بحل مشكلاتهم، وتسهيل أمورهم..

وقد طبعت الحضارة الفارسية بصماتها على حياة العباسيين، فأخذ الخلفاء العباسيون وأمراؤهم ووزراؤهم يحاكون الفرس فى حياتهم الأدبية والرسمية، وحَذَا الكتاب حذوهم، فكان أن نشأ فن التوقيعات.

والتوقيعات.. عبارات موجزة بليغة مركّزة، تحمل فى مضمونها معنى عميقا، يوقع بها الخلفاء والوزراء والولاة، بما يفيد نوع تصرفهم فى الأمور التى تعرض عليهم ، وما انتهى إليه رأيهم فيما يُقدم إليهم من أوراق رسمية وغيرها. وكانت تشيع هذه التوقيعات بين الناس ويعرفون مضمونها ونتائجها.

وقد ضمت المصادر الأدبية القديمة توقيعات كثيرة لخلفاء بنى العباس ووزرائهم وولاتهم، من

---

(١٥٤) أنيس المقدسى: تطور الأساليب النثرية ص ١٤٣ وما بعدها.
(١٥٥) انظر كتاب الصناعتين ص ٢٠٠.
(١٥٦) العصر العباسى الأول ص ٤٨٩.

ذلك توقيع الرشيد لوالى خراسان: «دَاوِ جُرْحك لا يتسع»[١٥٧].

وتوقيع المأمون – على قصة متظلم: «لَيْسَ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ قَرَابة»[١٥٨].

* وأشهر من برع فى تسجيل هذه التوقيعات من الوزراء جعفر بن يحيى البرمكى.. يروون أنه «كان إذا وقّع نُسِخَتْ توقيعاته وتُدورست بلاغته». ويحكون أنه جلس للمظالم فوقّع فى ألف قصة ونيف، ثم أخرجت فعُرضت على العمال والقضاة والكتّاب، وكتاب الدواوين، فما وُجد فيها شىء مكرر، ولا شىء يخالف الحق»[١٥٩].

ويتحدث ابن خلدون عن براعته فى تسجيل توقيعاته، وكيف كان يتنافس على نقلها البلغاء فيقول:[١٦٠] «كان جعفر بن يحيى يوقِّع فى القصص بين يدى الرشيد، ويرمى بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء فى تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل.. إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار».

وكل ذلك معناه – أن النثر بأنواعه، تهيأت له أسباب كثيرة فى هذا العصر لكى ينمو ويزدهر، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم الفلسفية، كما يستوعب مادة عقلية عميقة حتى فى المجال الأدبى، إذ أخذت تغّذُوه آداب الفرس السياسية والاجتماعية، كما أخذت تغذوه الثقافات الأجنبية، وكل ما اتصل بها من الفكر اليونانى، ومضى يتفاعل مع كل ذلك محتفظا بمقوماته وطوابعه العربية الأصيلة، بحيث لم يحدث أى ازدواج فى اللغة يعرّضها للضياع، بل لقد أينعت الفروع الجديدة فى شجرتها الكبيرة، وأخذت تتكون فيها أزهار ذاكية الشّذى، وثمار حلوة يانعة بفضل كبار الكُتّاب والمترجين والمتكلمين، الذين احتفظوا لها بأصولها وأوضاعها، وأغنوها ونموها حتى فى مجال الأساليب الخالصة، إذ عرفوا كيف يستخلصون رحيقها البلاغى الذى يُغذِّى العقول، ويُشفى القلوب والأفئدة.

---

(١٥٧) العقد الفريد ٢١٣/٤.

(١٥٨) العقد الفريد ٢١٥/٤ وانظر توقيعات للسفاح والمنصور والمهدى وغيرهم فى المصدر نفسه ٢١١/٤ – ٢١٣.

(١٥٩) الجهشيارى ص ٢٠٤.

(١٦٠) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٣.

البَابُ الثانى

الرَّجُــل

١ - اسمه ونسبه
٢ - عائلته وأسرته
٣ - مولده ونشأته
٤ - ثقافته
٥ - أخلاقه
٦ - تشيعه
٧ - حياته الخاصة
٨ - حياته فى القصور
٩ - وفاته
١٠ - آثاره

إبراهيم بن العباس الصولى

- ١ -

اسمه ونسبه

اتفق المترجمون المؤرخون للرجل - جميعا - على اسمه ونسبه، فهو عندهم «ابراهيم بن العبَّاس بن محمَّد بن صُول تِكِين»[١].

واتفقوا أيضا على كنيته ولقبه. فهو عندهم «أَبُوا اسْحَق الصُّولِى البغدادى الكاتب الشاعر. وهم وإن كانوا قد اتفقوا على اسمه ونسبه إلا أنهم اختلفوا فى الطريقة التى أوردوا بها هذا الاسم.

فبعضهم اكتفى بذكر اسمه واسم أبيه فقط.

وبعضهم أورد اسمه واسم أبيه ونسبه.

وبعضهم أورد اسم الرجل واسم أبيه وسلسلة أجداده إلى الجد الأكبر عميد العائلة «صول تكين».

وابراهيم بن العباس الصولى ينتسب إلى جدِّه الأكبر «صُول».

و «صُول» وإن كان اسم الجدّ، إلا أنه لَقَب من ألقاب ملوك دهستان، كان يطلق عليهم، كما يطلق شَاهِنْشَاه وكِسْرَى على ملوك الفرس الساسانية[٢]. وبذلك فهو لا ينتسب إلى بلدة «صُول أو جُول» الفارسية، أو «صَوْل»[٣] المصرية كما يدعى البعض. يقول ياقوت: «صَوْل بالفتح وآخره لام كمصدر صال يَصُولُ صولاً قرية فى النيل فى أول الصعيد. صُول بالضم ثم السكون وآخره لام كلمة أعجمية لا أعرف لها أصلا فى العربية، وهى مدينة فى بلاد الخَزَر فى نواحى باب الأبواب، وهو الدَّرْ بَنْد، وليس بالذى يُنسب إليه الصولى وابن عمه إبراهيم بن العباس الصولى، فإن ذلك باسم رجل كان من ملوك طبرستان، أسلم على يد يزيد بن المهلب، وانتسب إلى ولايته...»[٤].

---

(١) الفهرست ١٧٦، معجم الأدباء ١٦٤/١، الاعلام ٣٨/١، وفيات الأعيان ٢٥/١.

(٢) أمراء البيان - محمد كرد على ١٩٥/١.

(٣) صَوْل: قرية صغيرة ناحية مركز الصفه مديرية الجيزة (راجع القاموس الجغرافى للقطر المصرى ص ٤٣٠).

(٤) معجم البلدان لياقوت - مادة صول ٤٣٥/٣.

فالمحققون - من أمثال ياقوت والأصفهانى[٥] وابن النديم وغيرهم - يؤكدون نسبة أبى اسحق إبراهيم بن العباس الصولى إلى جده «صُول تكين» التركى الجرجانى.

وعلى العموم فإن جدّه الأكبر ينسب بل ويتسمى بمدينة «صُول»، وسواء أنُسِب ابراهيم بن العباس إلى جده صُول، أو إلى مدينة صُول، فالنتيجة واحدة.. وهو أنه جُرْجَانى الأصل، تركى الجد، فمن ينسبه إلى جده يطلق عليه «الصُّولى»، ومن ينسبه إلى بلده، يطلق عليه الصُّولى، غير أن نسبته إلى جده مما أجمع عليه الرواة والمؤرخون.

وقد اعترف المؤرخون لحياة الرجل - جميعا - بعراقة أصله ونسبه، فذكروا أن إبراهيم بن العباس أحد حفدة «صُول تِكِين» الذى كان مَلِكًا على جرجان، إحدى مدن فارس، وأن هذا الجد - حين دخل جرجان - تشبّه بالفرس، وتعود عادتهم، ودان بدينهم المجوسى وعَبَدَ النار، وظل على ذلك ردحا من الزمان، وتعاقبت سلالته على التشبه به وبأهل فارس، حتى كانت حملة «يزيد بن المهلّب بن أبى صُفْرة» على جرجان، واستيلائه عليها، ودخول الإسلام فيها، فاعتنق «صُول» الدين الإسلامى، وأصبح مولًى من موالى يزيد، وظل معه حتى قُتِلَا معًا يوم العقر سنة ١٠٢ هـ[٦].

بيد أن المصادر القديمة التى أرخت لابراهيم بن العباس الصولى ولأفراد عائلته، لم تتعرض أو تتناول الأسباب التى جعلت هذا الأمير التركى ينزح من طبرستان التركية إلى جرجان الفارسية ليتملكها هو وأخوه «فيروز»، ومتى كان ذلك أو كيف.. هل كان ذلك حربًا أم سلمًا، وأغلب الظن أن «صُول» هذا كان زعيم قومه، الذين كانوا يتنقلون متى شاءوا عبر الأراضى والوديان، من أجل المرعى أو الغزو، حتى وصلوا إلى جرجان فأعجبتهم طبيعتها وكثرة خيراتها، فاستقر بهم المطاف فيها، وسرعان ما فرض «صُول» سيطرته على المدينة، ونصب نفسه ملكا عليها، تحميه أسلحة قومه وسواعدهم، فنشأت سلالته فيها، وسمّى عاصمة مملكته «صُول» فعرفت به وعُرف بها.. ومن هنا جاء التوافق بين اسمه واسم المدينة. ومن هنا أيضا حدث اللَّبْسُ فى نسبة الرجل - ابراهيم بن العباس الصولى - هل هو إلى جده صُول أم إلى مدينة صُول.

---

(٥) الأغانى ١٠/٤٣٠.

(٦) الأغانى ١٠/٤٣ «العقر: هو عقر بابل، وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب».

- ٢ -
عائلته وأسرته

وعائلة الصولى من أعرق العائلات التى دخلت فى الإسلام ، وهى إحدى العائلات النشيطة التى أسهمت بنصيب كبير وبدور فعّال فى نَشْر الدعوة العباسية سرا فى فارس ثم فى إسقاط دولة الأمويين ومؤازرة دولة العباسيين بعد أن تم لها الأمر، وظلت موالية لها على مر السنين.

فقد قاتل صُول - عميدُ هذه العائلة - فى صفوف جيش يزيد بن المهلب ضد جيش يزيد بن عبد الملك الأموى.

يذكرون أنه كان يكتب على سهامه «صُول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه»(٧). وكان ابنه أبو عمارة محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها(٨). وبعد قيام الدولة العباسية، واستتباب أمورها شاركت عائلة الصولى بجهود ضخم فى خدمة الخلفاء ودواوينهم، وفى خدمة العلم والأدب والمعرفة.

فكان من أعلامها «مَسْعَدة الصولى»(٩) الكاتب البليغ، أحد كتاب خالد بن برمك، والذى تولى الكتابة بعده لأبى أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل. وكذلك ابنه «عمرو بن مسعدة الصولى(١٠) المتوفى سنة ٢١٧ هـ الذى نشأ فى كَنَف البرامكة، وتعلّم منهم، ونحى منحاهم، ثم تولى شئون الدواوين لعهد المأمون(١١). يقول عنه ياقوت: «من جِلّة كتّاب المأمون، وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم»(١٢). ويقول أيضا: «هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله، فإذا رَامَه بَعُدَ عليه»(١٣) وهو أحد كتاب الدولة المقدمين - فى عهد المأمون - الذين بلغوا مكانة مرموقة وسمعة حسنة، لبلاغته وعلمه وبراعته، جنى من ورائها مالا وفيرا.. تحدث حفيده أبوبكر الصولى عن ذلك فقال: «لـمّا مات عمرو بن مَسْعَدة، رفع إلى المأمون أنه خلّف ثمانين ألف ألف درهم، فوقّع على الرقعة: هذا قليلٌ لمن اتّصل بنا، وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه»(١٤).

---

(٧) الأغانى ٤٣/١٠.
(٨) نفس المصدر السابق.
(٩) معجم الأدباء ١٢٧/١٦.
(١٠) معجم الأدباء ١٦٥/١.
(١١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٠/١.
(١٢) معجم الأدباء ١٢٧/١٦.
(١٣) نفس المصدر السابق ١٢٩/١٦.
(١٤) معجم الأدباء ١٢٩/١٦.

ومن أعلام أسرة الصوليين أيضا «عبدالله بن العباس» الذى كان من وجوه الكتاب فى عهد ذى الرياستين الفضل بن سهل[(١٥)].

وكذلك حفيده «أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولى»[(١٦)] المتوفى سنة ٣٣٦ هـ. الأديب الفقيه الشطرنجى النديم، الكاتب المؤرخ، أحد أعلام العصر - الذى نادم أربعة من الخلفاء، وكانت له مكانة مرموقة، وسمعة حسنة لديهم جميعا، فعاش فى بلاطهم طيلة نصف قرن من الزمان.

وقد التقت فى هذه العائلة الدماء التركية مع الدماء العربية عن طريق المصاهرة والنسب، فاتصلت عائلة الصولى بأحد فحول الشعراء فى العصر. وهو العباس بن الأحنف فهو خال إبراهيم بن العباس[(١٧)] وأخيه عبدالله.

من كل ما تقدم نستطيع أن نعرف أن الرجل قد انحدر من صلب أجداد وآباء هم أعلام العصر، رؤوس فى الكتابة والسياسة والأدب، تقلّدوا أهم الأعمال فى دواوين الدولة المختلفة، وكانت لهم منزلة رفيعة عند الخلفاء والوزراء، وظلوا أئمة للعلم والأدب على مر العصور.

أما أسرته الصغيرة - زوجته وأبناؤه - فقد ذكرت المصادر التى أرخت لحياته ولأسرته، أن الرجل كان يعيش حياة الناس الأسرية - بعد فترة من لهو الشباب وعبثه - وأنه أنجب ولدين، سماهما - كما تقول مصادر الشيعة[(١٨)] - الحسن والحسين وكناهما بأبى محمد وأبى عبدالله، مات أكبرهما بعد أن يفع ووصل إلى سن الشباب، فرثاه مراثى كثيرة، وجزع عليه جزعا شديدًا ثم ما لبث أن تلاه الابن الثانى، فرثاهما الرجل معًا رثاء يفطر القلب، ويمزّق نياطه وعاش الرجل ليقاسى مرارة فقد الضنى بقية حياته.

---

(١٥) وفيات الأعيان ٢٥/١.

(١٦) انظر كتابنا أبو بكر الصولى. حياته وأدبه وديوانه. طبع دار المعارف سنة ١٩٨٥ م.

(١٧) الأغانى ٤٣/١٠، وفيات الأعيان ٢٥/١.

(١٨) أعيان الشيعة ٢٨١/٥.

- ٣ -
مولده ونشأته

فى أزهى عصور الدولة العباسية.. وفى عهد الرشيد. ولد أبو إسحق ابراهيم بن العباس الصولى. فى بغداد. وبها نشأ. يقول مترجموه أنه ولد سنة سبع وستين ومائة للهجرة (سنة ١٦٧ هـ) أو سنة ست وسبعين ومائة[١٩] تبعالاختلاف الرواة.

وقد دل البحث على أن الرجل ولد فى سنة ست وسبعين ومائة، لأننا نرى صورة لشباب الرجل وحياته اللاّهية مع زميله دعبل الخزاعى[٢٠] فى بداية عهد المأمون، ولم يكن قد عُرف بعد، حتى اتصل بالفضل بن سهل وزير المأمون وعمل فى خدمته كاتبا للدواوين. ثم اتصل بالمأمون حين بايع على بن موسى الرضا بالعهد سنة ٢٠١ هـ وكان عمره وقتئذ خمسة وعشرين سنة.

ويؤيد هذا الرأى ويدعمه أن ابراهيم بن العباس ظل متوَلّيا ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى مُصَرِّفًا أموره إلى آخر يوم فى حياته سنة ٢٤٣ هـ وليس من المعقول أن يكون واليا وقد ناهز الثمانين من عمره، كل ذلك يؤيد أن مولده كان فى سنة ١٧٦ هـ وأن حياته دامت سبع وستين سنة، يباشر مهام منصبه ويشارك فى أمور الدولة ويكتب للخلفاء.

وإذا كان المترجمون قد اختلفوا فى تحديد سنة مولده، فإنهم أغفلوا تمامًا نشأته، فلم يتحدثوا عن منابع العلم التى ارتوى منها الرجل حتى تفتحت ونمت البذرة التى غرسها آباؤه، ولم يذكروا شيئا عن تلقّيه العلم ومتى كان ذلك وأين...

فلم تذكر لنا المصادر الأدبية والتاريخية القديمة شيئا عن نوع الدراسة التى انصرفت إليها همة الرجل فى صباه، حتى بلغت به البلاغة ذاك المقام، وارتقت به وبفنه هذا الارتقاء ، بيد أن كل الظواهر تدل على أن من كان هذا شأنه فى الأدب، وهذا هدفه – فى ذلك العصر الزاهر من عصور الأدب الراقية – يستحيل أن يصل إلى غايته، أو أن يبلغ هذا المبلغ إلا بأدوات كثيرة، بل لا يتأتى له ذلك إلا بحصيلة وافرة من البيان وعلوم الشريعة – يجمعها، هذا بالإضافة إلى ما تميز به من فطرة وسليقة مع سلامة الطبع ودقة الشعور إلى جانب خبرة عامة واسعة اكتسبها من إطلاعه على كل ما تدوول من فنون الأدب فى عصره.

---

(١٩) معجم الأدباء لياقوت ١٦٤/١.

(٢٠) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٤٢/٢.

ومن المعروف أن بغداد - وهى مسقط رأسه ومرتع صباه ونشأته - كانت موئلا للعلم والعلماء، وقبلة للشعر والأدباء فى عصره، فكانت ولا شك خير بيئة، وأنسب مناخ لتلقيه العلم، لنمو موهبته المبكرة.

فمن المؤكد أن الرجل - وهو سليل ملوك وأمراء ثم عمال للدولة - نشأ نشأة علية القوم، فى بيئة غنية بالعلم والمال، وفى بيت عريق شهد له بالعلم والأدب، وأنه انتهج نفس المنهج الذى وضعه له أجداده وأباؤه.. فتعلم القرآن الكريم وحفظه، ودرس الحديث النبوى الشريف وفهمه، حتى إذا شبّ ونما عوده تجول على ساحات المساجد ينهل مما فيها من مناقشات تتصل بالدين والفقه واللغة، وما يتداول فيها من آداب.. ثم انتظم فى حلقات المتكلمين تلك الطبقة المثقفة بثقافة واسعة، وبعناصر المعرفة المختلفة. حيث كانوا يثيرون الجدل فى مسائل كثيرة بعضها دينى وبعضها غير دينى، وحضر أيضا المناظرات والمجادلات التى كانت تقام بين الفرق الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها ومناهجها وآرائها... كل ذلك أنار عقله ووسع مداركه، وشحن أفكاره بالعلم والمعرفة.

وأغلب الظن أن آباءه - وهم من أعلام الأدب والكتابة فى العصر - تعهدوه بالرعاية والصقل والتوجيه، حتى تستقيم له لغته، وتنمو فيه تلك الموهبة المبكرة فى حب الأدب والشعر. فكانت هذه الرعاية، وهذا التوجيه - منذ نشأته - هما الدعامة الأساسية فى غزارة ثقافته وكبر حصيلته، وتنوع علومه، حتى وصل إلى هذه المكانة العالية بين معاصريه. وهذا المركز المرموق فى دواوين الخلفاء والوزراء.

- ٤ -
ثقافته

أهم ما يميز الرجل.. ثقافته الواسعة المتنوعة، تلك الثقافة التى وضحت بجلاء فى نتاج فكره وأدبه، وما أخرجته قريحته من شعر ونثر. وهى ثقافة استمدها الرجل من عكوفه على ينابيع العلم والأدب، ينهل منها المعرفة، مجاراة لتيار عصره الذى يقول:

«مَنْ أرادَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا فَلْيَطْلُب فَنًّا وَاحِدًا...
ومَنْ أَرَادَ أَنْ يكُونَ أدِيبًا فَلْيَتَّسِعْ فِى العُلُوم[٢١]».

أراد الرجل أن يوسع مداركه، وينمّى مواهبه، ليؤهل نفسه علميا وأدبيا لأن يكون جديرا بالدخول إلى قصور الخلفاء والوزراء، ليعيش فى رحابهم شأن آبائه وأجداده، متوليا المناصب الكبرى فى دواوين الدولة، فدفعه طموحه - الذى لا يحد - للتزود بالعلوم المختلفة والآداب وبكل ما ذخرت به مجالات العصر، ومن هنا جاءت ثقافته شاملة العلوم الدينية والفلسفية والتاريخية واللغوية والأدبية والموسيقية.. إلى جانب ثقافته الأولى الديوانية.

ثقف الرجل علوم الدين: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأحكام الفقهية وتظهر ثقافته الدينية هذه من خلال كتاباته المختلفة وأشعاره ، وآرائه التى كان يطرحها فى المناسبات العديدة التى شاء له حظه أن يوجد فيها.

فهو دائما يضمن كتاباته آيات من القرآن واقتباسا لمعانيه واشاراته بما يتفق مع المجال والمناسبة. فحين كتب إلى بعض العمّال عما حرم الله من ردىء المطعم والمشرب.. لينزههم ويطهرهم. قال بعد الحمد والثناء والتقديم للموضوع: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُم المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنْزِير، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ..﴾ (الآية) ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك فى هذه الآية بحراسة دينه ممن عنَدَ عنه، وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم، فقال عز وجل: ﴿اليوم يئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم فَلَا تَخْشَوْهُم واخْشَوْنِ. الْيَومَ أَكْمَلْتَ لَكُمْ دِينَكُم...﴾ (الآية) وقال عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتِكُم وَبَنَاتِكُم..﴾ (الآية). وقال: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَاب والأزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾... (الآية) فحرَّم على المسلمين من مآكل الأديان أرجسها وأنجسها، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء، وأصدُّه عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن مناكحهم

---

(٢١) قول ابن قتيبة فى العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٢٣/٢.

أعظمها عنده وزرًا، وأولاها عند ذوى الحِجَا والألباب تحريا، ثم حباهم محاسن الأخلاق، وفضائل الكرامات، فجعلهم أهل الإيمان والأمانة والفضل والتراحم، واليقين والصدق»[٢٢].

وكثيرا ما يستخدم ابراهيم بن العباس ثقافته الدينية فى شعره – خاصة فى مدائحه. فنراه يسبغ على الخلفاء الكثير من الصفات الدينية، والمعانى، التى توضح مكانتهم الدينية بما يتفق مع الدين وأمر الله فى طاعة أولى الأمر وغير ذلك من الأمور. من مثل قوله فى مديح المتوكل:

إمامٌ بـهِ أمَـر الآمـرُو　　ن بالعرفِ واسْتُنْكِرَ المنكَر

وقوله:

أمـينٌ قـلَّد الـرحمـ　　ـنُ أمرَ عبادِه عُنُقَـه
وفَـضَّـلَهُ وطـيَّـبَـهُ　　وطَهَّرَ فى الوَرَى خُلُقَه

وقوله:

لكـلِ عـدوٍّ جَـوْلَـةٌ ثم مَـرْجِعٌ　　إلَيْـك ومَنْ تَـطلُبْـهُ فـاللّهُ طَـالِبُـهْ

كما يظهر فى ثقافته إلمامه الكامل بالديانات المختلفة، وعلاقة الأنبياء بتابعيهم وأتباعهم، بما يضمنه من إشارات بين ثنايا شعره.. من مثل قوله عن علاقة قارون وموسى فى هجائه لابن الزيات:

يَا أبَا جَعْفَرٌ لَكَمْ مِنْ نَعِيمٍ　　عَـادَ فِى أهْلِهِ بَـلاءً ويُـوسَا
إعْلَمنَّ عَـنْ تَيـقُّنٍ واخْـتِـبَـارِ　　«إنّ قَـارُونَ كَـانَ مِنْ قَـوْمِ مُـوسى»

وتظهر ثقافته الفلسفية والكلامية من خلال شعره، حيث كان يهجو أعداءه بنفس الطريقة التى كان يستخدمها المتكلمون فى العصر – فيتهمهم بالزندقة، واتباع دين مانى. من مثل قوله فى هجاء ابن الزيات:

حىٌّ مَنْ دينُـه عَـلَى دِينِ مَـانِى　　بِـزَوَالٍ مِـنْ نِـعْـمَـةٍ وعِـقَـابِ

وقوله فى مقطوعة أخرى:

لَمِنْ مُنْـتَـهَـاهُ إلى جَـبُـلِ　　ومَـانِى وأرْطَـالِ عَبْـدِ المَلِك

ويشبه عداوة ابن الزيات له – وهى بدون أسباب – بعداوة الزنديق للمسلم فيقول:

مِنْ غَـيْرِ مـا جُـرْمٍ وَلَكِنَّهَـا　　عَـدَاوَةُ الـزِّنْـدِيـق للمُـسْلِم

---

(٢٢) أمراء البيان ١/٢٧٢.

أما ثقافته التاريخية فتظهر بين ثنايا مديحه للخلفاء العباسيين، بما يعرضه من تاريخ طويل، وصلتهم بالبيت النبوى الشريف.. وهذه الثقافة التاريخية تتصل بما يُسَمَّى علم الأنساب، ولا تقف عند الخلفاء فحسب، بل تتعدى ذلك إلى التأريخ للوزراء وغيرهم وتتناول الحديث عن أصلهم وماضيهم إلى جانب حاضرهم. وقد استغل ابراهيم بن العباس ذلك استغلالا واسعا خاصة حين تعرض لابن الزيات بالهجاء المقذع.. فنراه يصب عليه نيران غضبه صبًا.. من مثل قوله:

حيٌّ حَانُوتَه بناحيةِ الكَرْ — خِ وأرطَالُه عن كُلِّ بَابِ
حيٌّ مَنْ أَصْبَحَ الغَدَاة وَزِيرًا — وَهُوَ بالأمسِ كَاتِبُ ابنِ شِهَابِ

وقوله:

لإنْ أَدْرَكَ الزَّيَّاتُ بالزَّيْتِ رُتْبَةً — لمِنْ قَبْلُ الخَلاَّلُ[٢٣] بالخَلِّ نَالَهَا
تَوَرَّطَ مِنْهَا نعمةً طَمَحَتْ بِهِ — فَمَا لَبِثَتْ أَنْ أَعْقَبَتْهُ زَوَالَهَا

فهو يشير إلى مصير أبي سلمة الخلال - الذى كان يبيع الخل - ثم تولى وزارة السفاح، وكان مصيره القتل بعد ذلك.

وأما ثقافته فى الشعر، فلاشك أنه اكتسبها من إطلاعه على ينابيع الشعر العربى الجاهلى والإسلامى وشعر معاصريه من فحول الشعراء.

ولقد كان ابراهيم بن العباس شاعرًا مجيدا، قدم لنا أشعارًا رقيقة، ومقطعات رائعة، كما كان منافسا قويا لكل معاصريه على السواء، والكل أثنى على فنه. وليس هذا فحسب، بل كان الرجل ذواقة للشعر، عالما به، عارفا غثه وسمينه فاهما أغراضه ومراميه، وما غمض من معانيه، عارفا بطبقات قائليه..

«روى الحسن بن مخلد أن ابراهيم بن العباس أنشده قول العباس بن الأحنف:

إنْ قَالَ لم يَفْعَل وإن سِيل لم — يَبْذُل وإنْ عُوتب لم يَعْتِب
صب بهجرانِي ولو قال لى — لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال: هذا والله الشعر الحسن المعنى، السهل اللفظ، العذب المستمع، القليل النظير، ما سمعت كلاما أجزل منه رقة، ولا أسهل منه فى صعوبة ولا أبلغ فى انصاف من هذا»[٢٤].

---

(٢٣) يقصد أبا سلمة الخلال وزير آل محمد الذى قتل.
(٢٤) مروج الذهب - للمسعودى ١٥٨/٤.

ويحدثنا معاصروه على مدى ثقافته فى الشعر – فيقول أبوذكوان القاسم بن إسماعيل: «سمعت ابراهيم بن العباس يقول: ما أظن قول الكاتب «وقدمنى قبلك» إلا مأخوذا من قول الأغر بن كابس العبدى فى أخيه الصقر:

أَخِى أَنْتَ فِى دِينٍ وقُربَى كِلَاهُمَا   أُسَرُّ بأَنْ تَبْقَى سَلِيمًا وأَفْخَرُ
إذَا مَاأَتَى يَومٌ يُفَـرِّقُ بَيْنَنَا   نَمُوتُ، فكُنْ أَنْتَ الَّذِى تَتَأَخَّرُ

فقيل لابراهيم: إن هذا يروى لحاتم، فقال: «وما على من لا يدرى شيئا فى نسبته إلى غير قائله»[٢٥].

ويقول أبو ذكوان أيضا بعد أن تداولا بعض الأشعار: «فما رأيت أحدًا قطّ أعلم بالشعر منه»[٢٦]. ويقول عبيد الله بن سليمان الوزير.. «لعمرى ما فى الكُتَّاب أشعر من أبى أسحق»[٢٧]. كما كانت لابراهيم بن العباس الحاسة الفنية على تذوق الشعر وتقييمه، وتقدير قائليه، فحين سئل عن الكتاب وشعرهم ودرجته قال: «أشعرهم عِنْدِى الذى مزجه أفصحُ وأحسنُ من جدِّ الناس.. القاسم بن يوسف»[٢٨]. وتظهر ثقافة الرجل اللغوية – بوضوح – فى كتاباته ومكاتباته التى تثبت مقدرته الفنية على تخيره لألفاظه وتراكيبه، استمدها الرجل من اللغويين والنحويين الذين كان يجالسهم ويناقشهم من أمثال ثعلب والأخفش وغيرهما، كما كانوا يقصدونه يستمعون إلى انشاده، وكانوا يقدرون فنه وشاعريته حتى لقد صاروا هم – فيما بعد – رواة شعره وناقليه.

يقول ثعلب[٢٩]: «أنشدنا ابراهيم بن العباس الكاتب لنفسه:

كَمْ قَدْ تَجَرَّعْتُ من حَزَنٍ ومنْ غَصَصٍ   إذَا تَجَـدَّدَ حُـزْنٌ هَـوَّنَ المَـاضِى
وكَمْ غَضِبْتُ فَمَـابَـالَيْتُمْ غَـضَبِـى   حَتَّى رَجِعْتُ بِقَلْبٍ سَـاخِطٍ رَاضِى

«ولم يمل ثعلب شعر كاتب قط، إنما أملاه ورواه لأن فى شعره ألفاظًا مشبهة ألفاظ الأوائل»[٣٠]، ولأنه كان يعتبره أشعر المُحْدَثين[٣١].

كما كان الأخفش يستجيد شعره ويفضله ويروى الكثير منه[٣٢].

(٢٥) أدب الكتاب للصولى ص ١٧٥.
(٢٦) أمالى المرتضى ٤٨٦/١.
(٢٧) الأغانى ٦٥/١٠.
(٢٨) أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى ص ١٦٦.
(٢٩) تاريخ بغداد ١١٧/٦.
(٣٠) الطرائف الأدبية ص ١٢٦.
(٣١) الأغانى ٥٩/١٠.
(٣٢) الأغانى ٤٧/١٠.

وإلى جانب ذلك كله - ثقف إبراهيم بن العباس الموسيقى والغناء، وعرف الألحان وإيقاعاتها.. اكتسب ثقافته لهذه الفنون من حضوره حفلات القصور فى المناسبات المختلفة، ومن إتصاله بالمغنين والملحنين.. وما كان يقدمه لهم من شعر نظمه خصيصا لكى يتغنوا به. يقول جعفر بن رفعة الملحِّن.. «دعانى إبراهيم بن العباس وقال: قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكل ببيتين، فغَنِّ فيهما وأشعها، ودعا لى بطيب كثير فأعطانيه، وخلع علىّ خلعة شَرِيَّة فغنيت فيهما:

مَـا وَاحِـدٌ مِـنْ وَاحِـدِ   أَوْلَى بِـفَـضْـلٍ أو مُـرُوَّةْ
مِمَّـنْ أَبُـوهُ وَجَـدُّهُ   بَـيْنَ الخِـلَافَـةِ والنُّبُـوَّةْ[٣٣]

ويقول الأصفهانى فى أغانيه: «إن المتوكل كان يلذ لسامع شعره، وهو يُغَنَّى به، حتى لقد كان ينسى كل شىء فى سبيل سماعه لشعره ملحنا..

من هذه الأبيات:

رَدَّ قَـوْلِي وَصَدَّقَ الأَقْـوَالَا   وَأَطَـاعَ الـوُشَـاةَ والعُـذَّالَا
أَتُـرَاهُ يَكُـونُ شَهْـرُ صُـدُودٍ   وَعَـلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الهِـلَالَا[٣٤]

وهناك ثقافة رفيعة تتصل إتصالا مباشرا بعمله الرسمى فى دواوين الخلافة. تلك هى: الثقافة الديوانية، اكتسبها الرجل من احتكاكه بالكتَّاب والوزراء وغيرهم. وقد كان له فى آبائه أسوة حسنة، ولديه فيهم خير معين له ومرشد.

وهو وإن كان قد تأثر تأثرا كبيرا بأفراد عائلته من أمثال عمرو بن مَسْعَدة الصولى - كاتب المأمون الذى عاصره - إلا أنه كان شديد الإعجاب والتأثر بالكاتب الأموى عبد الحميد الكاتب، وبطريقته فى التعبير، ومنهجه فى تحبير مكاتباته. لذلك ثقف كتاباته، وعرف أصولها ومنهجها، وما اشتملت عليه من أغراض وأسس، وحفظ وصاياه وعمل بها، وهو يعترف بذلك حتى لقد كان يتمنى أن تكون بعض كتابات وأقوال عبد الحميد له[٣٥]. وهو إذا كان قد ثقف عبد الحميد الكاتب. فهو قد تتلمذ أيضا على القاسم بن يوسف الكاتب الشاعر، الذى كانت له بصمات واضحة على حياة إبراهيم، وكان يلذّ بسماع أقواله وأخباره وأشعاره، ويعترف بأنه تأدب على يديه وعنه أخذ[٣٦]. وأنه كان مثالا يحتذى به كل من احترف الكتابة وعمل فى الدواوين.

(٣٣) الأغانى ٥١/١٠.
(٣٤) الأغانى ٥٨/١٠.
(٣٥) أمراء البيان ٢٧٦/١.
(٣٦) أخبار الشعراء لأبى بكر الصولى ص ١٦٦.

ومن المرجح أن ابراهيم بن العباس كان يعرف لغة أجداده التركية. وأغلب الظن أنه كان يعرف لغتهم الثانية - الفارسية - التى اكتسبوها فى موطنهم الثانى جرجان. هذا إلى جانب تمكنه الواضح من اللغة العربية. وظهر ذلك واضحا فى أسلوبه بكل سماته وخصائصه، حيث تمثلت فى كتاباته ألوان الثقافة العربية فى ذروة نهضتها، بعد أن أمدتها روافد الثقافات الوافدة بالغزير من المعرفة والأفكار عن طريق الترجمة، وعن طريق الموالى الذين قامت على كواهلهم نهضة العلوم والآداب والفنون فى العصر.

ولقد ساعده ذلك كله على اطلاعه على أفكار الأمم وحضارتها وثقافتها، وأفاده فى معرفة تصورات الشعوب المختلفة فى البيان والبلاغة، وانعكس بجملته على عقليته الواعية، التى اتسعت لتستوعب كل ما يتراءى أمام مرآتها من ألوان الثقافة المختلفة.

أما عن منابع ثقافته، فقد وضح الآن أن أهمها القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وشعر القدماء والمحدثين، وآراء اللغويين، ومناقشات ومجادلات المتكلمين وأصحاب المذاهب المختلفة.

ولا شك أن من أهم العوامل التى أثرت فى ثقافته تأثيرا مباشرا هى البيئة البغدادية بكل مقوماتها وعناصرها، إلى جانب مجالات المعرفة الواسعة والمتنوعة التى ذخر بها عصر الرجل.

- ٥ -
أخلاقـه

تآزرت - فى الرجل - مجموعة من السمات الخلقية الواضحة، التى تحدد شخصيته، وتبين أخلاقه، فإذا صرفنا النظر عن بعض جوانب حياته اللاّهية العابثة - التى عاشها فى ريعان شبابه وأيام صباه - وجدنا أن الرجل يضم مجموعة متجانسة متكاملة من الخصال الحميدة، والأخلاق الكريمة، والشمائل الفاضلة التى أحبها الناس، وتواضعوا عليها، وجعلوها معيارًا لكل فضيلة.

فهو رجل شجاع، يعرف كيف يصول ويجول، ويعرف الناس أخبار بسالته ومن يجهل ذلك فليسأل عنه أصحابه ورفاقه السائرين معه واللآئذين به. وليسأل منصله وسنانه:

خُذِى خَبَرِى عَنْ سَائِرِينَ صَحِبْتُهم وَعَنْ طَـارِقٍ أَوْلَائِـذٍ صَحِبَـانِى
خُذِى خَبَرِى يَوْمَ القِرَى عَنْ مَنَاجِرِى وَيَوْمَ الوَغَى عَنْ مُنْصَلِى وسِنَانِى[٣٧]

وهو رجل جسور لا يحمى نفسه فقط، ولا يتحمل نتيجة أفعاله فحسب، بل ويحمل عن قومه جرائرهم، ويزود عن حياضهم، فإن جنوا كان لهم موئلا وحاميا، فهو ينصرهم ظالمين مظلومين.

وَأَجْنِى عَلَى قَوْمِى وأَحْمِـلُ عَنْهُمُ وسَيِّـدِ قَـوْمٍ مَنْ جَنَى وَتَحَمَّـلَا
وإنْ أَجْنِ لَا أَحْمِلْ عَلَيْهِم جَرِيرَتِى وَلَكِنَّنِى إِمَّا جَنَوْا كُنْتُ مَوْئِلَا[٣٨]

وهو وإن كان شجاعا، لايهاب النزال، إلا أنه لا يحب القتل أو رؤية الدماء، فهو وإن كان يقتل أعداءه دفاعًا عن نفسِهِ أو شرفه، إلاّ أنه كان يكره ذلك، كما يكره حمل السيف الذى تزهق به الأرواح. وتقول المصادر القديمة أنه كان قبل خروجه يقول لغلامه.. «يا غلام هاتِ ذلك السيف الذى ماضَرٌ الله به أحدًا قطّ غيرى»[٣٩].

وهو رجل يعرف الحق ويحقّه، ويكره الباطل ويزهقه، ويؤيد الصديق على أخيه، ويأخذ حق الشفيق من الشقيق.

أَميلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّى وَآُخُـذُ لِلشَّفِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ

(٣٧) الطرائف الأدبية ص ١٥٤
(٣٨) الطرائف الأدبية ص ١٥٤
(٣٩) الأغانى ٥٤/١٠

وهو لا يقبل أن يعتدى على كرامته إنسان، أو ينقص من قدره أحد، فإن تعامل معه الناس باللين والحسنى، كان لهم عبدا..

وَإنْ أَلْفَيْتَنِي حُـرًّا مُـطَاعًـا   فَـإنَّكَ وَاجِـدِى عَبْدَ الصَّـدِيقِ

كما أنه يعرف كيف يفرِّق بين المعروف والمن.. فهو يقدم المعروف لكل ذى حاجة، لكنه لا يتبع ما يقدمه بالمن أو الأذى.. وهو إلى جانب معرفته لحق نفسه، يعرف تماما حقوق الناس..

أُفَـرِّقُ بَـيْنَ مَعْـرُوفِي وَمَنِّي   وَأَجْمَـعُ بَيْنَ مَـالِي والحُقُـوقِ

وهو رجل سمح، لين الطبع، يكره العنف والتعالى والتكبر، كان دائما يستشهد بقول الرسول الكريم «إنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بأَخْلَاقِكُم[٤٠]» ويقول: لو وزنت كلمات النبى (ﷺ) هذه - بكلام من فى الأرض جميعا لرجحت كلماته.

وهو لا يحب الظلم أو الإفتراء.. فحين علم بأن أحد عماله قد أهان شيخا وأساء معاملته كتب إليه «... وتالله لأكونن الباحث عليك، والمطالب لك دونه، لإقدامك على شيخ ابن ستين سنة بما أقدمت به عليه، وأُفٍّ لدينا اضْطَرْت إليكم فكنتم خيار مَنْ يعمل فيها، وأبرأُ إلى اللّهِ من أعمالكم، التى رجعتم بها إلى أنفسكم ونياتكم[٤١]»

كما أنه يكره الغرور والتكلف، لذلك كان يستثقل ابن أخيه - ويبدو أنه كان متعجرفا مغرورا - وكان دائما يصده ويقلل من شأنه، فتارة يؤنبه بقوله: «والله مالك فى الناس طبع، ولا فى السماء نجم، فمالك تكلُّفُ هذا التُّكلف» وتارة يحذره بقوله: «أترك هذا الصَّلَفْ، فإنه دَاعيةٌ إلَى التَّلَف»

وأكبر مهامه مكارم الأخلاق مهما كلفه ذلك من جهد أو مال، فإن من يكون عالى الهمة، أبِىّ النفس، سخىّ اليد، لا يهمه ما بذل أو أنفق.. فهذه هى سعادته، فليس هناك لذة تعادل لذة الانفاق.

لَا تَلُمْنِى فَـإنَّ هَمَّـك أَنْ تُثْـ   ـرَى وَهَمِّيَ مِكَارِمُ الأَخْـلَاقِ[٤٢]
كَيْفَ يسْطِيعُ حِفْظَ مَا جَمَعَتْ كَفَّـ   ـاهُ مَـنْ ذَاقَ لَـذَّةَ الأَنْـفَـاقِ

وهو رجل كريم، لايرد طلب سائل، ولا يرفض حاجة محتاج، بل يقدم جزيل شكره لكل من يقصده، لثقته به، ويقدم له أضعاف ما جاء يرتجيه:

---

(٤٠) أمراء البيان ٢٧١/١

(٤١) أمراء البيان ٢٦٨/١

(٤٢) انظر ديوان الشعر فى الكتاب، قافيته القاف.

مَنْ أَتَانِى فِى حَاجَةٍ فَلَهُ الفَضْـ ـلُ الجَزِيلُ مُسْدًى إِلَىَّ عَلَيَّا[٤٣]
وَلَـهُ الشُّكْرُ والمَـزِيدُ وأَضْعَـا فُ الَّذِى جَاءَ يَرْتَجِيه لَـدَيَّـا

ويتمنى أن يمنحه الله القدرة على الكرم والسخاء، وفك ضائقة المحتاجين:

لَا عَـدِمْتُ السَّخَـاءَ والبَـذْلَ لِلْمَا لِ وَلَا الـرَّاغِبِـينَ فِيـهِ إِلَيَّـا

وهو خير معين لأصدقائه، يقيل عثرتهم، ويمسح الضُّر عنهم، يقصدونه فى كل ملمة، ويطلبون عونه عند الحاجة، فلا يصد ولا يرد، ولا يرفض لهم طلبا، فطبعه دائما الوفاء.

يقول أحمد بن عبد الله بن العباس الصولى: كنت عند عمى إبراهيم فدخل إليه رجل، فرفعه حتى جلس إلى جانبه أو قريبا منه، ثم حادثه إلى أن قال عمى: يا أبا تمام... ومَنْ بَقِىَ ممن يُعتصمُ بِهِ أو يُلتجئُ إليه؟.. فقال: أنتَ! لَا عِدِمْتَ - وكان طوالاً - أنتَ والله كما قال القائل:

يَمُـدُّ نِجَادَ السَّيْفِ حَتَّى كَـأَنَّهُ بِأَعْلَى سَنَامِى فَالِـجٌ يَتَطَوَّحُ
ويُدْلِجُ فِى حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ ويُورِى كَرِيمَاتِ النَّدىَ حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا اعْتَمَّ بِالبُرْدِ اليَمَانِى خِلْتَهُ هِلَالاً بَدَا فِى جَانِبِ الأُفُقِ يَلْمَحُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ فَضْلُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال عمى - إبراهيم بن العباس -: أنتَ تُحسن قائلاً ومُتَمَثِّلاً وراويا[٤٤]

وهو وإن كان ذا ذكاء حاد.. واسع الحيلة، يعرف كيف يتخلص من مآزقه، إلا أنه كان ذا نفس لوّامة، تؤنّبه وتعاقبه إن فعل مالا يُرضى ضميره.. روى بعض أصدقائه ما يدل على ذلك فقالوا[٤٥]: «انصرف إبراهيم بن العباس يوما من دار المتوكل، فقال لنا: أنا والله مسرور بشيء مغموم منه. فقلنا له، وما ذاك أعزك الله؟. قال: كان أحمد بن المدبر رفع إلى أمير المؤمنين، أن بعض عُمّالى اقتطع مالاً، وصدق فىّ الذى قاله. وكنت قد رأيتُ هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه، فدعوتُ له، وضحك إلىّ فقال لى: إن أحمد قد رفع على عاملك كذا وكذا فأصدقنى عنه، فضاقت الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود علىَّ الغُرم، فعدلْت عن الحُجّة إلى الحيلة، فقلت: أنا فى هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك:

رَدَّ قَـوْلِى وَصَـدَّقَ الأَقْـوَالَا وَأَطَـاعَ الـوُشَـاةَ والـعُـذَّالَا

---

(٤٣) الطرائف الأدبية ص ١٥٥
(٤٤) أعيان الشيعة ٢٩٤/٥
(٤٥) الأغانى ٥٨/١٠

أَتُــرَاهُ يَــكُــونُ شَهْــرَ صُــدُودٍ وَعَــلَى وَجْــهِــهِ رَأَيْــتُ الهِــلَالَا

قال: لا يكون والله ذلك بحياتى يا إبراهيم، رَوِّ هذا الشعر بنانًا حَتَّى يُغَنِّينِى فيه. فقلت: نعم يا سيدى على ألَّا يُطالب صاحبى بقول أحمد. فقال الوزير: تقبل قول صاحبه فى المال. فسررت بالظَّفَر، واغتممت لبُطْلَان هذا المال، وذهابه بمثل هذه الحيلة».

وهو وفىّ يعرف معنى الوفاء، ويعرف كيف يغفر للأصدقاء... حين جافاه صديقه القديم - ابن الزيات - وتنكر لصداقته، عزّ عليه هذا الجفاء، وعاتبه مرارًا من مثل قوله:

أَخٌ بَــيْــنِــى وَبَــيْنَ الــدَّهْــ ـرِ صَــاحَــبٌ أَيُّــنَــا غَــلَبَــا
صَــدِيقِى مَــا اسْتَقَــامَ وَإِنْ نَــبَــا دَهْــرٌ عَــلَىَّ نَــبَــا

فلما وجده مجافيا - ثابتا على حاله، هجاه هجاء مرًّا.

وهو رجل يكره الخيانة والغدر والنفاق، فلا خير فى رجل خوّان

لَا خَــيْرَ فِى صُحْبَــةِ خَــوَّانٍ يَــأْتِى مِنَ الغَــدْرِ بِــأَلْــوَانٍ
وَلَعْنَــةُ اللَّهِ عَــلَى صَــاحِبٍ لَــهُ لِــسَــانَــانِ وَوَجْــهَــانِ

هذه بعض لمحات من أخلاق الرجل توضح صفاء نفسه، ونقاء أخلاقه، وتدل على شيمه الرفيعة وصفاته الحميدة.

- ٦ -
تشيعه

لم تشر المصادر الأدبية أو التاريخية صراحة إلى تشيع الرجل، ولم تتناول أخباره فى رحاب طائفة الشيعة، غير أن كل الدلائل تدل على أن إبراهيم بن العباس كان يميل إلى هذه الطائفة لاقتناعه بآرائها ومبادئها، وإيمانه بأحقية آل البيت الهاشمى فى تولى الخلافة.

ويؤكد هذا القول مصادر الشيعة نفسها - حيث اعتبرته أحد أعلامها الكبار كما وضعه السيد محسن الأمين الحسينى العاملى ضمن أعيان الشيعة[٤٦] الذين ترجم لهم وجمع أخبارهم، ووصفه بأنه أحد شعراء أبى الحسن الرضا.

وعَدَّه السيد رشيد الدين بن شهر أشوب فى معالم العلماء من شعراء الشيعة ومادحى أهل البيت عليهم السلام.

كما ذكره صاحب نسمة السحر فيمن تشيع وشعر، وسجّل الصدوق فى كتابه عيون أخبار الرضا - الذى صنفه للصاحب بن عباد - جميع أخبار وأقوال ابراهيم بن العباس فيما يتصل بالإمام على الرضا، كما دون جميع شعره الشيعى.

ولاشك أن الذى ساعد على رسوخ هذا المذهب الشيعى فى قلب الرجل واقتناعه بآرائه.. إتصاله أولا بالفضل بن سهل أحد الوزراء المتشيعين الكبار.. وأخيه الحسن ثم تنقلاته المختلفة فى بلاد فارس التى كانت تميل وتوازر الشيعة. كذلك تنقلاته المتكررة بين بلاد العراق التى كانت زاخرة بالعلويين، خاصة مدينة الكوفة موطن الشيعة ومركز تجمعهم[٤٧].

اعتنق الرجل المذهب الشيعى، فكان من الطبيعى أن يساهم فى الدفاع عنه، وأن ينطق بلسانه، ويمجد أئمته وولاته، وينشر تعاليمه، ويمدح أبطاله ويرثى قتلاه. ونعرف من تلميحات المصادر القديمة أن الرجل كان معتدلاً فى تشيعه؛ بالرغم من صداقته وزمالته لبعض الشيعة الروافض المتطرفين من أمثال دِعْبل الخزاعى - الذى كان يجاهر بعدائه وهجائه للعباسيين لإيذائهم العلويين، والذى ظل طريدًا يَجِدُّ الخليفة فى أثره حتى لقد قيل: «انه نحت خشبته وجعلها فى عنقه يدور بها يطلب من يصلبه ثلاثين سنة»[٤٨]. وكان الرجلان - دِعْبل

(٤٦) أعيان الشيعة ٢٧٧/٥.
(٤٧) الفن ومذاهبه فى الشعر - دكتور شوقى ضيف ص ٢٠٣.
(٤٨) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٥.

وإبراهيم – يتجولان معا، ويختلفان إلى حيث يمكن أن يتداولا مبادئ مذهبهم ويتلقيا أصول عقيدتهم الشيعية. وحينما شرع الخليفة المأمون فى تنفيذ مشروعه – وهو نقل الخلافة إلى آل البيت، ورفع الظلم والاضطهاد عنهم، وأخذه البيعة بولاية العهد للإمام على بن موسى الكاظم.. كان الرجلان – إبراهيم ودعبل – من أوائل الذين تقدموا لمدحه جهرًا، وعلى مسمع من الخليفة وعلمه، حتى أن شعرهما شاع وتُدوول بين جميع الأوساط الشعبية والرسمية، ونقله الرواة والاخباريون.

يقول أبو بكر الصولى: «لما بايع المأمون لعلى بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخُضرة، صار إليه دعبل بن على وابراهيم بن العباس الصولى، وكانا صديقين لا يفترقان، فأنشده دعبل:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ ... وَمَنْزِلُ وحى مُقْفِرُ العَرَصَاتِ

وأنشده ابراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة أولها:

أَزَالَتْ عَزَاءَ القَلْبِ بَعْدَ التَّجلُّدِ ... مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اسمه، وكان المأمون أمر بضربها فى ذلك الوقت. فأما دعبل بن على، فصار بالشطر منها إلى قُم، فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة، فباع حصته بمائة ألف درهم، وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات»(٤٩).

ويقص الصدوق فى عيون أخبار الرضا – قصة هذه الرحلة التى قام بها الرجلان فيقول:(٥٠) «حدثنا أحمد بن اسماعيل بن الخصيب قال: لما وَلِىَ الرِّضَا العهدَ، خرج إليه إبراهيم بن العباس ودعبل وأخوه رزين، وكانوا لا يفترقون، فقطعت عليهم الطريق، فالتجؤوا إلى أن يركبوا إلى بعض المنازل حميرًا كانت تحمل الشوك فقال إبراهيم:

أُعِيضْتُ بَعْدَ حَمْلِ الشَّوْ ... كِ أَحْمَالاً مِنَ الحَرْفِ
نَشَاوَى لاَ مِنَ الخَمْرَ ... ةِ بَلْ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

ثم قال لرزين أجز فقال:

فَلَوْ كُنْتُم عَلَى ذَاكُمْ ... تَصِيرُون إلَى القَصْفِ
تَسَاوَتْ حَالُكُم فِيهِ ... وَلَمْ تَبْقُوا عَلَى الخَسْفِ

---

(٤٩) أمالى المرتضى ٤٨٣/١.
(٥٠) أعيان الشيعة ٢٨٣/٥.

ثم قال لدعبل أجز فقال:

إذَا فَاتَ الَّذِى فَاتَا فَكُونُوا مِنْ بَنِى الظُّرْفِ
وَخِفُّوا نَقْصِفُ اليَوْمَ فَإنِّى بَائِعٌ خُفِّى

وتعتبر الفترة الأولى من عهد المأمون، من أحسن الفترات التى لازمت العلويين. فنرى إبراهيم بن العباس يواصل قدومه إلى على بن موسى الرضا ويمدحه بالعديد من القصائد. من هذه القصائد.. قصيدة دالية حفظ لنا التاريخ بعض أبياتها، رواها له أبو بكر الصولى وقال:[٥١] «ما عرفت فى أهل البيت شيئا من شعره إلاّ أبياتا وجدتها بخط أبى». قال: أنشدنى أخى لعمّه فى الرضا عليه السلام قوله:

كَفَى بِفِعَالِ إمْرِئٍ عَالِمٍ عَلَى أهْلِهِ عَادِلاً شَاهِدَا
أرَى لَهُمُ طَارِفًا مُؤْنِقًا وَلَا يُشْبِهُ الطَّارِفَ التَالِدَا
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ بِأمْوالِكُمْ وَتُعْطَوْنَ مِنْ مِائَةٍ وَاحِدَا
فَلَا حَمِدَ اللهُ مُسْتَنْصِرًا يَكُونُ لِأعْدَائِكُمْ حَامِدَا
فَضَلْتَ قَسِيمَكَ فِى قُعْدُدٍ[٥٢] كَمَا فَضَلَ الوَالِدُ الوَالِدَا

فنظرت فى قوله: «فَضَلْتَ قَسِيمَكَ» فوجدت الرضا عليه السلام والمأمون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من أبنائهما».

ولم يكن إبراهيم بن العباس يمدح أئمة الشيعة وعلماءهم فقط، بل كان يروى لهم أحاديثهم ويذيع آراءهم وأقوالهم فى مختلف المناسبات والمجالات..

يقول البغدادى[٥٣]: «روى إبراهيم بن العباس عن على بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر قال: سأل رجل أبا جعفر بن محمد: ما بالُ القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاّ غضاضة؟.. فقال: لأن الله لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو فى كل زمان جديد، وعند كل قوم غَضٌ إلى يوم القيامة».

بيْدَ أن وضع العلويين الشيعة لم يستمر طوال عهد المأمون، ولعل ذلك - كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن[٥٤] - «كان تخطيطا مرسوما وسياسة موضوعة قصد بها المأمون إلى اكتساب الخراسانيين المتشيعين. فالمأمون لم يُرِدْ بهذا العمل إلا اكتساب رضاء العنصر الخراسانى وضم العلويين إلى صَفِّه وتهدئة الخواطر. وأنه لم يكن مخلصا فى تحويل الخلافة إلى العلويين. وأن

---

(٥١) أعيان الشيعة ٢٨٥/٥، أمالى المرتضى ٤٨٥/١، أخبار البيوتات العلوية لابن زهرة الحسينى ٣٨.
(٥٢) القعدد: الأقرب إلى الأب الأكبر.
(٥٣) تاريخ بغداد ١١٧/٦، أعيان الشيعة ٢٨١/٥.
(٥٤) تاريخ الإسلام السياسى ١٨٣/٢.

هذا لم يكن إلّا سياسة دعت إليها الضرورة وسياسة الملك»... وسرعان ما انقلب المأمون على الشيعة ومن يميلون إليهم، يريد تصفيتهم بالقتل والتشريد، وفى مقدمتهم ولى عهده «الرضا». والفضل بن سهل وزيره فقد ذكرت مصادر الشيعة أن عليا بن موسى الكاظم قد اغتيل بتحريض من المأمون بوضع السم له. وأن الفضل بن سهل قد اغتيل فى حمام.

وتروى المصادر - أن إبراهيم بن العباس حين علم بما يدبر لاغتيال الفضل بن سهل من بعض مَنْ وُضِعُوا للفتك به، مارأى إلّا القيام بحسن الصنيعة مع الفضل لتوافقهما فى التشيع وحب آل البيت من ناحية، ولارتباطه به ومعيشته فى حمايته من ناحية أخرى. فأخبر ابراهيمُ الفضلَ بما يدبّر له، حتى يكون على حذر وبيِّنة. وقد كلفه هذا العمل أن يعيش طريدًا مستترا يَجِدّ المأمون فى البحث عنه مدة طويلة إلى أن عفا عنه - فى نهاية عهده - بما بلغه من حسن اعتذار دلّ على بُعد نظر وذكاء.

- كان من الطبيعى إزاء هذا الانقلاب والتطور الغريب فى سياسة المأمون، أن يلجأ الشيعة - علماء وشعراء - إلى «التُّقِيّة»، لإخفاء حقيقة مشاعرهم وشعرهم، ومهادنة أولى الأمر لإتقاء شرهم.

ومن هنا أخفى إبراهيم بن العباس حقيقة عقيدته الشيعية - مستخدما أهم أصلٍ من أصول المذهب الشيعى - وهو التُّقِيّة. فأوقف سيل شعره فى مديح أو رثاء أهل البيت. حَتّى إذا وصلنا إلى عهد المتوكل - الذى كان يكره الشيعة أشد الكره وينكل بهم أفظع تنكيل، حتى لقد بلغ به كرهه لعلى بن أبى طالب وآل بيته أن هدم قبر الحسين، وحول عليه مجرى من الماء، ومنع الناس من زيارته تحت طائلة العقاب[٥٥] - نجد الرجل لا يوقف نظم الشعر فحسب، بل ويغيرّ أسمى ولديه أيضًا. يقول صاحب أعيان الشيعة[٥٦]: «كان لإبراهيم إبنان الحسن والحسين، ويَكَنَّيان بأبى محمد وأبى عبد الله. فلما ولى المتوكل سمَّى الأكبر اسحق وكناه بأبى محمد، والآخر عباسًا وكنّاه بأبى الفضل فزعًا وخوفًا من المتوكل».

وبعد.. فقد وضح الآن أن الرجل كان شيعيا يميل للعلويين، ويدافع عن مذهبهم ويمدح أئمتهم.. ويعبر وينقل أفكارهم وآراءهم... فإذا كان ذلك كذلك.. فأين ذهب شعر الرجل المذهبى العقائدى الشيعى؟.. ولماذا لم يسجله له أبو بكر الصولى كما سجَّل شعره التقليدى؟ ومتى اختفى هذا الفن من ديوانه؟

يرد على هذه التساؤلات حفيد أخيه - أبو بكر الصولى - الذى جمع ما عُثِر عليه من

---

(٥٥) مختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على. ترجمة عفيف البعلبكى ص ٢٤٥

(٥٦) أعيان الشيعة ٢٨٣/٥ وانظر مروج الذهب للمسعودى ٢٨٨/٢، البيوتات العلوية ٣٨

شعره - فيقول[٥٧]: «وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره، ما حدَّثني به أبو العباس أحمد ابن محمد بن الفرات والحسين بن على الباقطانى. قالا:

«كان إبراهيم بن العباس صديقا لاسحق بن إبراهيم أخى زيدان، الكاتب المعروف بالزَّمِنْ، فأنسخه شعره فى علىّ بن موسى الرضا عليه السلام، وقد انصرف من خراسان ودفع إليه شيئًا بخطِّه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن وَلِىَ المتوكل، وولى إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت فى يده بحلوان وغيرها، وطالبه بمالٍ وألحّ عليه، وأساء مطالبته، فدعا اسحق بعض من يثق به من أخوانه[٥٨]،

وقال له: إمض إلى إبراهيم بن العباس، فأَعْلِمْه أن شعره فى علّى بن موسى بخطِّه عندى، وبغير خطه، والله لئن استمرّ فى ظُلمى، ولم يُزِل عنى المطالبة، لأوصلن الشعر إلى المتوكل»... فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس فأخبره بذلك، فاضطرب اضطرابًا شديدًا، وجعل الأمر فى ذلك إلى الواسطة فى ذلك، حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ الشعر منه، وأحلفه أنه لم يُبق عنده منه شىء، فلما حَصَل عنده أحرقه بحضرته».

وهذه الرواية تتفق تماما مع ما رواه الصدوق فى عيون أخبار الرضا[٥٩]، ونقله عنه صاحب أعيان الشيعة. إلا أن المسعودى انفرد برواية أخرى فقال[٦٠]:

«ذكر رجل من الكتّاب أن اسحق بن إبراهيم أخا زيد بن إبراهيم حدثه أنه كان يتقلد الصِّيمرة والسيروان، وأن إبراهيم بن العباس إجتاز به يريد خراسان، والمأمون بها، وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضى، وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على، وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم، قال. فاستحسنت القصيدة وسألته أن ينسخها لى ففعل، ووهبت له ألف درهم، وحملته على دابة.

وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك، وكنت أحد عمال موسى، وكان يحب أن يكشف أسباب موسى، فعزلنى وأمر أن تعمل مؤامرة، فعملت، وكثر علّى فيها، وحضرت للمناظرة عنها، فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله، ويحكم لى الكتّاب فلا يلتفت إلى حكمهم، ويُسمعنى فى خلال ذلك قذعا من الكلام، إلى أن أوجب علىّ الكُتّاب اليمين على باب من الأبواب، فحلفت عليه، فقال: ليست يمين السلطان عندك يمينًا لأنك رافضى. فقلتُ له: تأذن لى فى الدنو منك؟ فأذن لى، فقلت له: ليس مع تعريضك بمهجتى

(٥٧) أمالى المرتضى ٤٨٥/١، الأغانى ٥٢/١٠

(٥٨) كان الواسطة بينهما: على بن يحيى بن على المنجم

(٥٩) أعيان الشيعة ٢٨٢/٥

(٦٠) مروج الذهب ١٠٦/٤

للقتل صبر. وها هو المتوكل إن كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسى، وقد احتملت كل شىء إلاّ الرفض. والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس، وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة، قال: ومن قال ذلك؟. قلتُ: أنتَ.. وخطك عندى به، وأخبرته بالشعر. فوالله ما هو إلا أن قُلْت ذلك له حتى سُقِط فى يده، ثم قال: أحضر الدفتر الذى بخطى، فقلت له. هيهات! لا والله أو توثق لى بما أسكُنُ إليه أنك لا تطالبنى بشىء مما جرى على يدى، وتخرق هذه المؤامرة، ولا تنظر لى فى حساب. فحلف لى على ذلك بما سكَنْتُ إليه. وخرق العمل المعمول، وأحضرته الدفتر، فوضعه فى خُفِّه، وانصرفت وقد زالت عنى المطالبة» إلى أن تحين الفرصة فأحرقه..

ومن هنا اختفى الشعر الشيعى من ديوان الرجل حيث محَا إبراهيم بن العباس كل أثر ودليل على تشيعه، فأَمِنَ على نفسه، وعلى عمله، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

- ٧ -
حياته الخاصة

وحياة الرجل الخاصة، صورة من حياة شباب جيله وعصره، الباحث عن اللهو والتمتع بالحياة، فهو فرد فى مجتمع. ومن الطبيعى أن يجارى هذا المجتمع فى جميع مناحيه، ويفعل ما كان يفعله أنداده فى مختلف المجالات..

وتتميز حياة إبراهيم بن العباس بأنها مرَّت بطورين بارزين:

أولهما: طور لاهى عابث، يبحث فيه عن المتعة والجمال والحب.. وقد وجد ضالته فى ذلك، فى عشقه للقيان وحبه لحياة اللهو، وملازمته لرفاق المتعة والسهر ، والشرب والعبث...

والثانى: طور مضطهد عاتب، يعانى المشاكل والاضطهاد، ونكاية الأصدقاء، والأعداء على السواء، وهو فى طوره هذا ظل معاتبا حينا، مستعطفا حينا آخر، ثم مهاجيا فى باقى الأحيان.. بعد أن فقد الثقة فى الناس جميعا، وتباعد عنهم، وتحاشى أن يكون له صلة بأى منهم.

هذان الطوران وضحا جليا فى شعر الرجل الذى هو مرآة نفسه. فليس هناك شك فى أن هياج النفس بالحب، وهياجها بالشدة مدعاة إلى تفتح القريحة.

وهو فى طوره الأول كان يجارى شباب جيله فى لهوهم وعبثهم فى سهرهم، أحب الحياة بما فيها ومن فيها.. تطالعنا الأخبار.. أن الرجل كان له ثلة من الزملاء من أمثال دعبل الخزاعى ورزين والحسن بن وهب وغيرهم، يتفننون فى كيفية قضاء أوقات لهوهم وعبثهم، ويتداولون ما تخرجه قرائحهم من الأشعار فى مرح وبلا تكلف.

ويصور لنا الأصفهانى فى أغانيه[٦١] كيف كان الرجل يقضى مع أصدقائه أمتع الأوقات وأسعد اللحظات فى أحضان الطبيعة وبين أزهار البساتين، يتناظرون بالشعر حينا ويتعابثون حينا آخر. يقول ابراهيم بن العباس[٦٢]: كنا نطلُب جميعا بالشعر، فخرجنا وكُنّا فى مَحْمِلَ، فابتدأت فى المطلب بن عبد الله بن مالك:

أمــطَّلِبٌ أَنْتَ مُسْتَعْـذِبٌ

فقال دعبل:

لِسُمِّ الأفَـاعِى وَمُسْتَقْتِلُ

---

(٦١) الأغانى ١٠/٤٩.

(٦٢ الأغانى ١٠/٤٦.

فقلت:

فإنْ أشفَ مِنْكَ تكُنْ سُبَّةً

فقال دعبل:

وإنْ أعْفَ مِنْكَ فمَا تفْعَلُ؟

وتحدثنا المصادر القديمة[٦٣] عن ليالى الأوتار والأقداح، وكيف كان يقضى الرجل سهراته وما يدور فيها من مسامرات وفكاهات وأشعار تحكى علاقاته، وكيف كان يتندر بشعره على الآخرين سَاخِرًا عَابثًا.. ومتناظرًا أيضًا..

«دعا الحسنُ بن وهب إبراهيمَ بن العباس، فقال له: أركبُ وأجيئك عشيًّا فلا تنتظرنى بالغداة، فأبطأ عليه، وأسرع الحسنُ فى شربه فسكر ونام، وجاء ابراهيم فرآه على تلك الحال، فدعا بدواة وكتب:

رُحْنَا إلَيْكَ وَقَدْ رَاحتْ بِكَ الرَّاحُ وأسْرَعَتْ فِيكَ أوْتَارٌ وأقْدَاحُ

ثم نظر إليه وهو مخمور وقال:

عَيْنَاكَ قَدْ حَكَتَا مَبِيـ ـتَكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ كَانَا
ولَرُبَّ عَيْنٍ قَدْ أرَتْـ ـكَ مَبِيتَ صَاحِبِهَا عِيَانَا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا، وطالبه بمثلها، فكتبَ إليه بأربعة أبيات، وطالبه بأربعين بيتا. فقال:

أأبَا عَلِىٍّ خَيْرُ قَوْلِكَ مَا حَصَّلْتَ أنْجَعَه ومُخْتَصَرهْ
مَاعِنْدَنَا فِى البَيْعِ مِنْ غَبَنٍ لِلْمُسْتَقِلِّ بِوَاحِدٍ عَشَرَةْ
أنَا أهْلُ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْتَشِمٍ أرْضَى القَدِيمَ وأقْتَفِى أثَرَهْ
هَا نَحْنُ وَفَّيْنَاكَ أرْبَعَةً والأرْبَعُونَ لَدَيْكَ مُنْتَظِرَهْ

هكذا مر الطور الأول من حياته.. لهو ولعب، وسهر وخمر.. بل إن الخمر كانت احدى دعائم حياة اللهو والعبث فى عصره.. ولقد كان يساير شباب عصره فنراه يجاهر بها وَيَشْرَبُها، ويحث أنداده على العب منها - تماما كما كان يفعل معاصروه من أمثال أبى نواس وأضْرَابه.. من مثل قوله[٦٤]:

إشْرَبْ الرَّاحَ صَحِيحًا واشْرَبْ الرَّاحَ وَقِيذَا

(٦٣) معجم الأدباء لياقوت ١/١٠ والأغانى ٥٤/١٠.
(٦٤) الطرائف ص ١٤٤.

واعصِ مَـنْ لاَمَـكَ فِي الـرَّا حِ تَـعِشْ عَـيْـشًـا لَـذِيـذَا
لَـيْسَ مِـنْ عُـمْـرِكَ يَـوْمٌ لَمْ تَـذُقْ فِـيـهِ نَـبِـيـذَا

أما عن غرامياته.. فهى كثيرة.. ففى حياة الرجل مجموعة من القيان والجوارى.. ارتبطت حياته بهن، وكان منزله مأوى لهن ومرتع.. فهو تارة لهن محب، وتارة أخرى ممل، يتقرب من إحداهن فترة ثم لا يفتأ أن يتركها لغيرها... دفعه لذلك ما هو فيه من نعمة، وما لديه من مال، وما لآله من شهرة واسم.

تروى لنا المصادر القديمة، حكايات كثيرة عن علاقاته الغرامية..

يقول صاحب الأغانى(٦٥): «كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنين بسُرَّ مَنْ رَأى يقال لها «سَامَرْ» وشُهِر بها، فكان منزله لا يخلو منها، ثم دُعِيتْ فى وليمة لبعض أهلها، فغابت عنه أياما ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها، وقالت أُهْدَيْتُ صاحبتيَّ إليك عِوضًا من مغيبى عنك، فأنشأ يقول:

أَقْبَلْنَ يَحْفُفْنَ مِثْلُ الشَّمْسِ طَالِعَةً قَدْ حَسَّنَ اللهُ أُولاَهَا وأُخْـرَاهَا
مَـاكنتِ فِيهِـنّ إلاَّ كُنْـتِ وَاسِـطَةً وَكُنّ دُونَـكِ يُمْنَـاهَـا وَيُسْـرَاهَـا

«وجلس يوما للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعة من جوارى القيان. ودعاها فأبطأت، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه لما رأوا من شُغْل قلبه بتأخرها، ثم وافت فَسُرِّيَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرب فقال:(٦٦)

أَلَمْ تَـرَنَـا يَـومَـنَـا إِذْ نَـأَتْ فَـلَمْ تَـأْتِ مِنْ بَـيْنِ أَتـرابِهَـا
وَقَـدْ غَمَـرَتْنَـا دَوَاعِـى السُّـرُورِ بِـإِشْـعَـالِهَـا وَبِـإِلْهَـابِهَـا
وَمُـدَّتْ عَـلَيْنَـا سَمَاءُ الـنَّعِـيمِ وَكُـلُّ المُـنَى تَحْـتَ أَطْـنَـابِهَـا
وَنَـحْـنُ فُـتُـورٌ إِلَى أَنْ بَـدَتْ وَبَـدْرُ الـدُّجَـى بَـيْنَ أَثْـوَابِهَـا
فَـلَمَّا نَـأَتْ كَـيْـفَ كُـنَّـا لَهَـا وَلَـمَّا دَنَتْ كَـيْـفَ صِـرْنَـا بِهَـا

وأمر مَنْ حضر فقرأ عليها الأبيات، فتجنت وقالت: ما القصةُ كما وصفت، وقد كنتم فى قصفكم مع مَنْ حضر، وإنما تجمَّلتم لِي لـمَّا حَضَرتُ. فقال:(٦٧)

يَـا مَـنْ حَـنِـيـنِي إِلَـيْـهِ وَمَـنْ فُـؤَادِى لَـدَيْـهِ
وَمَـنْ إِذَا غَـابَ مِـنْ بَـيْـنِهِـم أَسِـفْـتُ عَـلَـيْـهِ

---

(٦٥) الأغانى ٤٧/١٠.
(٦٦) الأغانى ٤٦/١٠.
(٦٧) الأغانى ٤٦/١٠.

إِذَا حَضَرْتِ فَمَا مِنْـ ـهُمْ مَنْ أَصْبُو إِلَيْهِ
مَنْ غَابَ غَيْرُكِ مِنْهُم فَأَمْرُهُ فِي يَدَيْهِ

فرضِيَتْ فأقاموا يومهم على أحسن حال، ثم طال العهد بينها فملَّها، وكانت شاعرة مثله.. تهواه، فكَتَبَتْ إليه تُعاتبه:(٦٨)

بِاللَّهِ يَانَاقِضَ العُهُودِ بِمَنْ بَعْدَكَ مِنْ أَهْلِ وُدِّنَا نَثِقُ
وَاسَوْأَتَا مَااسْتَحْيَتَ لِي أَبَدًا إِنْ ذَكَرَ العَاشِقُون مَنْ عَشِقُوا
لاَ غَرَّنِي كَاتِبٌ لَهُ أَدَبٌ وَلاَ ظَرِيفٌ مُهَذَّبٌ لَبِقُ
كُنْتَ بِذَاكَ اللِّسَانِ تَخْتِلُنِي دَهْرًا وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ مَلَقُ

فاعتذر إليها ورجعها، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما.

وهكذا عاش الرجل الطور الأول من حياته لهو ولعب، وشرب وحُب.. يستمتع بمباهج الحياة ومناعمها، ويصرف وقته فى اللهو ومداعبة القيان، وكأنه يرى أن من حقه أن يحب وأن يشرب، وأن يطرب، وأن ينفق كل ما يصل إلى يديه فى سبيل لذّته وشهوته، حتى لقد أتلف كل ماله، مما حَدَى بأخيه عبد الله بن العباس أن يهب له بعض ماله لعله يصلح ما أفسده..

وهكذا كان يعيش لنفسه، ويغترف من اللذات شأن أضرابه. قيل له: قد أخملتَ نفسَكَ ورضيت أن تكون تابعًا أبدًا لاقتصارك على القصف واللعب فقال:

إِنَّمَا المَرْءُ صُورَةٌ حَيْثُ حَلَّتْ تَنَاهَتِ
أَنَا مُذْ كُنْتُ فِي التَّـ ـصَرُّفِ لِي حَال سَاعَتِي

ولاشك أن انغماسه فى الترف، كان أحد أسباب تخلّفه فى عمله بدواوين الخلافة، وربما كان ذلك من دواعى معادات بعض كبار رجال الدولة له.

* أما الطور الثانى من حياة الرجل.. فهو الذى عانى فيه من الاضطهاد والعَزْل والتنكيل والتشريد، وقاسى فيه السجن والحرمان، وكأنه كان يدفع ضريبه لهوه وعبثه السابق.

فى هذا الطور فقد ثقته فى أصدقائه وتباعد عنهم، وتحاشى الاتصال بهم، كافيًا نفسه شرهم، عملا بقوله ﷺ: «اللَّهُم اكْفِنِي شَرَّ أَصْدِقَائي، أَمَّا أَعْدائى فَإِنِّى كَفِيلٌ بِهِم». ذلك أن كل ما عاناه فى طوره الثانى كان من أصدقائه.

وتطالعنا الأخبار أن الرجل كان على علاقة وثيقة بمعظم رجال عصره، مرتبط بهم، تجمعهم

(٦٨) الأغانى ٤٧/١٠.

الأخوة والألفة، والصداقة والمنادمة، خاصة أولئك الذين يجمعهم عمل واحد، وتولف بين قلوبهم مهنة واحدة.. وهم الكُتَّاب.. خاصة «محمد بن عبد الملك الزيات». ولعل دواوين الخلافة ووحدة الهدف، والتطلع إلى الأمل كل ذلك كان يجمع بينهما فى وُدٍّ وصفاء. ولكن الأيام منقلبة، والنفوس متغيرة، والصداقة كلما تأكَّدت وقوت.. فربما تنقلب إلى عداوة شديدة وبغضاء وشحناء. فما أن رفعت الأقدارُ ابنَ الزيات، وتقلَّد الوزارة - فى عهد الخليفة المعتصم بالله - حكم من (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) حتى تنكر لصداقته الماضية، ولزملاء مهنته، فأدار وجهه عنه. وتباعد ما بينهما من وُدّ وحلّت الشَّحْنَاءَ والبغضاء...

والحقيقة لا نعرف لذلك التغيير المفاجئ سببا واضحا، فلم تتحدث المصادر عن الأسباب الجوهرية فى هذا العداء المستحكم والطويل بين الرجلين الصديقين. بيد أن أبا بكر الصولى ذكر السبب فى كتابه أدب الكتاب[٦٩] على لسان أحد المعاصرين للرجلين.. قال:

«يرجع السبب فى العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيّات وإبراهيم بن العباس الصولى أنه لما ولى وزارة المعتصم نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة، فعاتبه فلم يعتبه، فألهب له نار هجاء لا يطفيها الدهر، وعلامة ذلك قوله فى كلام منثور قد ذكره ولى هذا الأمر «فَمَا ظَنَّ أَنَّ الرِّيَاسَةَ تَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، وَلَا أَنَّ العِزَّ يَتَحَصَّلُ لَهُ إِلَّا بِحَطِّ إِخْوَانِهِ فِى مَنْزِلَتِهِمِ، وَنَقْصِهِم عَنْ مَرْتَبَتِهِم، فَبَخَسَنِى فِى الْمُكَاتَبَة وأَسَاءَنى فِى الْمُعَامَلَةِ فى كلام له طويل. ثم نظم ذلك فى شعر.... وكان هذا الخطاب فى أول الأمر.. ثم انحى عليه بالهجاء».

وأغلب الظن أن هذا ليس سببا جوهريا فى هذا العداء، وربما كانت الوقيعة بينهما من دعاة السوء، وحرص ابن الزيات على وضعه ومنزلته، ثم خوفه من منافسة إبراهيم بن العباس له - وهو كاتبٌ مثله ولا يقل عنه فصاحةً وبيانًا ومنزلةً - ربما كانت هذه العوامل أساسًا لهذا العداء والقطيعة. غير أن أبا الفدا يضيف إلى ذلك كله سببا هاما - وهو أن ابنَ الزيات حين ولى الوزارة صادر إبراهيم بألف ألف درهم[٧٠] دون أدنى سبب واضح.

اتخذت العداوة بين ابن الزيات وإبراهيم بن العباس شكل معركة نفسية شديدة دارت ردحًا طويلا من الزمان. بدأها ابنُ الزيات بالتقليل من شأن إبراهيم والتدخل فى شئونه الخاصة، ومحاولة تصيد أخطائه، وإتهامه بالتقصير..

ولم يكن كل ذلك بطريقة المواجهة، بل بالتَّراسل. ثم اتخذت هذه العداوة شكلا آخر أكثر

---

(٦٩) أدب الكتاب ص ١٥٩

(٧٠) المختصر فى أخبار البشر لابى الفدا ٣٧/٢

تنكيلا بأن سلط عليه أَبَا الجَهْم، ثم عَزَلَهَ عن ولاية الأهواز وأوعز لأخيه موسى بن عبد الملك بحبسه وإيذائه.

كتب إبراهيم بن العباس إليه يستعطفه ويذكِّره بصداقتهما وأيامهما الماضية.. وكتب إليه يعاتبه.. ولكن كلماته ذهبت هباء، حتى لقد صارت أمثالاً سائرة، ومن أجلها عُدّ الرجل - فى شكاية الإخوان وذكر تغيرهم - أشعر الناس.

يصف إبراهيم بن العباس حالته فى هذه الفترة، وما قاساه فى سجنه من آلام النفس والجسد، كما يصف ثقل الحديد، فيقول فى قصيدة طويلة(٧١):

كَمْ تُرَى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَنِى   قَدْ بَلِيَ مِنْ طُولِ هَمٍّ وَفَنِى
أَنَا فِى أَسْرٍ وأَسْبَابِ رَدًى   وَحَدِيدٍ فَادِحٍ يَكْلُمُنِى
وأَبُو عَمْرَانَ مُوسَى حَنِقٌ   حَاقِدٌ يَطْلُبُنِى بِالإِحَنِ
لَيْسَ يُشْفِيه سِوَى سَفْكِ دَمِى   أَوْ يَرَانِى مُدْرَجًا فِى كَفَنِ

ثم تضخمت العداوة وتطورت، واتخذت شكلا قاسيا، حتى وصل خبرها إلى عِلْم الخليفة الواثق بالله، فوقف على أسبابها، وعرف مدى الضغط والتعسف الذى عاناه إبراهيم بن العباس على يدى ابن الزيات وأخيه. فأمر وزيره بعدم التعرض له، والكف عن اضطهاده وإهانته.. ولكن بعد أن وصل هياج النفس فى إبراهيم مداه، وتشبعت نفسه بالحقد والمرارة التى قاساها وعاناها فى سجنه من جراء تعذيبه.. فبسط لسانه فى هجاء ابن الزيات وآله، هجاء لم تُطْفئه مياه الدهر.. من مثل قوله(٧٢):

قَدَرْتَ فَلَمْ تُضْرُرْ عَدُوًّا بِقُدْرَةٍ   وسُمْتَ بِهِ إِخْوَانَكَ الذُّلَّ والرَّغْمَا
وكُنْتَ مَلِيئًا بِالَّذِى قَدْ يَعَافُهَا   مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْتِى الدَّنِيئَةَ والذَّمَّا

وقوله:

أَبَا جَعْفرٍ خَفْ خَفْضَةً بَعْدَ رَفْعَةٍ   وقَصِّرْ قَلِيلًا عَنْ مَدَى غُلَوائِكَا
لَئِنْ كَانَ هَذَا اليَوْمُ يَوْمًا حَوَيْتَه   فَإِنَّ رَجَائِى فِى غَدٍ كَرَجَائِكَا

ولقد كان لهذه العداوة القائمة - بين ابن الزيات وإبراهيم - انعكاس واضح وأثر كبير على علاقاته بالآخرين.. وعلاقات الآخرين به...

فبعضهم تحاشاه خوفا على نفسه من بطش الوزير.

وبعضهم كان منافقا، فعاداه دون ما سبب إرضاء للوزير.

(٧١) الوزراء والكتاب للجهشيارى، وأمراء البيان ص ٢٥٩
(٧٢) الأغانى ٤٤/١٠

وبعضهم هجره، وتغير له مثل صديقه الحارث بن بُسْخُنَّر.

وفى ذلك يقول[٧٣]:

تَغَيَّرَ لِى فِيمَنْ تَغَيَّرَ حَارِثُ وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ غَيَّرَتْهُ الحَوَادِثُ
أَحَارِثُ إِنْ شُورِكْتُ فِيكَ فَطَالَمَا غَنِينَا وَمَابَيْنِى وَبَيْنَكَ ثَالِثُ

وبعض أخير قعد عن نصرته فى ملمّته مثل أحمد بن المدبر - الذى استعان به إبراهيم فى أمر نكبته فَقَعَد عنه، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه ابن الزيات. وفى ذلك يعاتبه بقوله[٧٤]:

وَكُنْتَ أَخِى بِالدَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتَ فَلَمَّا عَادَ عُدْتَ مَعَ الدَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُك طَائِلَا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُك فِى وِتْرِ
وما كُنْتَ إلاَّ مِثْلَ أَحْلَامِ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْك مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ

كل ذلك أفقده الثقة فى أصدقائه، وعقّد نفسه، ففضل أن يكون وحيدًا بعد أن عَزَّ الوفاء، وانعدم الإخلاص والصفاء، وحيدًا إلاّ من قلمه وقريحته وفنه آخذا الأمان منهم.. عاملا بحكمته[٧٥]:

لَوْ قِيلَ لِى خُذْ أَمَانًا مِنْ أَعْظَمِ الحَدَثَانِ
لَمَا أَخَذْتُ أَمَانًا إِلَّا مِنَ الإِخْوَانِ

وظل يعمل ويكتب وينظم.. وظل مترصدا لابن الزيات يسجل حركاته وسكناته، حتى أمسك بأطراف خيوط المؤامرة التى دبّرها الوزير بتوزيعه الأموال والجواهر على أعوانه ومريديه، فأشاعها إبراهيم بن العباس بأبياته الرائية المشهورة[٧٦]، وفَضَح أمره.. فكانت هذه الواقعة هى بداية نهاية الوزير، حيث شاعت سرقاته وبدأ نجمه فى الأفول.

---

(٧٣) المرجع السابق.
(٧٤) الأغانى ٦٧/١٠
(٧٥) راجع هذه الأبيات فى ديوانه
(٧٦) راجع هذه الأبيات فى ديوانه وقافيتها (وزير) ورجعها فى فصل

٨
حياته فى القصور

توارثت عائلة الصُّولى خدمة الخلفاء، والعمل فى دواوين الدولة – كُتَّابًا ووُلَاةً ونُدماء – فكان من الطبيعى أن يتابع الرجل عمل آبائه وأجداده، خاصة بعد أن تعهدوه وأعدوه لأن يخلفهم فيما هم فيه من أعمال رسمية.

ولاشك أن الرجل كان يصاحب أفراد عائلته – فى طفولته وصباه – إلى أماكن عملهم فى دواوين الخلافة، فيقع بصره على ماهم فيه عاملون، وما هم به – من المهابة والتقدير – محاطون. كما أنه بلاشك كان يتصل برجال الدولة من كُتَّاب وحُجَّاب، بحكم صلته العائلية، وكان يطلع على كل ما تدور عليه الأعمال فى الدواوين. ولاشك أنه كان يبهر بجمال وروعة القصور، وما يحيط بها من حدائق وزهور، كل ذلك حَبَّبَ إليه أن ينخرط فى سلكهم، ويدور فى مجالهم، ونمَّى طموحه، وقوَّى عزمه، فأخذ يدرس ويثقف نفسه بكل ما يحتاج إليه الخلفاء، وما يتطلبه العمل فى خدمتهم، ويوسِّع مداركه، ويحفظ الشعر قديمه وحديثه، ويعرف آداب الملوك، حتى استطاع أن يشق طريقه المرسوم فى سبيل غايته المرجوَّة، متابعا الركب الذى سار فيه نوابغ عائلته، ذلك الطريق الذى نهايته قصور الوزراء والخلفاء..

والطريق إلى الخلفاء، لابد وأن يمر أولاً على الوزراء والأمراء، فنراه يتجول على قصور الوزراء مادحًا، وتتوطد علاقته بالوزير الفضل بن سهل، الذى تولى السلطة المطلقة فى إدارة شئون البلاد، بعد مقتل الخليفة محمد الأمين (١٩٣ – ١٩٨هـ)، ويقرِّبه الوزير ويتخذ منه ومن أخيه عبد الله بن العبَّاس كتَّابًا له فى الدولة، فيتدرجُون فى الأعمال الرسمية طيلة وزارته وحياته.

ولقد جمع بين الرجلين – إلى جانب الأعمال الرسمية – التشيع وحُبّ آل البيت، فكان الفضل بن سهل وإبراهيم ينتميان إلى مذهب الشيعة، ويؤمنان بمبادئه.

ولقد كان للفضل بن سهل الفضلُ الأكبر فيما وصل إليه إبراهيم من مكانة ومن سؤدد، لذلك نجد إبراهيم بن العباس يقدم إليه الأشعار، ويمدحه فى المناسبات المختلفة معترفًا بأفضاله وجميل خصاله، خاصة حين لَقَّبَهُ المأمون «بذى الرِّياسَتَيْن» – أى رياسة الحَرْب ورياسة التَّدبير – على حد قول الجهشيارى[٧٧] – وعقد له على سنان ذى شعبتين، وأعطاه مع العقد علمًا كُتب عليه لقبه، وأمَّره. فكان أول وزير يُلَقَّب، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير.

(٧٧) الوزراء والكتاب – للجهشيارى ص ٣٠٥

* ارتبطت حياة إبراهيم بالفضل بن سهل ارتباط الروح بالبدن، وكان الوزير يُغْدِق عليه ويقدره، وكان إبراهيم يعترف بفضله، ويفى بعهده، ويحفظ سِرَّه، ولا يقبل عليه ضيمًا أو غدرًا.. تقول المصادر القديمة أن إبراهيم بن العباس حين أحس بالمؤامرة تدبَّر فى الخفاء، للَّنيْلِ من الفضل بن سهل والفَتْك به، أفْشَى هذا السر، لعله يستطيع أن يحول دُون إتمامه، فأذاعه وحَذَّر الفضل منه، فكان مصيره التخفى والتشريد والمطاردة حتى عَفَا عنه المأمون بعد ذلك..

يقول الطبرى(٧٨): «لما عَزَم المأمون على الفَتْكِ بالفضل بن سهل، وندب له عبد العزيز بن عمران الطائى، ومؤنسا المصرى، وخَلَفًا المصرى، وعلى بن أبى سعد ذا القَلمين، وسراجا الخادم، نُمِيَ الخبر إلى الفضل، فأظهره للمأمون، وعاتبه عليه، فلّما قُتل الفضلُ، وقَتَل المأمونُ قَتَلَتُه، سأل مِنْ أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس، فطلبه فاستتر، وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران، وكان الفضلُ استكتب إبراهيم لعبدالعزيز بن عمران، فأخبر به الفضل... وتحمّل إبراهيمُ بالناس على المأمون، وجرّد فى أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباس، وكان جريئا على المأمون لأنه ربّاه، وشخص إليه إلى خراسان فى فتنة إبراهيم بن المهدى، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل، فلقيه إبراهيم مستترا وسأله عما عمل فى حاجته، فقال له هشام: قَدْ وعدنى فى أمرك بما تحب، فقال له إبراهيم: أظن أن الأمر على غير هذا!، قال: وما تظن؟. قال: مَحَلُّكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعِدَكَ شَيْئًا فَتَرْضَى بَتأْخِيرِه، وهُوَ أكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعِدُ مِثْلَكَ شَيْئًا فَيُؤَخِّره، وَلَكِنَّكَ سَمِعْتَ مَالاَ تحِبّ فِىّ، فَكَرِهْتَ أَنْ تَغُمَّنِي بِهِ، فَقُلْتَ لِى هَذَا القَوْلَ، وأَحْسَنَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ الأحْوَالِ جَزَاءَكَ»، فَمَضَى هشام إلى المأمون فعرّفه خبرَ إبراهيم، فعجب من فطنته، وعفا عنه».

قُتِل الفضلُ بن سهل فى حمّام غيلةً(٧٩)، بمدينة سرخس بخراسان سنة ٢٠٢هـ فحزن الرجل حزنا شديدًا، وغاب فترة عن الظهور حتى منحه المأمون العَفْو، فأخذ يتقرب إليه، ويقدم له المدائح - خاصة بعد أن أعلن المأمون عَزْمه على نقل الخلافة من البيت العباسى إلى البيت الهاشمى، واتخاذه الإمام الفاطمى على بن موسى الكاظم وليًّا للعهد، وتلقيبه الرضا، واتخاذه اللون الأصفر - شعار الفاطميين - شعارًا للدولة..

كل ذلك ربط بين المأمون وبين إبراهيم، فتجاوب معه، وقدم إليه درر قصائده ومدائحه. ولما تزوج المأمون من بوران ابنة الوزير الحسن بن سهل (سنة ٢١٠هـ) نراه يقدم إليه قمة

(٧٨) تاريخ الطبرى ق ٣ ص ١٠٢٥ وما بعدها. الأغانى ٦٢/١٠

(٧٩) مختصر تاريخ العرب - لسيد أمير على، ترجمة عفيف البعلبكى ص ٢٣٣

مديحه الديني والدنيوى. وهكذا اتصلت حياة الرجل بالخليفة المأمون، وظل فى خدمته إلى أن توفى سنة ٢١٨ هـ.

ولما بُويع المعتصم بالله بالخلافة (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ظل إبراهيم فى خدمته، ومع بدايه عهده بدأت حياة الرجل السياسية، وبدأ فى الظهور فى الأعمال الرسمية، فكان كاتب الدولة فى عهده.

وبعد وفاة المعتصم بالله بويع ابنه الواثق بالله بالخلافة (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) فاحتفظ بعمال الدولة، وكان إبراهيم كاتبها.. فنرى الرجل يبعث إليه برسالته المشهورة - التى يرثى فيها المعتصم. وفى نفس الوقت يُهَنِّئه بتولى الخلافة - تلك التى يقول فيها بعد أن حَمَدَ وأثنى: «إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بالشُّكْرِ مَنْ جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَأَوْلاَهُم بالصَّبْرِ مَنْ كَانَ سَلَفَه رسولُ الله، وأَمِيرُ المُؤْمِنِين أعزَّه الله، وآبَاؤهُ نَصَّرَهُمْ اللَّه، أُولُو الكِتَابِ النَّاطِقِ عَنِ الله بالشُّكْرِ، وَعِتْرَةُ رَسُولِهِ المَخْصُوصُونْ بالصَّبْرِ، وَفِى كِتَابِ اللَّه أَعْظَمُ الشِّفَاءِ، وَفِى رَسُولِهِ أَحْسَنُ العَزَاءِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ وَفَاةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ المعتصم بالله، ومِنْ مَشِيئةِ اللَّهِ فِى وَلاَيةِ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ الواثِقِ بالله، مَا عَفَى أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِه، وَتَلاَقَتْ بَدَاَتُه عَاقِبَتَه، فحَقَّ اللَّهِ فِى الأُولَى الصَّبْرَ، وفَرَضَ فِى الأُخْرَى الشُّكْرَ، فإنْ رَأَى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَجِيزَ ثَوَابَ اللَّهِ بِصَبْرِهِ، وَيَسْتَدْعِى زِيَادَتَهُ بِشُكْرِهِ، فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ(٨٠)»

ويتدرج الرجل فى الأعمال الرسمية فيوليه الخليفة الواثق «الخراج» بالأهواز سنة ٢٣٣ هـ فيقوم إبراهيم بحمل الأمانة، ويَسْتَوْزِرُ الواثقُ محمد بن عبد الملك الزيات، فيغتبط إبراهيم بذلك ويمدح الوزير بثقة الخليفة.. ولكن ابن الزيات يتنكر له، ويتناسى صداقته، فنراه يعزله، ويوجِّه أبا الجهم إلى الأهواز ليحل محله، ويتحامل عليه تحاملا شديدًا، فيكتب إليه إبراهيم مرارًا يشكو إليه ويعاتبه دون أن يسمع أو يقوم بحق الصداقة بل استمر فى الإساءة إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه(٨١)، ولم تنفع شفاعة إبراهيم ولا عتابه أو استعطافه. فتحول ذلك إلى غضب شديد، فكان إبراهيم يرصد أخطاء ابن الزيات، ويسجل هفواته حتى يتحين الفرصة المناسبة منه.

ثم وقف الواثق على تحامل ابن الزيات عليه، فأمره بأن يرفع يده عنه، ويرده إلى الحَضْرة مصونا، فلما عرف إبراهيم ذلك بسط لسانه فى محمد بن الزيات، وأخذ يلمزه لمزًا، ثم تحول اللمز إلى هجاء مقذع، حين جاءته الفرصة المتحينة، يوم علم أن محمد بن عبد الملك الزيات -

---

(٨٠) أمراء البيان ٢٦٧/١

(٨١) الأغانى ٥٠/١٠

الوزير - «أودع مالاً عظيما وجوهرًا نفيسًا، وقد رأى تغيّرًا من الواثق فخَافَهُ، وفرّق ذلك فى ثقاته من أهل الكرخ، ومُعامليه من التجار، وكان إبراهيم يُعاديه، ويرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتًا وأشاعها حتى بلغت الواثق يُغريه به[٨٢]..

نَصِيحَةٌ شَانَهَا وَزِيرُ ... مُسْتَحْفَظٌ سَارِقٌ مُغِيرُ
وَوَدَائِعٌ جَمَّةٌ عِظَامٌ ... قَدْ أُسْبِلَتْ دُونَهَا السُّتُورُ
تِسْعَةُ آلَافِ أَلْفِ أَلْفٍ ... خِلَالُهَا جَوْهَرٌ خَطِيرُ
بِجَانِبِ الكَرْخِ عِنْدَ قَوْمٍ ... أَنْتَ بِمَا عِنْدَهُمْ خَبِيرُ
والمُلْكُ اليَوْمَ فِي أُمُورٍ ... تَحْدُثُ مِنْ بَعْدِهَا أُمورُ
قَدْ شَغَلَتْهُ مُحَقَّرَاتٌ ... وَصَاحِبِ الكَارَةِ الوَزِيرُ

فكان ذلك سببا فى كشف ابن الزيات ومصادرة الأموال.

مات الواثق بالله، فتولى المتوكل على الله الخلافة (حكم من ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) وسرعان ما تنقلب الحال على الوزير ابن الزيات، فيأمر المتوكل بمصادرة أمواله وممتلكاته ثم إعدامه.

وتعتبر فترة حكم المتوكل أزهى وألمع فترة فى حياة الرجل، فقد اتّخذ منه كاتبا للدولة ثم نديما يرفّه عنه، ويجاذبه أطراف الحديث، ويحكى له الطرائف والملح، وكان إلى جانب الخليفة فى كل أوقاته..

فحين عقد الخليفة المتوكل لولاة العهُود من ولده، نراه يمدح المتوكل بمديحته السينية الرائعة - التى يقول فيها[٨٣]:

وَلَمَّا بَدَا جَعْفَرٌ فِي الخَمِيـ ... ـسِ بَيْنَ المَطْلِ وبَيْنَ العَرُوسِ
بَدَا لَابِسًا بِهَا حُلَّةً ... أُزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ النُّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَا بَيْنَ أَحْبَابِهِ ... وُلاةِ العُهُودِ وَعِزِّ النُّفُوسِ
غَدَا قَمَرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ ... وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بالشُّمُوسِ
لإِيقَادِ نَارٍ وَإِطْفَائِهَا ... وَيَوْمٍ أَنِيقٍ وَيَوْمٍ عَبُوسِ

ثم يقبل على ولاة العهود فيقول:

أَضْحَتْ عُرَى الإِسْلامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ ... بالنَّصْرِ والإِعْزَازِ والتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وثَلاثَةٍ ... كَنَفُوا الخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ

---

(٨٢) الأغانى ٦٦/١٠ (الكارة: يعنى بها السرة التى فيها الأموال)
(٨٣) الأغانى ٦٤/١٠

قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ فَحَفَفْنَ مَطْلَعَ سَعْدِهِ بِسعُودِ
رَفَعَتْهُمُ الأَيَّامُ وارْتَفَعُوا بِهِ فَسَمَوْا بأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ

فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم، وأمر له وُلاة العهود بمثلها.

ثم نراه يصوغ الدرر، ويبعث بالرسائل على لسان الخليفة إلى مختلف العمال والولاة، حيث كان المتوكل يلذّ لكتاباته، ويثنى عليها فى كل المجالات(٨٤).

وظل يرتفع نجم إبراهيم، فيتولى ديوان النفقات والضياع بسُرَّ مَنْ رَأَى، غير أنه اندفع يجارى المتوكل فى ملذاته وسهراته، وينظم الشعر ليُغنَّى به، فيطرب ويشرب. وصار لا يطيق فراقه، ولا يقبل أن ينتقصه أحد حتى الوزير(٨٥) وظل إبراهيم بن العباس فى منادمته للمتوكل - إلى جانب عمله فى ديوان النفقات والضياع إلى أن انتقل إلى بارئه.

٩
وفاته

وإذا كان المؤرخون والأدباء - الذين تناولوا حياة الرجل وسيرته وأدبه - قد أغفلوا ذكر سنه مولده، أو لم يحددوها. إلا أنهم اتفقوا جميعا على تحديد السنة التى جاور فيها ربّه. فذكروا أن الرجل عمر طويلا وأنه عاش حياة حافلة بالأحداث الجسام، حتى حان أجله فانتقل إلى بارئه - وهو شيخ قارب السبعين من عمره - سنة ثلاث وأربعين ومائتين للهجرة (سنة ٢٤٣ هـ) فى خلافة المتوكل على الله، وهو على رأس ديوان الضياع والنفقات بمدينة سُرَّ مَنْ رَأَى.

مات الرجل بعد حياة مديدة، تحوى الأفراح والأتراح...
فانطوت آخر صفحة من صفحات حياته.

---

(٨٤) الأغانى ٥٨/١٠.
(٨٥) الأغانى ٥٨/١٠

آثار الرجل

حفظت كتب التاريخ والأدب - لإبراهيم بن العباس - أسماء بعض آثاره، فذكر له مترجموه من أمثال ابن النديم وياقوت وابن خلكان والزركلي وغيرهم خمسة مؤلفات. وقد رأيت أن أتتبع آثار الرجل فى كل ما وقع تحت يدى من كتب التراجم والآداب والتاريخ، غير أننى لم أعثر من هذه الآثار إلاّ على: ديوان شعره، وبعض الرسائل والمكاتبات الرسمية، وبعض الأقوال التى وُجدت منثورة بين ثنايا كتب الأدب والتراجم. أما باقى كتبه فقد امتدت إليها - شأن غيرها - يد البلى فأفنتها، وطواها الزمن فيما طوى من ذخائر ونفائس، فضاعت معالمها، ولم يبق منها سوى الاسم أو الاشارة، دون التعرف على مضمونها ومنهجها، وطريقة تأليفها.

ومؤلفات الرجل حسب ما أورده ابن النديم وياقوت وابن خلكان هى:

١ - ديوان شعره.

٢ - ديوان رسائله.

٣ - كتاب الدولة.

٤ - كتاب الطبيخ.

٥ - كتاب العطر.

١ - ديوان شعره[٨٦]

ديوان إبراهيم بن العباس، ديوان صغير الحجم، يضم مجموعة من المقطعات القصار، بيتين أو ثلاثة أبيات إلى جانب عدد قليل من القصائد، جمعه حفيده أبو بكر الصولى «محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولى» معتمدا على مجموعة من الرواة الثقات، الذين عاصروا الرجل أو قرب عهدهم منه، من أمثال ثعلب وأبي ذكوان وغيرهما، وقد نص أبو بكر الصولى صراحة على مصدر كل رواية من هذا الشعر، مما كان له الفضل الأكبر فى عدم اختلاط شعر الرجل بغيره أو انتحاله.

وقد قسم أبو بكر الصولى شعر الرجل حسب الفنون ثم حسب القوافى، فجعل قسما للمديح، وقسما للغزل، وثالثا للمراثى، ورابعا للمعاتبات والإعتذارات وغير ذلك.. ولكن هذه الطريقة - وشعر الرجل أصلا قليل - جعلت كل فن من الفنون عنده يبدو أبياتا قليلة قد لا تتجاوز أحيانا العشرة أبيات.

والديوان حسب ما أورده الصولى ينقصه كثير من الشعر الذى كان بين ثنايا كتب الأخبار والتراجم، كما أن أبا بكر نفسه أغفل مقطوعة أوردها له فى كتابه أدب الكتّاب، ولم يضمنها الديوان.

ومن الديوان نسخة مخطوطة فى مكتبة وهبى أفندى بغدادلى باستبنول تحت رقم ١٧٤٤. ولقد كان للأستاذ عبد العزيز الميمنى جهد مشكور فى نسخ هذا الديوان وتصحيحه وتبيين مستعجمه وتشكيل بعض أبياته، ثم طبعه ضمن مجموعة الطرائف الأدبية بالقاهرة سنة ١٩٣٧م. غير أنه لم يراع اختلاف الروايات التى وردت فى دواوين الأدب المختلفة. ولم يطابقها مع الأصل المخطوط.

---

(٨٦) معجم الأدباء ١٦٤/١، وفيات الاعيان ٢٥/١، الأعلام ٣٨/١

٢ - ديوان رسائله[٨٧]

يقول ابن النديم[٨٨] - عن مؤلفات الرجل - «وله من الكتب كتاب الرسائل» وأغلب الظن أن معاصريه من الأدباء جمعوا رسائله الأدبية ومكاتباته وتوقيعاته وأقواله، وضموها فى ديوان حافل عرف بذلك. يقول المسعودى[٨٩]: «ولإبراهيم بن العباس مكاتبات قد دونت، وفُصول حسان من كلامه قد جُمعت، قد أتينا على كثير منها فى الكتاب الأوسط».

وقد وجدنا كثيرا من كتابات الرجل ومكاتباته بين ثنايا الأغانى ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان، والوزراء والكتاب وزهر الآداب وأمراء البيان.. وكل هذه الكتابات والمكاتبات تشهد بعلو كعب الرجل فى الأدب، ومقدرته الفائقة على التعبير، فكان بحق - كما قال ياقوت[٩٠] - «كاتبًا حاذقًا بليغًا فصيحًا منشئًا».

٣ - كتاب الدولة[٩١]

ذكرت المصادر القديمة أن الرجل ألف هذا الكتاب، لكنها لم تتناول أى شىء عما يحتويه. ولقد ضاع هذا الكتاب كغيره من كتب الرجل، ولم يبق منه أى إشارة تدل على موضوعه أو الغرض منه.

وأغلب الظن أن إبراهيم بن العباس تناول فيه دولة بنى العباس، مؤرخا لها ولخلفائها ووزرائها وكتّابها، وكل ما يتصل بها من أحداث - كما فعل غيره من علماء العصر، ومن هنا أطلق عليه اسم الدولة، وهو يقصد بالطبع الدولة التى عاصرها وعاش فى رحابها وعرف كثيرا من خباياها، وكتب كثيرا من مكاتباتها ورسائلها الرسمية، خاصة وقد عاصر من الخلفاء الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكانت له صلة كبيرة وعلاقة وطيدة بمعظم هؤلاء الخلفاء ووزرائهم، كما كان يتولى مجموعة من دواوين الدولة فى الأهواز وسُرَّ مَنْ رأى.

---

(٨٧) الفهرست ص ١٧٦، معجم الأدباء ١٦٤/١، مروج الذهب ٣٨٣/٢، الاعلام ٣٨/١.

(٨٨) الفهرست ص ١٧٦.

(٨٩) مروج الذهب ٣٨٣/٢.

(٩٠) معجم الأدباء ١٦٤/١.

(٩١) الفهرست ١٧٦، الاعلام ٣٨/١.

٤ - كتاب الطبيخ[٩٢]

ضاع هذا الكتاب ولا نعرف شيئا عن محتوياته أو الغرض من تأليفه. ويفهم من عنوانه أنه يتناول وصف المأكولات والمطبوخات التى تقدم فى القصور أثناء الولائم والمناسبات، كما يتضمن وصف طريقة إعدادها وطهوها.

وقد يتناول وصف الأوانى والأطباق، وغير ذلك مما تقدم فيها المأكولات.

٥ - كتاب العطر [٩٣]

ضاع هذا الكتاب أيضا، ولم نعثر له على أى أصل مخطوط أو مطبوع. وأغلب الظن أن هذا الكتاب - كما يدل عنوانه - يتناول الحديث عن العطور وأنواعها وأسمائها وطريقة استخلاصها.. وكل ما يتصل بها.

---

(٩٢) الفهرست ص ١٧٦، الاعلام ٣٨/١.
(٩٣) الفهرست ١٧٦، الاعلام ٣٨/١.

الباب الثالث

الكاتب
أو «كاتب بنى العباس»

الكاتب

- ١ -

احترف إبراهيم بن العباس حرفة الكتابة، فكان أحد كتّاب بنى العباس المرموقين، وأحد الذين يشار إليهم بالبنان، لروعة أسلوبه، وعمق أفكاره، ومقدرته على التعبير والتحبير، وصوغ الدرر، واستغلاله لكل عناصر البيان استغلالا أضفى على كتاباته الرونق والجمال.

أشاد معاصروه جميعا ومترجموه بمكانته وعراقته..

فقال ياقوت:[١] «كان ابراهيم كاتبا حاذقا بليغا فصيحا منشئا».

وقال ابن النديم:[٢] «أحد البلغاء»

وقال أبو زيد البلخى:[٣] «أبلغ الناس فى الكتابة، حتى صار كلامه مَثَلاً»

وعَدّه صاحب العقد الفريد:[٤] «فى جملة من نَبُل بالكتابة فاستحق اسمها»

واعتبره أبو بكر الصولى[٥] «إمامًا من أئمة الكتاب يُقتدى به فيها»

ووضعه محمد كرد على[٦] ضمن أمراء البيان الذين يشار إليهم بالبنان

هذا عن الكاتب.....

أما عن كتاباته وأسلوبه ومنهجه، فيشهد بذلك كل من سمعوه أو قرأوه: تقول المصادر[٧] «أن عبد الله بن عمرو الكاتب من بنى «عبد كان» المصريين، كان يستصغر كُتّاب «سُرَّ من رأى» لسنّا وَرَدَها، ولا يرضى أحدهم، فلما أدخلوه على إبراهيم بن العباس وهو يُملِى رسالة فى قتل إسحاق بن اسماعيل، سمع ما أعجبه فقال: «هذا مَنْ لَمْ تَلِد النِّساءُ مثلَه، فإنِّى سَمِعْتُهُ يُمْلِى شَيْئًا كَأَنَّ فيهِ نَذِيرٌ مُبِين».

ويقول ياقوت:[٨] «إن إبراهيم بن العباس قرأ إحدى رسائله على المتوكل، فعجب المتوكل

---

(١) معجم الأدباء ١٦٤/١.
(٢) الفهرست ١٧٦.
(٣) معجم الأدباء ١٦٤/١.
(٤) أمراء البيان ٢٧٤/١.
(٥) أدب الكتاب ص ٥٥.
(٦) أمراء البيان ٢٧٤/١.
(٧) أمراء البيان ٢٦٧/١.
(٨) معجم الأدباء ١٨٨/١ - والأغانى ٥٣/١٠.

من حسنها، وأومأ إلى وزيره عبيد الله بن يحيى.. أما تسمع؟ فقال: يا أمير المؤمنين: إن ابراهيم ابن العباس فضيلةٌ خبأها الله لك، وذخيرة ذخرها لدولتك، واحتبسها على أيّامِك».

هذا هو إبراهيم بن العباس الصولى الكاتب فى رأى معاصريه ومترجميه... وهذه هى آراؤهم فى كتاباته، فالكل مُجْمِع على رفعة مكانته بين الكتّاب معترف بقدرته الفائقة على التعبير، واستخراج أروع الأساليب الفنية فى كتاباته سواء الرسمية أو غيرها، حتى وصل عن جدارة واقتدار إلى مرتبة «كاتب العراق»..

فإذا كان الرجل كاتبا أديبا.. وهذه هى الآراء فيه وفى كتاباته ومكاتباته فإنه من المهم الآن أن نرى الوجه الأول لأدبه الانشائى وهو «النثر الفنى» الذى وضح من خلال رسائله، لنستطيع أن نتعرف على فنّه، وخصائصه الفنية، وأسلوبه، ومنهجه فى التفكير والتعبير، وطريقته فى الكتابة والتحبير، لنرى صورة فكره، ولون بيانه، ومستواه العلمى والثقافى، ومدى تأثره بأعلام العصر الكاتبين ممن سبقوه وعاصروه، وأثره فى عصره، وأثر عصره فيه... حتى نستطيع أن نقيم هذا الفن الأدبى.

- ٢ -

كتاباته الفنية:

إذا أمعنا النظر فى كتابات الرجل الفنية، نرى أن نثره نثر مرسل، تُطلقه قريحَةٌ موهوبة وبلاعناء. يحرص فيه الرجل على انتقاء جيد الألفاظ وأفصحها، وأجمل العبارات وأوضحها، كما يحرص على وضع الكلام فى مواضعه، ويبعد عن القوالب المستكرهه والألفاظ الوحشية. ويظهر فى هذا النثر تصرفه البارع فى المعانى والألفاظ معا، لإبراز الفكرة التى يتناولها، مستعينا على ذلك كله بثقافته العربية الإسلامية، التى غذتها روافد الثقافات الوافدة المترجمة، التى تعكس تصورات الأمم الأخرى فى البيان والبلاغة.

ولنقرأ مقدمة إحدى رسائله(٩) - التى كتبها على لسان المتوكل إلى عمّاله فى الآفاق - لنتعرف على الوجه النثرى من أدب الرجل:

«....أمَّا بعد، فَإِنّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بِعِزَّتِهِ الَّتِى لَا تُحَاوَلُ، وقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يُرِيد، اصْطَفَى الاسلامَ فَرَضِيَه لِنَفْسِهِ، وأَكْرَمَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ، وبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ وأَيَّدَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وكَنَفَهُ بالبِرِّ، وحَاطَهُ بالنَّصْرِ، وَحَرَسَهُ مِنَ العَاهَةِ، وأَظْهَرَهُ عَلَى الأَدْيَانِ، مُبرَّأً مِنَ الشُّبُهَاتِ، مَعْصُومًا مِنَ الآفَاتِ، مَحْبُوًّا بِمَنَاقِبِ الخَيْرِ، مَخْصُوصًا مِنَ الشَّرَائِعِ بِأَطْهَرِهَا وأَفْضِلِهَا، وَمِنَ الفَرَائِضِ بِأَزْكَاهَا وأَشْرَفِهَا، وَمِنَ الأَحْكَامِ بِأَعْدَلِهَا وأَقْنَعِهَا، وَمِنَ الأَعْمَالِ بِأَحْسَنِهَا وأَقْصَدِهَا، وأَكْرَمَ أَهْلَهُ بِمَا أَحَلَّ لَهُم مِنْ حَلَالِهِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَرَامِهِ، وَبَيَّنَ لَهُم مِنْ شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَدَّ لَهُمْ مِنْ حُدُودِهِ وَمَنَاهِجِهِ، وأَعَدَّ لَهُمْ مِنْ سِعَةِ جَزَائِهِ وَثَوَابِهِ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَفِيمَا حَضَّ عَلَيْهِ فِيهِ وَوَعَظَ. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بالعدلِ والإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون....»

- فى هذه المقدمة التمهيدية.. نرى أن الكاتب متين العبارة، قوى الألفاظ، واضح المعنى، يعرف كيف يختار كلماته المعبرة، التى تمهد له الدخول فى موضوع رسالته، فيتحدث عن الإسلام دينا. اصطفاه الله لعباده وأكرم به ملائكته، وأظهره على جميع الأديان خالصا مبرأً، وخصّه بأفضل الشرائع والفرائض وأظهرها لبنى الانسان..

وهو فى حديثه هذا.. يسترسل فى عباراته استرسالاً عذبا سلسًا، فى جمل ذات فقرات

(٩) أمراء البيان ٢٧٢/١

متوازنة متعادلة، تقصر أحيانا كقوله.. «وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ وأيَّد بِهِ أَوْلِيَاءَهُ، وَكَنَفَهُ بِالبرِّ، وَحَاطَهُ بِالنَّصْرِ، وَحَرَسَهُ مِنَ العَاهَةِ».

وتطول أحيانا أخرى حسب دواعي الحال، وتدفق القريحة كقوله:

«مَخْصُوصًا مِنَ الشَّرائِعِ بأَطْهَرِهَا وَأَفْضَلِهَا، وَمِنَ الفَرَائِضِ بأَزْكَاهَا وأَشْرَفِهَا، وَمِنَ الأَحْكَامِ بأعدلِهَا وأَقْنَعِهَا، وَمِنَ الأَعْمَالِ بأَحْسَنِهَا وأَقْصَدِهَا.

ونراه أحيانا يسجع.. وأحيانا لا يسجع، كما يستخدم بعض المحسنات البديعية لفظية ومعنوية.. كل ذلك لإبراز مقاصده التى يريد توصيلها، وتوضيح فكرته التى يريد إظهارها، فى ترتيب جميل للأفكار، وتسلسل منطقى للعناصر.

والمكاتبة الديوانية عنده - كما عند معظم كتاب العصر - لابد وأن تبدأ بالبسملة ثم التحميدة.. وكان الكتّاب يتفننون فى تحميداتهم تفنُّنا كبيرًا، حتى لقد كانت تُقَاس مقدرتهم الفنية بمقدار ما يضمنون هذه التحميدات من معانى جميلة، وأفكار ورؤى.. وترتفع قيمة الرسالة بما يقدم لها من تحميد وثناء يخدم موضوعها.

ولقد اشتهر كاتبنا - إبراهيم بن العباس - بقوة تحميداته وحُججه، ومقدرته الفائقة على اختيار معانيه وألفاظه فى أسلوب رائع متين. والتحميدة عنده لابد أن ترتبط بموضوع المكاتبة، فإذا كانت بخصوص فتح أو حرب، كانت تمس موضوع الحرب وتتناول الجهاد فى سبيل الله. والأمل فى نصره وتأييده

* من مثل قوله فى تحميدته التى بدأ بها مكاتبته فى فتح(١٠):

«الحَمْدُ لِلَّهِ المُزَيِّلِ لِمَا يُمَهِّدُ المُبْطِلُون، ويَمْكُرُ بِهِ المَاكِرُون، ويَكِيدُ بِهِ المُلْحِدُون، تَمْكِينًا لِعَبْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَذَبًّا عَنْ دِينِهِ وَحَقِّهِ، وَإِظْهَارًا لأَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ، وَإِمضَاءً لِعَزَائِمِه وقُدْرَتِهِ، مُنْعِمًا قَادِرًا، وَمُمْلِيًا مُمْهِلاً، عَدْلاً إِذَا اسْتَدْرَجَ، مُتَفَضِّلاً إِذَا أَنْعَمَ، حَمْدًا بِهِ يسْتَنْزَل نَصْرُه، ويُبْلَغ بِهِ رِضْوانُه، ويُمْتَرَى بِمِثْلِهِ فَوَاضِلَ مُزِيدِه».

* وقوله فى تحميدة لفتح آخر(١١):

«الحمدُ للَّهِ مُعِزِ الحقِّ وَمُدِيلَه، وقَامِعِ البَاطِلِ وَمُزِيله، الطَّالِبِ فَلَا يَفُوتُه مَنْ طَلَب، والغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَلَب، مُؤَيِّدِ خَلِيفَتِهِ وَعَبْدِهِ، ونَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِم دَعْوَتَه، وأَعْلَى بهِمِ كَلِمَتَه، وأظهَرَ بِهِم دِينَهُ، وأَدَالَ بِهِم حَقَّهُ، وجَاهَدَ بِهِم أَعدَاءَهُ، وأَنَارَ بِهِم

(١٠) أمراء البيان ١٦٨/١ (ذب عنه: دفع ومنع، عزائم الله: فرائضه، يمترى: يستخرج)
(١١) أمراء البيان ٢٦٩/١

سَبِيلَهُ، حَمْدًا يتَقَبَّله وَيَرْضَاهُ، ويُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نَصْرِه، وسوابغِ نَعْمَائِه».

وإذا كانت التحميدة مقدمة لرسالة رثاء.. كانت هادئة حزينة، تتصل بقضاء الله وقدره وإيمان الإنسان بالفناء، والرضا بما أراد الله وقدّر، وهكذا كل تحميدة تتصل بموضوع ومضمون المكاتبة، فكلاهما عمل واحد يكمل بعضه بعضا.

* والرجل إذا كان أحيانا يستخدم الأسلوب الواضح الهادئ، الذى يصل إلى الذهن والقلب، دون إعمال للخاطر أو العقل.. كقوله فى إحدى تحميداته:

«الحمدُ لِلَّهِ بجَمِيعِ مَحَامِدِه التى حُمِدَ بِهَا، عَلَى جَمِيعِ آلاَئِهِ، وَجميلِ بَلائِهِ، فِيمَا وَلّى بِهِ خليفَتَه، ونَصَرَ بِهِ دِينَهُ، وَأَقَامَ بهِ حَقَّهُ، وأَقَرَّ بهِ وَلِيَّه، وقَمَعَ بِهِ مَنْ أَلْحدَ عَنْ سَبِيلِهِ، حَمْدًا يُؤَدِّى حَقَّ نِعْمَتِهِ، ويُوجِبُ بِهِ أَفْضَلَ مزيدِهِ بِمَنِّهِ وطَوْلِهِ(١٢)».

* نراه أحيانا يستخدم أسلوب الفلاسفة وتصوّراتهم، مضمنا رسائله أفكارهم وعلمهم فى معرفة حقيقة الذّات الالهية، فى أسلوب قوى رصين، مقتبسا من القرآن معانيه وألفاظه، مستخدما أسماء الله الحسنى الواردة فيه..

من مثل قوله: «الحمد لله.. الأوّلُ بلا أبد يُحصى، والآخر بلا أمد يفنى، الظاهر لخلقه بعزته، العزيز فى سلطانه بعظمته، الفرد بوحدانيته بقدرته، المدبر فى ملكه بجبروته، الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها محويا، واتصل بها فلم يك من علمها خليا، وهو فيها غير مستكن، ومعها غير مماسّ، فى لجج البحار، ومفاوز القفار، وشوامخ الجبال، وكثبان الرمل، مع كل خلق، فى كل أفق، وعلى كل شرف ومكان، وفى كل وقت وأوان، موجود إذا طُلب، وقريب حيث نُدب، عالم خفيات الغيوب، وخطرات القلوب، وما فى السموات وما فى الأرض، «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم»، «وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين(١٣)»

فنجده يستخدم «الأول.. والآخر.. والظّاهر.. والعزيز.. والمدبّر» وكلها من أسماء الله، ويستخدم «بلا أَبدٍ يُحْصَى.. وبِلاَ أَمَدٍ يَفْنَى، غير مُسْتِكنّ، غير مُمَاس.. وهذه إشارات تتصل بآراء الفلاسفة والمتكلمين. ويقتبس معانى القرآن وآياته كقوله تعالى(١٤): ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُم...﴾ (الآية)

(١٢) أمراء البيان ٢٦٩/١

(١٣) أمراء البيان ٢٦٩/١

(١٤) الآية ٧ من سورة المجادلة.

وقوله تعالى[١٥]: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا...﴾ (الآية)

* ونرى كاتبنا يستخدم كثيرا الأسلوب المسجع المتوازن الفقرات.. «الظَّاهِرِ لَخَلْقِهِ بعِزَّتِهِ، العَزِيزِ فِي سُلْطَانِهِ بِعَظَمتِهِ، الفَرْدِ بوَحْدَانِيَّتِهِ بِقُدْرَتِهِ». فى عبارات طويلة أحيانًا... «الَّذِي نَأَى عَنِ الأَشْيَاءِ أَنْ يكُونَ فِيهَا مَحْوِيًّا، واتَّصَلَ بِهَا فَلَمْ يَكُ مِنْ عِلْمِهَا خَلِيًّا...». وفى عبارات قصيرة أحيانًا أخرى.. «فِي لَجَجِ البِحَارِ، وَمَفَاوِزِ القِفَارِ، وَشَوَامِخِ الجِبَالِ، وكُثْبَانِ الرَّمْلِ، مَعَ كُلِّ خَلْقٍ، فِي كُلِّ أُفُقٍ..»

كما نلاحظ فى أسلوبه الإسهاب والإطناب، والاسترسال مع الأفكار.

وأن قلمه يجول فى حرية ويسر بلا عائق أو قيد، وأن قريحته تنطلق.. فما جَالَ فى خاطرِهِ سجّله، وما أحس به دوّنه، فى نطاق موضوعه الذى يهيمن على آفاق فكره...

وهكذا نرى أن كل تحميدة من تحميداته تحوى عمق التفكير وطرافته، ودقّة التعبير وحبكته، كما نرى التأنق فى الألفاظ، والعناية الفائقة بما تحتويه من المعانى. ويظهر لنا فيها أيضًا.. حسن استخدام التنغيمات الصوتية الآتية من الإزدواج، والعبارات المتعادلة، والسجع الخفيف، فى أسلوب يملكه ويسيطر على لغته، وينظمه تنظيما تصويريا وموسيقيا بديعا، يلذ العقل والشعور، لجودة تقسيمه ودقة منطقه، يرتفع به إبراهيم بن العباس، حتى يصل إلى الغاية الفنية التى ارتضاها لنفسه، وأملها فيه الناس.

هذه هى أهم العناصر التى تلقى الضوء على إفتتاحية مكاتبات الرجل - فيما عرف قديما تحت اسم «التحميدة».

ويهمنا بعد ذلك أن نتعرف على أهم الخصائص الفنية، التى تتضح فى عصب المكاتبة نفسها، والتى يمكن استخلاصها من مجمل كتابات الرجل ورسائله.

---

(١٥) الآية ٥٩ من سورة الانعام.

- ٣ -
خصائصه الفنية

من كتابات إبراهيم بن العباس ومكاتباته، نستطيع أن نتبين فى وضوح وجلاء العديد من خصائصه الفنية..

من أبرز هذه الخصائص تأثره بطريقة البرامكة الفرس فى الكتابة، تلك الطريقة التى ورثها عنهم.. وتتصل ببراعة الاستهلال، والتفنن فى صياغة التحميدات، كما تتصل بالإسراف فى التبجيل والتعظيم، ووضع هالة من التقديس والاحترام على كل مَنْ يكتب لهم من الخلفاء والوزراء، من مثل قوله(١٦): «أمير المؤمنين أعزَّهُ الله، وآباؤه نضَّرهم الله، أُولُو الكتاب الناطق عن اللهِ بالشُّكْرِ، وعِتْرَةِ رسُوله المخصوصون بالصَّبر».

وهكذا فى معظم رسائله ومكاتباته.

ومن خصائصه الفنية أيضا: تأثره بالقرآن الكريم، فنرى اقتباسًا واضحا للمعانى، وتضمينا كثيرا للآيات القرآنية، التى توضح معناه وتؤيده، وتكسبه الروعة والجمال..

يقول(١٧): وقَسَّمَ اللَّهُ عَدُوَّهُ ثَلاثَةَ: رَوْحًا مُعَجَّلَةً إِلَى عَذَابِ اللَّهِ، وُجثَّةً مَنْصُوبةً لأَوْلِيَاءِ اللَّه، وَهامَةً مَنْقُولةً إِلَى دَارِ خَلافَةِ اللَّهِ، اسْتَنْزَلُوه مِنْ مَعْقِلٍ إِلَى عِقَالٍ، وبدَّلُوه أجالاً مِنْ أَمَالٍ، وَقَدِيمًا غَذَت المَعْصِيَةُ أَبْنَاءَهَا، فَحَلَبَتْ عَلَيْهِم مِنْ دَرِّهَا مُرْضِعَة، وبَسَطَتْ لَهُم مِنْ أَمَانِيهَا مُطْمِعة، وَرَكِبَتْ فِيهِم مَخَاطِرَهَا مُرِضَعَة، حتَّى إِذَا رَتَعُوا فَأَمِنُوا، وَرَكِبُوا فَاطْمَأَنُّوا، وانْقَضَى رِضَاعٌ، وأَنَ فِطَامٌ، سَقَتْهُم سُمًّا ففجَّرَتْ مجارِى أَلْبَانَهَا دَمًا، وأَعْقَبَتْهُم مِنْ حُلْوِ غِذَائِهَا مُرًّا، وَحَطَّتْ بِهِم مِنْ مَعْقِلٍ إِلَى عِقَالٍ، ومِنْ حَسْرَةٍ إِلَى حَسْرَة، قَتْلًا وأَسْرًا، وَأَبَاحَةً وقَسْرًا، وَقَلَّ مِنْ أَوْضَعَ فِى الفِتْنَةِ مَرْهَجًا فِى لَهَبِهَا، واقْتَحَم لَهَبَهَا مُؤَجِّجا إِلاّ اسْتَقْحَمَتْه أَخِذَةً بِمَخْنَقِهِ، وَمُوهِنَةً بالحَقِّ كَيْدَه، حَتَّى تَجْعَلَهُ لِعَاجِلِه جَزْرًا، وَلآجِلِه حَطَبًا، وَلِلحَقِّ مَوْعِظَةً وَللبَاطِلِ حجةً، وَذَلِكَ لَهُم جَزَاء فِى الدُّنْيَا، ولَعَذَابِ الآخِرَةِ أَكْبَر، وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيد».

---

(١٦) معجم الأدباء ١/١٩٠

(١٧) أمراء البيان ١/٢٦٦. وفى رواية عريب فى صلة تاريخ الطبرى، أن أول هذه الرسالة: كما ورد حق... وبدلوه آجالا من آمال. (أرهج الغبار: أثاره، أرض جزر وأجزر ومجزورة: لا تنبت، أو أكل نباتها، أو لم يصبها المطر)

ونرى فى رسالته هذه كيف استغل عنصر الإيحاء والتصوير استغلالا ذكيا. فصوّر المعصية بقرة حَلُوبا.. ولكن لا تمدهم بالغذاء.. بل بالسم الزعاف، وصوّرها رَكُوبا حتى إذا استقروا فوق ظهرها، وأمنوا لها أودت بهم إلى القتل كما نراه يلوّن رسالته تلوينات لفظية وعقلية جميلة.. فنرى طباقات متعددة «حلو ومر.. عاجل وآجل.. الحق والباطل»..

ونجد سجعا جميلا منمقا، أطلقته العفوية.. وكذلك نحس جودة التقسيم وعمق التفكير، ودقة التعبير، والإحتيال الذكى فى إخراج الرسالة مخرجا قويا يرهب العُصَاه، وينذرهم بأوخم العواقب وأفظع النهايات.

* ومن أبرز خصائصه الفنية على الإطلاق خصيصة استيحاء الشعر فى كتابة النثر استيحاء جميلا، حتى لكأنه ينظم النثر، أو ينثر الشعر..

يقول فى رسالة إلى أهل حمص يتهددهم ويتوعّدهم[١٨]...

(... أما بعد، فإنَّ أميرَ المُؤمنينِ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ بِما قَوَّمَ بِهِ مِنْ أَوَدْ، وعَدَّل بِهِ من زَيْغٍ، ولَمَّ به من مُنْتَشِرٍ، استعمال ثلاثٍ يقدمُ بعضُهنّ أَمَامَ بَعْضٍ، أُولاهُنَّ ما يَتَقَدَّمُ بِهِ مِنْ تَنْبِيهٍ وتَوْقِيفٍ، ثُم ما يَسْتَظْهِرُ بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وتَخْوِيف، ثُم الَّتِي لاَ يَقَعُ حَسْمُ الدَّاءِ بغَيْرِهَا، فإنَّ أميرَ المؤمنينِ أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَها وَعِيدًا، فإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُه والسَّلاَم)..

فهو قد ضمن رسالته - دون أن يقصد - جملة هى فى حقيقتها بيت من الشعر، وهو قوله:

أناةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيدًا فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهْ

وقد زعم ياقوت.. أن هذا هو أول شعرٍ نَفَذَ فى كتاب عن خلفاء بنى العباس[١٩].

وليست هذه هى الرسالة الوحيدة التى سلك الرجل فيها هذا المسلك.. بل له رسائل وتوقيعات عدة نجد فيها هذه الخصيصة بارزة...

كتب ابراهيم بن العباس يتشفّع لرجل...

«فُلاَنٌ مِمَّنْ يَزكُو شُكْرُهُ، ويَحْسُن ذِكْرُه، ويَعْنِينِى أَمْرُه، والصَّنِيعَةُ عندَهُ وَاقِعَةٌ مَوْقِعَهَا، وسَالِكَةٌ طَرِيقَهَا، وأَفْضَلُ مَا يَأْتِيهِ ذُو الدِّين والحِجَا، إِصَابَةَ شُكْرٍ لَمْ يَضِعْ مَعَهُ أَجْرٌ، والكَرِيمُ أَوْسَعُ ما تَكُونُ مَغْفِرَتُهُ، إِذَا ضَاقَتِ بِالْمُذْنِبِ مَعْذِرَتُهُ»[٢٠].

---

(١٨) معجم الأدباء ١٨٨/١، وفيات الأعيان ١٥/١، أعيان الشيعة ٢٩٦/٥.
(١٩) معجم الأدباء ١٨٨/١.
(٢٠) الأغانى ٥٣/١٠، أعيان الشيعة ٢٩٥/٥.

فنجده قد ضمن شفاعته هذه.. جملة ينشأ منها بيت شعر وهو قوله:

وأَفْضَلُ مَايَأْتِيهِ ذُو الدِّين والحِجَا　　إصَابَةُ شُكْرٍ لَمْ يَضِعْ مَعَهُ أَجْرُ

وهو لا يستوحى شعره فقط، بل ويستوحى شعر الآخرين أيضًا فى كتاباته ومكاتباته.. فنراه يستوحى شعر أبى تمام وشعر مسلم بن الوليد فى بعض رسائله، وهو لا ينكر ذلك، بل يعترف بأمانة وشجاعة، أنه حين فكر فى تحبير إحدى رسائله، جال بخاطره شعر أبى تمام فى أحد المعانى، وشعر مسلم فى معنى آخر[٢١].

وسمة هامة، وخصيصة بارزة فى كتاباته.. وهى التركيز.

ولعل العامل الأساسى فى ذلك.. انشغاله بالتوقيعات فى الأعمال الرسمية، وتظهر هذه الخصيصة أكثر ما تظهر فى التعليق على بعض الأمور، وفى التوقيع على المكاتبات التى كانت تصله فى دواوين الخلافة.. بيد أن هذا التركيز لم يمنعه من استخدام مهارته العقلية، ومقدرته الفنية، فهو يؤلف توقيعاته فى لغة متينة، وبأسلوب يعتمد على التصوير الطريف، والإيقاع الصوتى الأنيق، والطباقات ومقابلاتها أسلوب مكثف، يؤدى إلى إعمال الفكر والخاطر.

* وَرَدَ إليه كِتَابُ أحد كتّابه بِذَم رجل ومدح آخر، فوقّع فى الكتاب:[٢٢]

(إِذَا كَانَ للمُحْسِنِ مِنَ الجَزَاء مَا يَقْنَعُه، وللمُسِيءِ مِنَ النَّكَالِ مَا يَقْمَعُه، بَذَلَ المحْسِنُ الوَاجِبَ عَلَى رَغْبَة، وإِنْقَادَ المُسِيءُ لِلحَقّ رَهْبَة).

ووقّع لرجل آخر يمتُّ إليه بحرمة وصلة:[٢٣]

«تَقَدَّمْتَ بحُرْمَةٍ مَأْلُوفَةٍ، وَوَسِيلَةٍ مَعْرُوفَةٍ، أَقُومُ بوَاجِبِهَا، وَأَرْعَاهَا مِنْ جَمِيع جَوانِبِهَا».

* ومن توقيعاته المؤثرة. تلك التى وقعها فى كتاب لعامل له يؤنّبه ويلومه على سوء معاملته.. يقول فيها:[٢٤]

«... يا هَذَا لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّ لَكَ أَثَرًا فِي التَوْفِيرِ كَانَ مَنْ تَقَدَّمَكَ مُقَصِّرًا عَنْه، وَأَنَّكَ مَغْنِيُّ مُحْتَاطٌ، غَيْرَ أَنَّكَ عَفَيْتَ عَلَى مَا أَحْمَدْتُ مِنْكَ بِمَا يَتَنَاهَي إِلَيّ عَنْكَ عَلَى أَلْسُنِ المُتَظَلِّمِين وأَصْحَابُ الأَخْبَارِ، وذَكَرَ لِي فُلَانٌ مَا جَرَى بَيْنَكَ وبَيْنَ أَخِيه ما كَثُرَ وَصْفُه لِي، وَقَامَ مِنْهُ وَقَعَد... وَتَاللهِ لأَكُونَنَّ البَاحِثَ عَلَيْكَ، والمُطَالَبَ لَكَ دُونَه، لإِقْدَامِكَ عَلَى شَيْخٍ ابنِ سِتِّين سَنَة بِمَا أَقْدَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأُفٍ لِدُنْيَا اضْطَرَّتْ إِلَيْكُم فَكُنْتُم خِيَارَ مَنْ يَعْمَلَ فِيهَا، وَأَبْرَأُ إِلَى

---

(٢١) وفيات الأعيان ٢٥/١.
(٢٢) زهر الآداب ١٥٥/٤.
(٢٣) زهر الآداب ١٥٥/٤.
(٢٤) أمراء البيان ٢٦٨/١.

اللّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ الَّتِى رَجَعْتُم بِهَا إِلَى أَنْفُسِكُم ونِيَّاتِكُم».

ومن خصائصه الفنية كذلك.. ضرب الأمثال، والاستشهاد بها فى المناسبات المختلفة، وهى خصيصة أضفت على كتاباته مسحة من الجمال وسعة الأفق، وألبست معانيه ثوبا شفافا من نسجه. حتى ليكاد كلامه كله أن يصير مثلا.. «والمثل - كما يقول البلخى - لا يدور على الألسن إلا لاختصاره وخفته، وتأثيره فى السامعين». يقول إبراهيم فى أصحاب المناصب والسلطان.. «مثلُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ مَثَل قَوْمٍ عَلَوا جَبَلاً، ثُمَّ وَقَعُوا مِنْه، أَقْرَبُهُم إِلَى التَّلَفِ أَبْعَدُهُم مِنَ الارْتِقَاء[٢٥]...».

ومعروف عقدته من الأصدقاء - لكثرة ما عاناه من أصدقائه، فكان دائما يُشبههم بالنار. قيل له يومًا: «إِنَّ فُلانًا يُحِبّ أَنْ يكُونَ لَكَ وَلِيًّا..» فقال:

«أنا والله أحبُّ أن تكون الناس جميعا إخواني، ولكنّى لا آخذ منهُمْ إلاّ مَنْ أُطِيقُ قَضَاءَ حَقِّه، وإلاَّ اسْتَحَالُوا أَعْدَاء، ومَا مَثَلُهُمْ إلاَّ كَمَثَلِ النَّارِ، قَلِيلُها مُقْنِع، وَكَثِيرُهَا مُحْرِق[٢٦]».

ويقول فى مناسبة أخرى.. «مثلُ الأَصْدِقَاءِ كالنَّار، قَلِيلُها مَتَاعٌ، وكَثِيرُهَا بَوَار[٢٧]». ولقد كان يكره ابن أخيه - طَمَّاس - كرها شديدا، ويعف عن رؤيته أو مصاحبته، كل ذلك جعله يتمثل به تمثلا يُؤذيه.. يقول فى إحدى المناسبات: «كَأَنَّ ابْنَ أَخِى خُلِقَ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْيَاء: مِنَ الثَّلجِ وَالمَصْلِ والعُذْرَة، بَارِدٌ حَامِضٌ مُنْتِن»[٢٨].

ومن خصائص كاتبنا الفنية: تنسيق الفكر، وترتيب المعانى، وتسلسل العناصر، والاعتماد على المحسوس من البراهين والأدلة..

ولنقرأ هذه الرسالة لندرك هذا، ولندرك أيضا مدى زهده فى الغريب من اللفظ، واهتمامه بمعانيه، واعتداده بعفو القريحة، واستيحائه معانى القرآن الكريم. يقول[٢٩].. «...ووَجَدَ أَعْدَاءُ اللّهِ زُخْرُفَ بَاطِلِهم، وَتَمْويه كَذِبِهم، سَرَابًا بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِد شَيْئًا، وَكَومِيضِ بَرْقٍ عَرَضَ فأَسْرَعَ، وَلَمَع فأَطْمَع، حَتَّى إِنْحَسَرَتْ مَشْرِقُه مَغَارِبَه، وَتَشَعَّبَتْ مُوَلِّيَةً مَذَاهِبُهُ، وأَيْقَنَ رَاجِيهِ وَطَالِبُه، أَلاَّ مَلاذَ وَلاَ وَزَر، وَلاَ مَوْرِدَ ولا مَصْدَر، وَلاَ فِي الحَرْبِ مَحْصَر، وهُنَاكَ ظَهَرَتْ عَوَاقِبَ الحَقِّ مُنْجِيَة، وخَوَاتِيمِ البَاطِلِ مُرْدِيَة، سُنَّة اللّهِ فِيمَا أَزَالَهُ وأَدَالَه، ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً، وَلاَ لِقَضَائِهِ تَحْوِيلاً...».

---

(٢٥) امراء البيان ٢٧٠/١.
(٢٦) معجم الأدباء ١٨٨/١.
(٢٧) امراء البيان ٢٧٠/١.
(٢٨) أمراء البيان ٢٧٠/١.
(٢٩) معجم الأدباء ١٩٠/١، أعيان الشيعة ٢٩٧/٥.

وخصيصة هامة يحتفظ بها الرجل دائما.. وهى التمسك بالخصائص العربية الخالصة. بكل مقوماتها وعناصرها.. فتظهر فى كتاباته تنويع العبارة، وتقطيع الجمل، والمزاوجة بين الكلمات، وتجنب الألفاظ المهجورة، واستخدام التقديم والتأخير، والمقابلة بين الكلمات والجمل، كل ذلك دون أن ينسى تلويناته اللفظية والمعنوية...

* يقول فى رسالة إلى الخليفة الواثق... «.. إنَّ أحَقَّ النَّاسِ بالشُّكْرِ مَنْ جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ، وأوْلاَهُم بالصَّبْرِ مَنْ كَانَ سَلَفُه رَسُولَ الله، وأمِيرُ المُؤْمِنينَ - أعَزَّه اللهُ - وآباؤه نَصْرَهُم اللهُ، أولُو الكِتَابِ النَّاطِقِ عَنِ اللهِ بالشُّكْرِ، وَعِتْرَةُ رَسُولِهِ المَخْصُوصُونَ بالصَّبْرِ، وفِى كِتَابِ اللهِ أعْظَمُ الشِّفَاءِ، وَفِى رَسُولِهِ أحْسَنُ العَزَاءِ، وقَدْ كَانَ مِنْ وَفَاةِ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُعْتَصِمْ باللهِ، وَمِنْ مَشِيئَةِ اللهِ فى وِلاَيَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ الوَاثِقِ باللهِ، مَا عَفَى أوَّلُه عَلَى آخِرِه، وَتَلاَفَتْ بَدْأتُهُ عَاقِبَتَه. فحَقُّ اللهِ فِى الأولَى الصَّبْرِ، وفَرَضَ فِى الأخْرَى الشُّكْرَ، فَإنْ رَأى أمِيرُ المُؤْمِنِينَ أنْ يَسْتَجِيزُ ثَوَابَ اللهِ بِصَبْرِهِ، ويَسْتَدْعِى زِيَادَتَهُ بِشُكْرِهِ، فَعَلَ إنْ شَاءَ اللهُ وَحْدَه..»(٣٠).

وعلى الرغم من إلتزامه التركيز - أحيانا - فى كتاباته، إلا أنه كثيرا ما يلجأ - فى التدليل على أفكاره وأغراضه - إلى الإطناب، والإسترسال، والإكثار من المترادفات، يَسْعِفُه فى ذلك معجمه اللغوى الضخم، وتمكنه من لغته واشتقاقاتها ومترادفاتها..

* يقول إبراهيم بن العباس فى إحدى رسائله بعد أن ذكر ما حرّمه الله على عباده..

«فَحَرَّمَ عَلَى المُسْلِمينَ مِنْ مَآكِلِ أهْلَ الأدْيَانِ أرْجَسهَا وأنْجَسهَا، وَمِنْ شَرَابِهِم أدْعَاهُ إلَى العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ، وَأصَدُّه عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ، وَمِنْ مَنَاكِحِهِم أعْظَمَهَا عِنْدَه وِزْرًا، وأوْلاَهَا عِنْد ذَوِى الحِجَا والألْبَابِ تَحْرِيمًا، ثُمَّ حَبَاهُمْ محاسِنَ الأخْلاَقِ، وَفَضَائِلِ الكَرَامَاتِ، فَجَعَلَهُمْ أهْلَ الإيمَانِ والأمَانَةِ، والفَضْلِ والتَّرَاحُم، واليَقِينِ والصِّدْق، ولَمْ يَجْعَلْ فِى دِينِهِم التَّقَاطُع والتَّدَابُر، وَلاَ الحَمِيَّةِ وَلاَ التَّكَبُّر، وَلاَ الخِيَانَة وَلاَ الغَدْرَ، وَلاَ التَّبَاغِى وَلاَ التَّظَالُم، بلْ أمَر بالأولَى، ونَهَى عَنِ الأخْرَى، ووَعَدَ وأوْعَدَ عَلَيْهَا جَنَّتَه وَنَارَه، وَثَوَابَهُ وعِقَابَهُ، فالمُسْلِمُونَ بما اخْتَصَّهُمْ اللهُ مِنْ كَرَامَتِهِ، وجَعَلَ لَهُم مِنَ الفَضِيلَةِ بِدِينِهِم الَّذِى اخْتَارَهُ لَهُمْ، بَائِنُون عَلَى الأدْيَانِ بشَرَائِعِهِم الزَّاكِيَة، وأحْكَامِهِم المُرْضِيَةِ الطَّاهِرَة، وبُرْهَانَاتِهِم المُنِيرَةِ، وبتَطْهِيرِ اللهِ دِينَهُم، بِمَا أحَلَّ وحَرَّمَ فِيه، لَهُمْ وَعَلَيْهِم قَضَاءً مِنَ اللهِ عزَّ وجَلّ فى إعْزَازِهِ دِينِه حَتْمًا، وَمَشِيئَةً منه فِى إظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَة، وإرَادَةً مِنْه فِى إتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَى أهْلِهِ نَافِذَة، لِيَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا

---

(٣٠) معجم الأدباء ١/١٩٠.

مَنْ حَيَ عَنْ بيِّنَةٍ، وليَجْعَلَ اللّهُ الفَوْزَ وَالعَاقِبَةَ لِلمُتَّقِين، والخِزْىَ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ عَلَى الكَافِرِين[٣١]...».

ومن خصائصه الفنية كذلك تضمين الشعر فى رسائله النثرية. وكأنه بهذا يريد أن يثبت أن تملّك عرش الفنَّيْن - النثر والشعر - جميعًا. أو أنه وجد أن النثر وحده لا يفى بالتعبير عن أفكاره وعواطفه، فرأى أن يدعم نثره بشعرِه، لعله يصل إلى ذهن السامع وقلبه. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر فى رسائله إلى ابن الزيات، الذى أدار له وجهه، يقول فى إحدى هذه الرسائل[٣٢]:

«كتبتُ وقد بلغت المُدْيَةُ المَحزَّ، وعَدَتِ الأيَّامُ عَلَيَّ بعد عَدْواىَ بكَ عليها، وكان أَسْوَأُ الظَّنِّ وأكثرُ خَوْفِى أَنْ تسكُنَ فِى وَقْتِ حَرَكَتِهَا، وتكُفَّ عند أَذَاتها، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَيَّ منْهَا، فكَفَّ الصَّدِيقُ عن نُصْرَتِى خوفًا منْكَ..

أَخٌ بيْنِي وَبَـيْنَ الدَّهْـ ـرِ صَاحَبَ أَيُّنَا غَلَبَا
صَدِيقِى مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَـا دَهْـرٌ عَـلَيَّ نَبَـا
وثَبْتُ عَـلَى الزَّمَـانِ بِـهِ فَعَـادَ بِـهِ وقَـدْ وَثَبَا
وَلَـوْ عَادَ الـزَّمَـانُ لَنَـا لَعَادَ بِـهِ أَخًـا حَـدِبَـا

ويقول فى رسالة أخرى:[٣٣]

«أما والله لو آمنتُ وُدَّكَ لقُلْتُ، ولكنِّى أَخَافُ مِنْكَ عَتْبًا لا تُنْصِفُنى فيه، وأَخْشَى منْ نَفْسِى لائِمةً لا تَحتمِلُهَا لى، وما قُدِّرَ فهو كَائِنٌ، عَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ أُحْدُوثَةٌ، وما اسْتُبْدِلْتُ بِحَالةٍ كُنتُ فِيهَا مُغْتبِطًا حَالاً أنا فى مكرُوهها ولكنها أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ أَنِّى فزِعْتُ إِلَى ناصِرى عنْدَ ظُلْمِ لَحِقَنِى، فَوَجَدْتُ منْ ظَلَمَنِى أَخَفَّ نِيَّةً فِى ظُلْمِى منهُ، وأَحْمَدُ اللّهَ كثيرًا..

وكُنْتَ أَخِى بِـإِخَاءِ الـزَّمَـا نِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
وكُنْتُ أَذُمُّ إِلَيْـكَ الـزَّمَـا نَ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذُمُّ الزَّمَانَا
وكُـنْتُ أُعِـدُّكَ لِـلنَّـائِبـا تِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الأَمَانَا

هذه هى أهم الخصائص الفنية التى تجلت واضحة فى كتابات الرجل.

---

(٣١) أمراء البيان ٢٧٢/١.

(٣٢) معجم الأدباء ١٧٠/١ (المدية: السكين، وهذا مثل يضرب للأمر بلغ غاية الشدة. يقولون (بلغ السيل الزبى، بلغت المدية المحز) عَدَت: اعتدت.

أينا: أى أنا والدهر، فإن غلبت صاحبنى، وان غلبنى الدهر صاحبه.

(٣٣) معجم الأدباء ١٧١/١، الأغانى ٥٦/١٠.

- ٤ -
نصائحه وإرشاداته

والرجل لم يكن لمهنته محتكرا، ولا لمجالاتها مستحوذا، بل كان دائم النصح لكتّابه باتباع أحسن الطرق وأرقى الوسائل كى يرتفعوا بفنهم وصناعتهم، فيرفعهم هذا الفن إلى أعلى المستويات، ويكتب لعملهم الخلود والرفعة...

فتارة يحثهم على العناية بكتابتهم وتجويدها وتوضيح حروفها، وينهاهم عن المشق[٣٤] لأن «المَشْقَ مكروهٌ، وخاصة فى الكتاب إلى الرئيس، لأنهم يتأولون ذلك ضربا من الاسْتِخْفَافِ بقَدْرِ المكاتَبْ»[٣٥].

وتارة أخرى ينصحهم بالعناية بأداة حرفتهم وهو القلم فيقول لأحد الكتاب:[٣٦]

«ليكن قلمُكَ صَلْبًا بين الدِّقَةِ والغِلَظِ، ولا تبرهِ عند عُقْدَة، ولا تجعلن فى أنبوبةٍ أنبوبة، ولا تكتُبَنّ بقلمٍ ملتوٍ، وَلَا ذِى شِقٍّ غيرِ مستوٍ، واختر من الأقْلَامِ ما يَضْرِبُ إِلَى السُّمْرَة، وأحدّ سِكِّينَكَ، ولا تستعملها لغير قلمك، وتعهّده بالإصلاح يَصْلُح... وليكن مَقْطُكَ صُلْبًا ليَمْضِى الخطُّ مُسْتَوِيًا لَا مُسْتَطِيلًا، وأبْرِ قَلَمَكَ بينَ التَّحْرِيفِ والإسْتِوَاءِ، وإذَا كَتَبْتُ الدَّقِيقَ فأَمِلِ قَلَمَكَ إِلَى إقَامَةِ الحُرُوفِ لإشْبَاعِ الخطِّ، وإذَا جَلَلْتِ فَإلى التَّحْرِيفِ. واعْلَم أَنَّ تَبْطِينَ القلمَ شُؤم، وتَحْرِيفَهُ حَرْف، وهُمَا دَمَارُ الخطِّ.. وأعْلَمْ أَنَّ وَزْن الخَطِّ مثلُ وَزْنِ القِرَاءَة، فأَجْوَدُ الخَطِّ أَبْيَنَهُ، كما أَنَّ أَحْمَدَ القِرَاءَةِ أَبْيَنُها.».

والرجل كان يعتز بمهنته، فهى سبب شهرته ورفعته، وهى وسيلته إلى قلوب الخلفاء والوزراء.. لذلك كان يضحى فى سبيلها بكل غال ونفيس، ولا تهمه شكليات المكان أو الموقف، بل يتصرف وفق ما تمليه عليه نفسه، وما يقتنع به...

كتب ابراهيم بن العباس يوما كتابًا، فأراد مَحْوَ حرف منه فلم يجد سبيلا، فمحاه بكمِّه.. فقيل له فى ذلك.. فقال: المَالُ فَرْعٌ والقَلَمُ أَصْلٌ، فَهُو أَحَقُّ بالصَّوْنِ مِنْه، وَإِنَّما بَلَغْنَا هَذَا الحَالَ، واسْتَفَدْنَا الأَمْوَالَ بِهَذَا القَلَمْ والمِدَاد[٣٧].

---

(٣٤) المشق: هو الإسراع فى الكتابة.
(٣٥) أدب الكتاب للصولى ص ٥٥.
(٣٦) أدب الكتاب ص ٥٤.
(٣٧) أدب الكتاب ص ١٠٢.

وهكذا نرى كاتبنا يجمع بين أصول الكتابة وأساليبها وصياغتها، وبين طرقها وأدواتها وموادها.. يجمع بين الفن وأدواته.. بين مظهره وجوهره..

وكأنه ملك زمام كل ما يتصل بهذا الفن، يتحكم فيما يسيل من لعاب قلمه، وما يسجله من فن.

– ٥ –

.. وبعد.. فهذا هو كاتبنا إبراهيم بن العباس.. كاتب بنى العباس. وهذه هى كتاباته، وهذه هى أهم خصائصه الفنية، ونصائحه وإرشاداته.. ولكن.. ما هو أسلوبه.. وما هو منهجه، وما هى طريقته.. وبمن تأثر من السابقين أو المعاصرين؟

أسلوبه:

من كتابات الرجل الأدبية، نستطيع أن نضع أيدينا على مواطن الجمال فى أسلوبه، وأن نرى صورة بَيَانِهِ التى عكسها فكره..

فأسلوب الرجل.. أسلوب فنان، خصب الخيال، واسع الرؤيا، رحب الأفق، عميق الثقافة، غزير المادة. أسلوب أديب شاعر، يخاطب من القارئ أو السامع شعوره ووجدانه، ويخاطب أيضا قلبه وجنانه، أسلوب يناجى الفكر والروح.. يزيده جمالا: سطوع بيانه، وسلامة ذوقه فى اختيار مادته الفنية التى يخط بها هذا الأسلوب.

وهو أسلوب يحوى إلى جانب جزالته – الإشراق، فنشعر فيه بمدى عناية الرجل الفائقة فى اختيار الألفاظ الأنيقة، والتعبيرات الرقيقة، والاحتيالات الدقيقة، نشعر فيه بمدى إتكائه على نفسه، لصقل مادته الفنية، وإخراجها فى أبهى حلة، وأروع صورة.

وهو أسلوب جميل، بل إن الجمال لمن أبرز صفاته، وأظهر سماته، رائع قوى، معبر، بديع الخيال، تتألق فيه المعانى، وتسطع فى سمائه الحجج، وتدعمه البراهين، يصل إلى قرارة النفس لحلاوته وطلاوته.

وكاتبنا – وإن كان قد سار على الدَّرب الذى سار فيه كُتّاب العصر، وهو وإن إلتزام نفس الأسس والقواعد الموروثة، والتى تعارفوا جميعا عليها – إلا أن أسلوبه يتميز بِسِمَات واضحة يكاد ينفرد بها أهمها:

عدم التقيد بمنهج ثابت فى كتاباته.. فتارة يسترسل ويطنب ، وأخرى يُوجز ويركز ولا يَمُطُّط فكرته.. وتارة يسجع، وأخرى لا يسجع.. أى أنه لم يلتزم بمنهج ثابت يحبس فيه نفسه، ويدور فى نطاقه، كما أنه لم يَسِرْ على وتيرة واحدة فى كتاباته، بل كيَّف أسلوبه وفقا للحال، ومن ثَمَّ ظهر أسلوبه حاويا العديد من السمات والخصائص الفنية.. التركيز.. الإطناب.. الترادف.. الإسهاب..

ولعلنا لا نبالغ حين نقول.. إنه اختط لنفسه أسلوبا مميزا، يخضعه لمشيئته، ويجعله وسيلته

للتعبير عن ذاته وعواطفه وانفعالاته، وأيضا لتنفيذ أعمال الدولة.

وهو أسلوب وضع أصولَه ومنهجَه بعد أن نهل من ينابيع الثقافة المتعددة، التى ذخر بها عصره، أسلوب قوى يبرز مقدرته على تَطْويع لغته، لتفى بالأغراض والمناسبات التى يودّ إخراجها، أسلوب يعكس حصيلته اللغوية، والفقهية والشعرية.. أسلوب يعكس أفكاره ورؤاه، استغل فيه الرجل كل العناصر التى احتوتها علوم البلاغة، من حيث التشبيهات والاستعارات والكنايات، ومن حيث الإطناب والإسهاب، والتركيز والإيجاز، ومن حيث التقديم والتأخير، والسجع والطباق والجناس، والمقابلة والإقتباس من القرآن الكريم... إلخ. غير أن الرجل لم يتكلف فى كتاباته سجعا، ولم يتعمده، بل إن السجع كان يأتيه طواعية نتيجة للتدفق الفكرى، وتداعى المعانى، واستجلاب الخواطر.. وأيضا لغزارة مادته، واتساع معجمه اللغوى، ونراه فى معظم كتاباته يستخدم الأسلوب المتوازن، الذى يسميه الرمانى «السَّجْعَ العَاطَل[٣٨]» والذى يطلق عليه بعض الباحثين المحدثين «الازْدِوَاج»[٣٩]، ذلك الأسلوب الذى يتميز بأن العبارات فيه قصيرة متساوية، وأن الفواصل على زنة واحدة.

وخلاصة القول.. إن أسلوبَ الرجل .. قوى معبر جزل واضح ، يمتاز بحلاوته وطلاوته، صافى الديباجة، رقيق العبارة، لا يحتاج كثيراً إلى كدّ الفكر أو إعمال الخاطر للوصول إلى معناه، يظهر فيه شخصية الرجل، وقوة حججه وبراهينه، ورجاحة عقله وبلاغته، ومقدرته على توضيح فكرته وتوصيل رؤاه..

كما تظهر فيه ثقافته ومعرفته بالقرآن الكريم وآياته وأحكامه، وأحاديث الرسول وأوامره ونواهيه، كما يظهر فيه حفظه واستيعابه لمجموعة ضخمة من روائع المنظوم، وبليغ الحكم والأمثال.

ولعل أعظم أسباب تفوقه وتوفيقه فى كتاباته.. زهده فى الغريب من اللفظ، وتشبثه بأهداب المعنى أكثر من أى شيء، واعتداده بعَفْو القريحه، ووحى الساعة حين يكتب.

منهجــه :

هذا هو أسلوب الرجل ـ أما عن منهجه، فقد سار الرجل على الطريقة التى كانت سائدة فى عصره، وتواضع عليها الأدباء والكتّاب..

فهو يفتتح رسائله بالاستهلال، والتحميد والثناء، والمبالغة فى الدعاء وينسقها تنسيقا جميلا، ويرتبها بحيث تشمل كل مقاصده، وعناصر موضوعة وهو أيضا يراعى ظروفها

(٣٨) صبح الأعشى - القلقشندى ٢٧٣/٢.

(٣٩) أنيس المقدسى - تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى ص ١٤٣.

وموضوعها ـ ومضمونها ، ويلتزم بكل الأسس الموضوعة والمتعارف عليها فى كتابة الرسائل. من حيث استغلال قوة القريحة، والتفنن فى اختيار التشبيهات والاستعارات التى تخدم موضوعه، بالإضافة إلى استخدام المحسنات اللفظية والمعنوية.

وقد جعله هذا المنهج.. أحد الذين نفذوا بصناعة الرسائل إلى ما كَانَ يصبو من رفعة وسؤدد.

طريقتـــه :

أما طريقته ، فقد أبان إبراهيم بن العباس عنها، حين تحدث عن سبب نجاحه فى تنضيد دُرَره فقال: «ما اتَّكَلْتُ فِي مُكَاتَبَتِي إلاّ عَلَى مَا يُجِيلُه خَاطِرِى، ويَجِيشُ به صدرى[٤٠]»، وكان لديه من الشجاعة الأدبية ما جعله يعترف أن هذه هى طريقته، لم يتخل عنها مطلقا إلاّ فى موقفين فقط ـ استوحى فيهما أبيات شاعرين.. حين قال فى إحدى رسائله: «وَصَارَ مَا كَان يُحْرِزُهُمْ يُبْرِزُهُم، وَمَا كَانَ يَعْقِلُهُم يَعْتَقِلُهُم» متأثرا بقول أبى تمام :

فَإِنْ بَاشَرَ الإِصْحَارَ فَالبِيضُ والقَنَا ... قِرَاهُ وأُحواضُ المَنَايَا مَنَـاهِلُهْ
وإن يَبْنِ حِيطَاناً عَلَيْهِ فإنَّمَـا ... أُولَئِــكَ عُقَّـالاَتُــهُ لاَ مَعَــاقِلُهْ

وقوله فى رسالة أخرى: «فانزلوه من مَعْقل إلى عُقَّال، وبدَّلوه آجالا من آمال». فقد لَمَّ فيه بقوله مسلم بن الوليد :

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِى يَوْمِ ذِى رَهَجٍ ... كَـأَنَّـهُ أَجَـلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَـلِ

تأثره بالسابقين والمعاصرين :

وللمرئ أن يتساءل.. بمن تأثر الرجل من الكتاب السابقين.. ومَنْ ساير من الكتاب المعاصرين.

الواقع أن إبراهيم بن العباس، وإن كان قد إطلع على كل ما أخرجته قرائح الأدباء والكتاب السابقين والمعاصرين. وإن كان قد عرف كل ما كتبوه وجالوا فيه.. إلاّ أنه تأثر كثيرًا بكاتب بنى أمية.. «عبد الحميد الكاتب» تأثر بأسلوبه ومنهجه، واقتدى به، وحفظ آراءه ونصائحه.. حتى لقد كان يقول من فرط إعجابه به وبطريقته «ما تمنيت كلام أحدٍ أن يكون لى إلا قول عبد الحميد بن يحيى: «النَّاسُ أَصْنَافٌ مُتَبَاينُون، وأَطْوَارٌ مُتَفَاوِتُون، منهم عِلْق مَضَنَّةٍ لاَ يُبَاع، ومنهم غِلُّ مَظَنَّةٍ لاَ يُبْتَاع[٤١]».

ولا يقف تأثر ابراهيم بن العباس بأستاذه عبد الحميد عند هذا الحد، بل نجده يجاريه فى

---

(٤٠) أخبار ابى تمام للصولى ص ١٠٢، زهر الآداب للحصرى ٤/ ١٥٤.
(٤١) الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٨٢، زهر الآداب ٤/ ١٥٥.

كتاباته الفنية، مقتديا بمنهجه وطريقته وأسلوبه، عاملا بنصائحه التى وضعها للكتاب،[٤٢] ملتزما بمنطقه الدقيق فى تقسيم كلامه إلى أجزاء متميزة وفقر متناسقه، وفى أسلوبه الموسيقى الذى يعتمد على الإزدواج والترادف الموسيقى[٤٣].

وتأثر كاتبنا أيضًا بالفرس البرامكة، وسار على منوالهم، وإلتزام كثيراً منهجهم من حيث براعة الإستهلال، والمبالغة فى الدعاء والتعظيم فى مكاتباته الرسمية.

وأخيرا تأثر الرجل «بالقاسم بن يوسف» الكاتب الشاعر، يقول أبو بكر الصولى: «به تأدَّب إبراهيمُ وعنه أَخَذ[٤٤]»، وكان ابراهيم يقتاد به ويحترمه، ويقول عنه أنه أشعر الكُتَّاب، وأن مزحُه أفصح وأحسن من جَدِّ الناس.

هذا هو إبراهيم بن العباس الصولى.. كاتب العراق. الذى قيل عنه: أنه «أحد أركان البيان فى عصره.. وأحد العشرة المبشّرة بالبلاغة فى عصر العرب الزاهِر[٤٥]».

قال فيه أبو الشبل[٤٦]:

يَنْـظِمُ اللُّؤْلُؤَ المَنْثُـورَ مَنْطِقُـهُ ... وَيَنْظِمُ الدرَّ بالأَقْلَامِ فِى الكُتُبِ

---

(٤٢) الوزراء والكتاب ص ٧٣.

(٤٣) الفن ومذاهبه فى النثر ـ دكتور شوقى ضيف

(٤٤) الأوراق ـ أخبار الشعراء للصولى ص ١٦٦.

(٤٥) محمد كرد على ـ مقدمة كتابه أمراء البيان.

(٤٦) أدب الكتاب للصولى ص ٨٩.

الباب الرابع

الشاعر المطبوع

الشـاعر

اتفق المؤرخون والأدباء - جميعا - المعاصرون واللآحقون، الذين ترجموا لابراهيم بن العباس.. على أنه كان أشعر الكتاب[١]، وأرقهم لسانا، وأفصحهم بيانا، وأقدرهم على التعبير وتصوير مشاعره، وأنه لو تكسب بالشعر لترك الشعراء فى غير شىء[٢]. قال أبو تمام: «لولا همّة إبراهيم سَمَت به إلى خدمة السلاطين، لَمَا تَرَك لشاعر خُبْزًا[٣]» وذكر ابن النديم أنه كان يطبق على نفسه مبدأ النقد الذاتى، فينقد نفسه بنفسه، فكان «إذا قال شعرا اختاره، وأسقط رذله، وأثبت نخبته، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يَدَعْ منها إلاَّ بيتا أوبيتين[٤]». ومن هنا كان ديوانه مقطعات قصار.. ثلاثة أبيات ونحوها إلى العشرة[٥]، نظمها الرجل فى مختلف الأغراض والمناسبات، وأُخْضَعها لعقله وذوقه، فخرجت مصقولة، يتذوقها ويستحسنها كل من سمعها، ويشيد بشاعريته وبمقدرته الفنية، وقدرته على توصيل رؤاه إلى الآخرين.. فكان أحد شعراء العربية القلائل، الذين يعتنقون مذهب الفن للفن، فى عصر يزخر بعشرات من فحول الشعراء المحترفين، وجاء شعره صورة لفكره، ومرآة لنفسه، تعكس كل ما يعتمل فيها، وما يجيش فى صدره، تعكسه واضحا جليّا، ينطق بكل ما يحويه الرجل فى فرحه، وما يعانيه فى ترحه، وكان شعره ترجمانا لكل ما فى حياة الرجل فى جد ولهو، من عبث وغيره. وصورة واضحة القسمات للشاعر تبرز مكونات شخصيته الفنية.

دار إبراهيم بن العباس بشعره فى مجالات ثلاثة:

١ - مجال الذّاتية.

٢ - مجال الغيريّة.

٣ - مجال الإنسانيّة.

---

(١) تاريخ بغداد ١١٧/٦، وفيات الأعيان ٢٥/١.

(٢) الأغانى ٤٤/١٠، وفيات الأعيان ٢٥/١.

(٣) الفهرست ص ١٧٦.

(٤) معجم الأدباء ١٦٤/١.

(٥) وفيات الأعيان ٢٥/١.

١ - المجال الذّاتى

أما مجال الذاتية.. فهو المجال الذى كان يعبر فيه الشاعر عن ذاته، عن عواطفه وأحاسيسه، عن خلجات نفسه، وعن فخره بآله ونسبه، ومركزه وحسبه، عن شكواه من الزّمَان.. ومن تغيّر الإخوان.. ومن الحاقدين والواشين.

ولم يكن شاعرنا محترفًا بقدر ما كان شاعرا ذاتيا، لذلك جاء شعره مصورا لحالته النفسيّة فى جميع هدآتها وثوراتها، وبأسلوب يتناسب مع الحالتين.

(أ) الغزل :

فهو فى تشبيبه وغزله يصور الحب فى أسمى معانيه وأجملها، الحب العفيف الذى يسمو بالنفس، ويحرك المشاعر فى أسلوب جميل، يسيل رقّة وعذوبة..

وهو تارة يتغزل فى أوزان طويلة ضخمة، وألفاظ جزلة فخمة.. من مثل قوله(٦) :

تَطَلّع مِنْ نَفْسِى إلَيْك نَوَازِعٌ عَوَارِفُ أنَّ اليَأْسَ مِنْكِ نَصِيبُهَا
توحّشَ مِنْ لَيْلَى الحِمَى وَتَنَكَّرَتْ مَنَازِلُ لَيْلَى خَيْمُهَا وَكَثِيبُهَا
وَزَالَتْ زَوَالَ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مُخْبِرِى فِى أىِّ أرْضٍ غُرُوبُهَا

فهو يتحدث عن نوازع نفسه التى تتطلع إلى الآمال الكبار.. ولكنه يعرف مقدما أن اليأس دائما من نصيبه، فلا يبقى له سوى الذكريات، ووحشة الديار، والحنين إلى مراتع الصبا ولهو الشباب، ويتساءل كيف السلو، ومن أين يستقى الصبر، لقد ضاقت سبله، والطرف لا يستطيع أن يرجع عنها.. فهو دائما منجذب لها، ومشدود إليها، يحمل الشوق والحنين، ولا يجد سلوًا.. يقول :(٧)

لاَمُوا وَقَالُوا اصْطَبِرْ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُم هَيْهَاتَ إنَّ سَبِيلَ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا
مَايَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يُبْصِرُهَا حَتَّى يَعُودَ إلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقَا

ويخاطب الشاعر طيف محبوبته قائلا.. دعنى وحدى، أشقى بوجدى، فأنا معتاد على تجرع هذا الكأس، وخذ إليك قلبى، فهو يضم بين جنباته الحب والإخلاص، يكفينى منك ما كافأتنى به من سقم ووجد، وجفاء وصدّ...

---

(٦) الطرائف الأدبية ص ٧٢ المقطوعة ١٤٧، وانظر الديوان الملحق.
(٧) الطرائف الأدبية.

فَدَعْنِى رَاغِمًا أشقى بِوَجْدِى وَخُذْ قَلْبِى إِلَيْكَ بِغَيْرِ حَمْدِ
سُقَامٌ لاتَرِقُّ عَلَىَّ مِنْهُ وَوَجْدٌ لاَ تُكَافِئُهُ بِوُدِّ
بِنَفْسِى مِنْ إِسَاءَتِهِ إِعْتِمَادٌ وَمِنْ إِحْسَانِهِ عَنْ غَيْرِ عَمْدِ
وَمَنْ أَصْفَيْتُه فِى الوُدِّ جَهْدِى فَعَارَضَ فِى الجَفَاءِ بِمِثْلِ جَهْدِى(٨)

ويتحدث عن الوفاء والإخلاص.. فيقول: إنه لم يخن فى الحب.. ولم ينس هواه، بل باق على عهده، بار بوعده، ويكفى أن يكون قلبُه رقيبا على قلبه، يحسب حركاته وسكناته، ولا يستطيع له تحويلا إلى غير مَنْ أحب وأخلص، يقول:

قَالَتْ بَعُدتَ فَخُنْتَ فِى الحُبِّ وَهَرَبْتَ مِنْ قُرْبِى إِلَى قُرْبِ
لاَ تَحْفِلِى قَوْلاً أُتِيت بِهِ قَلْبِى رَقِيبُكُم عَلَى قَلْبِى(٩)

* وتارة أخرى يستخدم ابراهيم بن العباس الأوزان السهلة ، والألفاظ العذبة الخفيفة.. فنراه يتحدث عن الحنين والشوق والصَّبابة.. من مثل قوله:(١٠)

يَامَنْ حَنِينِى إِلَيْهِ وَمَنْ فُؤَادِى لَدَيْهِ
وَمَنْ إِذَا غَابَ مِنْ بَيْـ ـنِهِم بَكَيْتُ عَلَيْهِ
إِذَا حَضَرْتِ فَمَنْ بَيْـ ـنِهِم أُصَبُّ إِلَيْهِ
مَنْ غَابَ بَعْدَكِ مِنْهُم فَإِذْنُه فِى يَدَيْهِ

وقوله:(١١)

وَحَاكِمٌ فِى القُلُوبِ أَحْوَى أَغَنّ رَبِيبِ
مُقَدَّر مِنْ قَضِيبِ مُرَكَّبٍ فِى كَثِيبِ
مُقَارِب مِنْ بَعِيدِ مُبَاعِدٍ مِنْ قَرِيبِ
مُسْتَقْبِلاً بِقُلُوبِ مُشَيَّعًا بِقُلُوبِ
تَرَاهُ عِنْدَ طُلُوعٍ مِنْهُ وعِنْدَ غُرُوبِ
مُوَاجِهًا بِالتَّفَدِّى مُسْتَوْدَعًا فِى المَغِيبِ
تَخَالُ فِيه قُطُوبًا وَمَا بِهِ مِنْ قُطُوبِ
لَكِنْ بَوَادِرَ زَهْوٍ مَابَيْنَ حُسْنٍ وَطِيبِ

(٨) الطرائف ٥٤ ص ١٤٣.
(٩) الطرائف ٤١ ص ١٣٩.
(١٠) الطرائف ١٥٢/٨٨.
(١١) الطرائف ٤٦/ ص ١٤١.

وقوله:(١٢)

مُبْتَسِمٌ عَنْ بَرَدٍ ... وَنَاظِرٌ فِى دَعَجِ
يَخْتَالُ فِى مِشْيَتِهِ ... عَنْ خَفَرٍ وغُنُجِ
لَيْسَ عَلَى عَاشِقِهِ ... فِى حُبِّهِ من حَرَجِ

وإذا كان غزل إبراهيم بن العباس فى أغلبه مقطعات شعرية - كما هو واضح فى ديوانه - فليس معنى ذلك أنه لم يساير تيار عصره.. بل إنه كان يحاكى فحول الشعراء التقليديين الذين كانوا يفتتحون قصائدهم بمقدمات غزلية، فنرى له كثيرا من القصائد التى يفتتحها بالغزل والحنين إلى الماضى، والشوق إلى أيام الصبا...

من مثل قوله فى فاتحة قصيدته الفائية:(١٣)

أَوَاقِفٌ أَنْتَ مِنْ صَبْرٍ عَلَى ثِقَةٍ ... أَمْ مُسْتَكِينٌ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُعْتَرِفُ
يَـامُؤْذِنِى بِنَوىً قَدْ كُنْتُ آمَنُهَا ... مِنْكَ الفِرَاقُ وَمِنِّى الشَّوْقُ والأَسَفُ
أَوْدَعْتَ قَلْبِى مِنْ ذِكْرِ الفِرَاقِ جَوىً ... بَاتَتْ سَوَاكِنُ مِنْ قَلْبِى لَهُ تَجِفُ

وقوله فى مقدمة قصيدته البائية:(١٤)

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِى الغَضَا ... وَيَصْدَعُ قَلْبِى أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَا
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالحَبِيبِ وَإِنَّمَا ... هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا

ويتغزل فى محبوبته واصفًا جمالها وسحر عينيها، فى مقدمته الطللية التى افتتح بها مديحته للمعتز فيقول:(١٥)

ظَلُومٌ مَحَاجِرِ الحَدَقَةْ ... مَلِيحٌ والَّذِى خَلَقَهْ
سَوَاءٌ فِى مَحَبَّتِهِ ... مُجَانِبُه ومَنْ عَشِقَهْ
لِعَيْنِى فِى مَحَاسِنِهِ ... رِيَاضُ مَحَاسِنٍ أَنِقَهْ
فَأَحْيَانًا أُنَزِّهُهَا ... وَحِينًا فِى دَمٍ غَرِقَهْ
فَيَا قَمَرًا أَضَاءَ لَنَا ... وَلَوْلَا نُورُه أُفُقَهْ

وهو فى اصطناعه المقدمات الغزلية - كان يهدف إلى جانب التنفيس عن نفسه - مسايرة القدماء، والتمسك بعمود الشعر التقليدى المتوارث، سالكًا مسلك شعراء عصره فى

(١٢) الطرائف ٤٨/ ص ١٤١.
(١٣) الطرائف ١٢٠ ص ١٦٠.
(١٤) الطرائف ٤٢ ص ١٣٩.
(١٥) الطرائف ٢٦ ص ١٣٩.

قصائدهم، وما تواضعوا عليه من أن قصائدهم - خاصة فى المديح - إنما تفتتح بالبكاء على الأطلال أو التغزل فى المحبوبة وذكر ألم الفراق، ولوعة الحب. غير أن هذه المقدمات الغزلية قليلة، فلم نظفر منها فى ديوانه سوى ببضع مقدمات، لأنه كان يأبى أن يسجل إلاّ ما اقتنع به، وأوحت به نفسه، ورضى عنه ذوقه ووجدانه.

فالمقدمة الغزلية أو الطللية - وإن كان قد اصطنعها - إلاّ أنها كانت بالنسبة له أشبه بالقيد، فكان لابد له من أن يتحرر.. وأن يحطم هذا القيد الذى يعوق فنه، ويخرج إلى رحاب الحياة الطلقة التى أحبها، مطلقا نفسه وشعره من كل قيد يربطه، أو عائق يعوق عاطفته أو يحجب رؤاه..

وشاعرنا - فى غزله - يصور مذهبه فى الحب، ويتحدث عمَّنْ يهواها قلبه.. فهو لا يحب الشقراوات، بل يميل إلى السمراوات المشوقات، يقول:

بَقَلْبِى عَنْ هَوَى البِيض إنْصِرَافُ   وَيُعجِبُنِى مِن السُّمْرِ القِضَافُ(١٦)

وهو يعشق الجمال، وطالما تغزل فى المفاتن.. فنراه يربط بين جمال خد محبوبته وبين جَنِىٍّ الورد المتفتح، ولون التفاح، وطيب النسيم، وحمرة الخمر(١٧) يقول:

وجَنِىُّ وَرْدٍ فَوْقَ خَدٍّ مُشْرِقٍ   رَيَّان يَفْضَحُ لَوْنُه التُّفَّاحَا
أَهْدَى إلَى النَسْرَيْنِ طِيبَ نَسِيمِهِ   وأَعَارَ حُمْرَةَ وُجْنَتَيْهِ الرَّاحَا

وهو لا يقبل تشبيه الناس لمحبوبته بالبدر، لأن جمالها - فى نظره - فوق هذا المستوى، لأن البدر آفل بينما جمالها خالد دائم.. يقول: كيف عابك هؤلاء القوم ، وشبهوا جمالك ببدر الدجى، حاشاك أن تشبهى هذا البدر حتى وهو مكتمل.. لأنه يأفل بعد حين.. أما ضياء نورك فهو دائم على مرّ السنين:

وَعَابَكِ أَقْوَامٌ وَقَالُوا شَبِيهَةٌ   بِبَدْرِ الدُّجَى، حاشَاكِ أَنْ تُشْبِهِى الْبَدْرَا
لَئِنْ شَبَّهُوكِ بالبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّه   لَقَدْ قَارفُوا الشَّنْعَاءَ واحْتَقَبُوا الْوِزْرَا
أَيُشْبِهُ بَدْرٌ آفِلٌ نصفَ شَهْرِه   ضِيَاءًا مُنِيرًا يَطْلَعُ الشَّهرَ والدَّهْرَا(١٨)

وهو لفرط جمالها لا يود أن يكون بينه وبينها حجاب.. حتى ولو كان جفن العيون.. ومهما نظر إليها، فلن يستقصى محاسنها.. حتى لو استعار عيون البشر جميعًا، فحسنها ومحاسنها لا تستقصيها العيون.. يقول:

---

(١٦) الطرائف ١٤٧/٧١.
(١٧) الطرائف ١٤٢/٥١.
(١٨) الطرائف ١٤٥/٦٢.

أَرَاكِ فَلَا أَرُدّ الطَّرْفَ كَىْ لَا　　يكُونُ حِجَابَ رُؤْيتِكِ الجُفُونُ
ولَوْ أَنِّى نَظَرْتُ بِكُلِّ عَيْنٍ　　لَمَا اسْتَقْصَتْ مَحَاسِنَكِ العُيُونُ[١٩]

وغزل إبراهيم بن العباس فى معظمه غزل عفيف، يتحدث فيه عن الإخلاص والوفاء والأمل والرجاء. ويتحدث أيضًا عن اليأس، ولوعة الحب وشقوة الصّدّ. فيذرف الدمع السخين، يقول:

دُمُوعٌ دَعَاهُنّ الْهَوَى فَأَجَبْنَهُ　　تَحَدَّرْنَ شَتَّى وإلْتَقَيْنَ عَلَى الخَدِّ
تكِلُّ جُفُون العَيْنِ عَنْ حَمْل مَائِهَا　　فتُبْدِى الَّذِى أُخْفِى،وَأُخْفِى الّذِى أُبْدِىَ[٢٠]

ويتحدث أيضًا عن الوداع، ويصوره تصويرا يمسّ شغاف القلب فيقول:[٢١]

ولَمْ تَدْرِ يَوْمَ البَيْنِ أَنِّى وأَنَّهَا　　أَشَدّ اكْتِئَابًا بالفِرَاقِ وأَوْجَعُ
جَرَتْ عَبْرَةٌ مِنْهَا وأَذْرَيْتُ عبرةً　　وَحَالَتْ جُفُونٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَدْمَعُ
ورُمْنَا وُدَاعًا فاسْتَمَرّتْ بِنَا نَوىً　　قَذُوفٌ وبَعْضُ النَّأْىِ لِلشَّمْلِ أَجْمَعُ

غير أنه كان أحيانًا يجارى شعراء عصره، فيجنح إلى الغزل الصريح، فنراه يقسم لمحبوبته أن قلبه وحبه لها، أما أولئك اللآتى يمضى معهن أوقات اللهو والعبث، فحبهن زائل وهواهن ينتهى بانتهاء هذه المتعة الوقتية.. يقول:[٢٢]

قَسِيمَانِ مِنْ قَلْبِى:قَسِيمٌ لحُبِّهَا　　حمىً، وقَسِيمٌ بَعْدَهُ لِلْخَوَاطِرِ
فَبَاقٍ هَوَاهَا مابَقِيتُ، وزَائِلٌ　　هَوَى غيرِهَا أُخْرَى اللّيَالِى الغَوَابِرِ

ويصف ليلة من ليالى الحب.. فيقول:

سَاعَدَنَا الدَّهْرُ فَبِتْنَا مَعًا　　نَحْمِلُ مَا نَجْنِى عَلَى السُّكْرِ
فكُنْتُ كالمَاءِ لَهُ قَارِعًا　　وَكَانَ فِى الرِّقَّةِ كالخَمْرِ[١]

وعلى الرغم من هذا الغزل المكشوف، فإننا لم نجد عنده غزلا شاذا - فى المذكر - بل أقصى ما كان يذهب إليه هو الوصف، وذكر اللحظات التى يمر بها مع معشوقاته.

هذا هو غزل الرجل.. ولاشك أنه كان يصدر عن نفس شاعرة حساسة ويعبر عن خفقات قلب واله، فجاء انعكاسا للمشاعر الإنسانية، مصورًا لها أجمل تصوير.

---

(١٩) الطرائف ٢٠٨ ص ١٨٧.
(٢٠) الطرائف ١٤١/٥٥.
(٢١) الطرائف ١٤٦/٦٩.
(٢٢) الطرائف ١٦٤/٦٤.
(٢٣) الطرائف ١٩٧ ص ١٨٥.

(ب) الفخر:

وإذا كان إبراهيم بن العباس قد عبر عن ذاته وخلجات صدره. وظهر ذلك واضحا فى تشبيبه وغزله.. فإنه لم يترك - ثانى مجالات الذاتية - وهو الفخر.

والفخر عند الرجل.. قوى، عارم، فخر بآله وحسبه، وفخر بشجاعته يوم النزال، وفخر بالدفاع عن عشيرته وقومه إذا حل النضال، ثم فخر بالكرم والسخاء والبذل والإعطاء.. وأيضًا بمكارم الأخلاق.

فهو يفخر بآله وقومه، ومكانتهم، وأنهم يمتلكون الإبل الضخمة، الكثيرة العدد، وهى لكثرة عددها يضيق بها الفضاء، ويصل غبار حركتها واندفاعها إلى عنان السماء، يفتدون بها أرواحهم ودماءهم.. يقول[٢٤]:

لَنَا إِبِلٌ كومٌ يَضِيقُ بِهَا الفَضَا ... وَتَغْبَرّ مِنْهَا أَرْضُها وَسَمَاؤُهَا
فمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا ... وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَدَامُ دِمَاؤُهَا
حِمىً وَقِرَىً فالمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا ... وأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقٍّ فَنَاؤُهَا

ويفاخر بأنهم قوم أشداء، لا يهابون الموت، إذا ما دخلوا حربا، فالرقاب تنحنى لهم طاعة.. وخوفا.. فيرجعون وهم أشد مهابة وقوة. وهم ذووا بأس وشكيمة، فمن يستجير بهم يجيروه ويجد لديهم السند والحماية والأمن..

وكُنَّا مَتَى مَا نَلْتَمِس بِسُيُوفِنَا ... طَوَائِلَ تُرْجِعْنَا وَفِينَا الطَّوَائِلُ
نَهُمُّ فتُعْطِينَا المنَايَا قِيَادَهَا ... وتُلقِى إِلَيْنَا مَا تُكِنّ المَعَاقِلُ
وَيَأْمَنُ فِينَا جَارُنَا وَعُيُونُنَا ... وَتَرْقُدُ عَنَّا فِى المحُولِ العَوَاذِلُ[٢٥]

ويفخر بجسارته وشجاعته، وأنه وحده الذى يتحمل المسئولية.. فهو لا يحمّل قومه نتيجة أفعاله، ولكنه يتحمل وحده نتيجتها، بل ويتحمل نتيجة أفعالهم.. فهو المهاب الجسور، الفارس المقدام، الذى يحمل عن قومه جريرة أفعاله وأفعالهم، وهو الموئل يوم الوغى إذا جُنوا على غيرهم. وهذه بلاشك صورة من صور الفخر التى كان يرسمها الجاهليون.. يوم كانوا ينصرون بعضهم بعضا... يقول[٢٦]:

وَأَجْنِى عَلَى قَوْمِى وأَحْمِلُ عَنْهُمُ ... وَسَيِّدِ قَوْمٍ مَنْ جَنَى وتَحَمَّلَا
وَإِنْ أَجْنِ لَا أَحْمِلْ عَلَيْهِم جَرِيرَتى ... وَلكِنَّنِى إِمَّا جَنوا كُنْتُ مَوْئِلَا

(٢٤) زهر الأداب ١٥٥/٤.
(٢٥) الطرائف ٢٠٣ ص ١٨٦.
(٢٦) الطرائف ٩٦ ص ١٥٤.

ويقول لصاحبته: سَلي عَنِّي من صحبتهم.. سَلِي مَنْصَلي وسهامي.. سلى حتى أعدائي.. سيخبروك جميعا من أنا...

خُذِى خَبَرِى عَنْ سَائِرِينَ صَحِبْتُهُم وَعَنْ طَارِقٍ أَوْ لَائِذٍ صَحِبَانِى
خُذِى خَبَرِى يَوْمَ القِرَى عَنْ مَنَاجِرِى وَيَوْمَ الوَغَى عَنْ مَنْصَلِى وسِنَانِى(٢٧)

وإذا كان إبراهيم بن العباس فاخر بشجاعته يوم النضال.. فهو لم ينس أن يفاخر بأجمل الخصال. يفاخر بما فاخر به العرب الخُلّص وهو الكرم والإعطاء، يقول(٢٨):

مَنْ أَتَانِي فِي حَاجَةٍ فَلَهُ الفَضْـ ـلُ الجَزِيلُ مُسْدًى إِلَىَّ عَلَيَّا
ولَـهُ الشُّكْرُ وَالمَـزِيـدُ وأَضْعَـا فُ الَّذِى جَاءَ يَـرْتَجِيهِ لَـدَيَّا
لَا عَدِمتُ السَّخَاءَ وَالبَذْلَ لِلْمَا لِ وَلَا الـرَّاغِبِينَ فِيـه إِلَيَّـا

ويفاخر أيضا بأنه لا يخاف فى الحق لومة لائم، يحق الحق، ويزهق الباطل، حتى ولو كان على أخيه ابن أمه وأبيه... وليس هذا فحسب، بل إنه لا يبطل معروفه بالمن أو الأذى، ويعرف حق نفسه وحقوق الغير.

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّى وَآخُـذُ لِلشَّفِيقِ مِـنَ الشَّـقِيـقْ
وَإِنْ أَلْـفَيْتَنِـى حُـرًّا مُـطَاعًـا فَـإِنَّـكَ وَاجِدِى عَبْدَ الصَّـدِيقْ
أُفَـرِّقُ بَـيْنَ مَعـرُوفِى وَمَـنِّـى وَأَجْمَـعُ بَيْنَ مَالِى وَالحُقُـوقْ(٢٩)

هذا هو فخر الرجل.. وهو فى معظمه فخر بالصفات والخصال التى تعارف عليها العرب، وطالما ضمنها الشعراء القدماء قصائدهم.. فخر بالقوم وبالعشيرة ومكانتها وفخر بالشجاعة يوم النضال، وفخر بالأنفة والأباء.. وفخر بالكرم والسخاء، ثم فخر بمكارم الأخلاق. وهو فى جميع ذلك يساير تيار الأقدمين، ويسير على منوالهم، فتيار شعره يجرى متوازيا مع تيار الشعراء الآخرين جاهليين وإسلاميين.

(جـ) المعاتبات:

ويتصل بهذا المجال الذاتى أيضا.. موضوع آخر سيطر على عواطف الشاعر، وكان له أثر كبير فى حياته وشاعريته ألا وهو شعر المعاتبات. وكان السبب فى وجود وكثرة هذا الموضوع فى شعره، هَوْل ما عاناه الرجل وكابده من الصراع النفسى والتمزق، نتيجة لتنكّر الإخوان وتفرق الخلّان،...

---

(٢٧) الطرائف ٩٨ ص ١٥٤.
(٢٨) الطرائف ٩٩ ص ١٥٥.
(٢٩) زهر الآداب ١٥٧/٤.

كل ذلك عقّده وأفقده الثقة - لا فى الأصدقاء فحسب - بل فى جميع الناس، وبالتالى حرّك مشاعره، وأشعل قريحته، فأخرجت لنا العديد من شعر المعاتبات.

وفى هذا النوع من الفن عنده يظهر لنا مدى الأسى الدفين، والشعور بالمرارة، وتأجج الصراع النفسى بين حناياه، مما كان له أثر كبير على نفسيته، فمضى يصدر هذا اللون الفنى، حتى لقد صار إمام شعراء عصره فى عتاب الإخوان وذكر تقلبهم وتغيرهم..

ففى عتابه لابن الزيات يقول: كنت أخى الذى أعتز بأخوته وصداقته، واحتمى به من غدر الزمان.. فكيف تتحد مع الزمان على قهرى، ما كنتُ أظن أن الود والوفاء ينقلب إلى غدر وجفاء..

وكُنتَ أخِى بـالدَّهْـرِ حَتَّى إذَا نَبَا ... نَبَوْتَ، فَلَمَّا عَادَ عُدْتَ مَعَ الدَّهْرِ
فَـلَا يَـوْمَ إقْبَـالٍ عَـدَدْتُـكَ طَـائـلاَ ... وَلَا يَومَ إدْبَارٍ عَـدَدْتُكَ مِنْ وِتْـرِى
وَمَـا كُنْتَ إلَّا مِثلَ أَحْـلَامِ نَـائِمٍ ... لَدَى حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ(٣٠)

وفى عتابه- لابن الزيات- يتحدث عن الأخوة والصداقة، وما يتبعها من مودة وإخلاص، وكيف أن الصديق سند لصديقه فى المحن. ولكن الزمان دائما يجور والأيام متقلّبة.. تجمع لتفرق وتفرق لتجمع..

أَخٌ كُنْتُ آوِى مِنْهُ عِنْدَ إدِّكَارِهِ ... إلَى ظِلِّ أفْنَانٍ مِنَ العِزِّ بَاذِخِ
سَعَتْ نُوَبُ الأَيَامِ بيْنِى وَبيْنَهُ ... فأقْلَعْنَ مِنَّا عَنْ ظَلومٍ وَصَارِخِ
وَإنِّى وإعْدَادِى لِدَهْـرِى مُحَمَّداً ... كَمُلْتَمِسٍ إطْفَـاءَ نَارٍ بنـافخ(٣١)

ويسأله: هَبْنِى أسأت أو أخطأت، أو فعلت مالا يرضيك مثل ما قُلت أليس العفو والمغفرة من شيم الأحرار، أليس للصديق على صديقه تقبل الأعذار، يا صديقى.. العفو عند المقدرة.. فعفوًا جميلا وصفحا، فأنت أهل لكل مكرمة وفضيلة.

فَهَبْنِى مُسِيئاً مِثْلَ مَا قُلْتَ ظَالِماً ... فَعفْواً جَمِيلاً كَى يَكُونَ لَكَ الفَضْلُ
فَإنْ لَمْ أكُنْ بالعَفْوِ مِنْكَ لِسُوءِ مَا ... جَنَيْتُ بِهِ أهْلاً، فأنْتَ لَهَا أهْلُ(٣٢)

ويصل به التأثير مداه.. فنراه يتساءل: هل رأى أحد مثل صديق كان عونا على الزمان، فإذا به ينقلب على صديقه، ويكون عونا للزمان عليه.. رفعته الأقدار فنال الجاه والسلطة.. فلم يجد لنفسه عزاً أو مكانة إلّا بحط الآخرين والتنكيل بهم..

---

(٣٠) الطرائف ١٠٩ ص ١٥٨.
(٣١) الطرائف ١٠٦ ص ١٥٧.
(٣٢) الطرائف ٢٠٤ ص ١٨٧.

مَنْ رَأَى فِى الأَنَامِ مِثْلَ أَخٍ لِى كَانَ عَوْنِى عَلَى الزَّمَانِ وَخِلِّى
رَفَعَتْهُ حَالٌ فَحَاوَلَ حَطِّى وَأَبَى أَنْ يَعِزَّ إِلَّا بِذُلِّى(٣٣)

ويناديه يا أخي.. يا صديقي.. يا خليلي، كيف تهجر أصدقاءك.. ولماذا تنسى ودهم، يا من كنت بالأمس رفيقا، هل أنت على عهدك مثلي.. أم محا ما بيننا طول الأجل..

يَا أَخاً لَمِ أَرَ فِى النَّاسِ خِلًّا مِثْلَه أَعْجَبَ هَجْراً وَوَصْلَا
كُنْتَ فِى أَوَّلِ يَوْمِى صَدِيقاً فَعَلَى عَهْدِكَ أَمْسَيْتَ أَمْ لَا(٣٤)

ومن أصدقائه الذين غيَّرتهم الأيام فتنكروا له ولصداقته.. الحارث الذى كان يرى فيه ـ إبراهيم ـ صديقا وفيا ولكن سرعان ما سعت الأيام.. ففرقت الشمل وغيرت من نفسيته، وكان ذلك من أشد الضَّربات التى جعلت الشاعر مشتت الفكر، سقيم الوجدان، فنراه يخاطبه.. حتى أنت يا حارث.. كيف غيرتك الأيام.. يا عجبا للحوادث كيف تغير الإخوان.. كيف تجعل للشامتين المغرضين مكانا بيننا.. لقد كنا إثنين دائما، وليس بيننا ثالث، وا أسفاه على حارث..

تَغَيَّرَ لِى فِيمَنْ تَغَيَّرَ حَارِثُ وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ غَيَّرَتْهُ الحَوَادِثُ
أَحَارِثُ إِنْ شُورِكْتُ فِيكَ فَطَالَمَا غَنِينَا، وَمَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ ثَالِثُ(٣٥)

(د) الخمريات:

وفى مجال الذاتية، إذا كان إبراهيم بن العباس قد تغزل وفاخر وعاتب، فإن له عنصرا آخر، نظم فيه شعرا ليس بالقليل، وتناول فيه ما تناوله غيره من شعراء العصر.. هذا الموضوع هو الخمر..

تناول الرجل فى هذا الفن ـ فن الخمريات ـ كل ما يتصل بالخمر، ونظرته إليها ووصف لونها وطعمها ورائحتها، وكيف أنها تزيد المجلس أنساً وبهجة ومزاحا، فهو يراها دُرّة صافية، تنير المكان بصفائها حيثما أُديرت، وتبعث فيه من رائحتها عبقا وسحراً، وشذاً جميلا.. يقول(٣٦)

صِفْ مِرَاحاً إِنْ كُنْتَ تَهْوَى مِرَاحاً صِفَةً تُعْقِبُ الحَلِيمَ مُزَاحَا
دُرَّةٌ حَيْثُمَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمَشَمًّا مِنْ حَيْثُ مَاشُمَّ فَاحَا
ورِدَاحٌ قَالَ الإِلَهُ لَهَا كُو نِى فَكَانَتْ رُوحا وَرَوْحًا وَرَاحاً

وهو لا يكتفى بشربها ووضعها، بل يحرِّض ـ أقرانه وسُمَّاره ـ على شربها والتمتع بها صحيحة

(٣٣) أدب الكتاب للصولى ص ١٥٩.
(٣٤) الطرائف ١٣٣ ص ١٦٤.
(٣٥) الديوان.
(٣٦) الطرائف ٥٠ ص ١٤٢.

وممزوجة. ويقول لمن حوله.. اشربْ واستمتعْ، ولا تستمع لمن يلومك فى شربها، تعش هَانِئاً، فليس من عمرك يوم لم تشرب فيه نبيذا..

اشْـرَبْ الـرَّاحَ صَحِيحـاً   واشْـرَبْ الـرَّاحَ وَقِـيـذًا
واعْصِ مَنْ لاَمَكَ فِى الرَّا   حِ تَعِشْ عَيْشاً لَـذِيـذًا
لَـيْسَ مِـنْ عُـمْـرِك يَـوْمٌ   لَمْ تَـذُقْ فِيـهِ نَـبِيـذًا[٣٧]

ويتحدث الشاعر عن مجالس الشرب، وعمّا تعارف عليه الشاربون، وكيف أنه يتعاقر الخمر مع ذويه وأقرانه صَبُوحاً وغَبُوقاً، صُبْحاً ومساءً، فإذا بهم نشاوى ونراه يربط بين الخمر والكرم والخصال الحميدة تماما على طريقة الجاهليين..

وَخِـلِـيـلٌ لِـى أَرْضَـا   هُ لإخْـوَانِـى خَـلِـيـلاَ
لاَ يَـرَى بَـذْلَ جَـزِيـلٍ   عِـوَضَ الـحَـمْـدِ جَـزِيـلاَ
بَـلْ يَـرَى كُـلَّ كَـثِـيـرٍ   عِـوَضَ الـحَـمْـدِ قَـلِـيـلاَ
زَاوَلَ الـلـيـلَ فَـلَـمَّـا   أَنْ رَأَى الـلَّـيْـلَ طَـوِيـلاَ
فَـجَّـرَ الـصُّـبْـحَ بِـصَـهْـبَـا   ءَ جَـلَـتْ عَـنْـه الـسُّـدُولاَ
لَـمْ يَـزَلْ يَـقْـتُـلُـهَـا حَـتَّـى   انْـجَـلَـتْ عَـنْـه قَـتِـيـلاَ
فِـى نَـدَامَـى بَـاكَـرُوا الـقَـهْـ   وَةَ والـرَّاحَ الـشَّـمُـولاَ
فَـاجْـتَـنَـوْا مِـنْـهَـا سُـرُوراً   واجْـتَـنَـتْ مِـنْـهُـمْ عُـقُـولاَ[٣٨]

ويحكى لنا ابراهيم سهرة من سهراته، فقد ذهب إلى صديق منادم، وأيقظه من سُبَاته.. وها هو يتكلم[٣٨]...

نَـبَّـهْـتُـهُ والـصَّـبَـاحُ مُـحْـتَـجِـبٌ   واللَّيْـلُ وَاهِى الإطْنَـابِ والعَـمَـدِ
قُم بِأَبِى أَنْتَ قَدْ رَقَدْتَ عَنِ الكَأْ   سِ فَـدَاوِ السَّقَـامَ بـالسُّهُـدِ
فَـقَـامَ عَنْ نَعْسَـةٍ تُجَـاذِبُـه   يَـجُـرّ ذَيْـلاً إِلَـى ذَا أَوَدِ
واللَّيلُ يَقْظَانُ والكَوَاكِبُ فِى الـ   آفَـاقِ حَيْـرَى كـاللُّؤْلُؤِ البَـدَدِ
أَرَيْتُـهُ الكَـأْسَ بَعْـدَ بَهْجَتِهَـا   مَسْلُوبَـةً فـاسْتَـوَى وَلَمْ يَكَـدِ
وَقَـام طَيَّـابُهـا فَـأَسْـرَجَـهَـا   بِـكَـفِّـهِ واسْـتَـقَـلَّهَـا بِـيَـدِ
ثُمَّ عَـلاَهَـا بـالـمَـاءِ فـاضْـطَرَبَتْ   وَطَيـرَّتْ بـالحُبَـابِ والـزَّبَـدِ

---

(٣٧) الطرائف ٥٨ ص ١٤٤.
(٣٨) الطرائف ٧٦ ص ١٤٨.

حَنَى الأَبَارِيقَ فَوْقَ أَكْؤُسِهَا   كَمَا انْحَنَى وَالِدٌ عَلَى وَلَدِ
فَخِلْتُ فِيهَا مَاءَ السَّحَابِ إِذاً   يَا بَرْدَ تِذْكَارِهِ عَلَى كَبِدِى

- ومن الواضح.. أن الشاعر جال فى هذا الفن أيام صباه وفتوته، فى الفترة اللآهية العابثة من حياته، حيث برز لنا مسايرته لتيار عصره، ومجاراته لبعض الشعر الماجنين - من أمثال أبى نُواس وأضرابه - الذين انكبوا على هذا اللون من الشعر، وإن كان هذا الفن عنده لا يصل من حيث الكثرة أو النوعية إلى ما وصل إليه عند شاعر الخمر الأول أبى نُواس.

٢ - المجال الغيرى

أما مجال الغيرية.. فهو المجال الذى كان يتناول فيه الغير بالمدح أو الرثاء أو الهجاء..

(أ) المـــديـــح

وبالنسبة لفن المديح.. نجد أن إبراهيم بن العباس لم يكن شاعرًا محترفًا، يتجول لعرض بضاعته على الخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم، بيد أنه كان أحيانًا يشارك فى المناسبات المختلفة بمديحه.. أو أبيات يقدمها استعراضا ومجاملة، ومشاركة منه فى بعض المناسبات، وأيضًا إثباتًا لشاعريته وفنه. فهو لم يكن شأن غيره من الشعراء الجوالين، يقدم المدائح ليأخذ عليها الهبات.. ولكنه كان أحد كتاب الدولة ثم أحد وُلَاتها، فكان يقدم دُرَرَه تعبيرًا عن حبّه وتقديره للخلفاء والأمراء والوزراء.

ومن هنا كانت قصائده ومقطعاته وقفًا على النخبة الممتازة من خلفاء بنى العباس ووزرائهم، وفى مناسبات محدودة.

والشاعر – فى مدائحه – لم يستطع أن ينفصل عن ركب الشعراء المحترفين، بل كان يسير على منوالهم، وعلى نفس السنن التى اتبعها الشعراء فى عصره، فيفخر بدولتهم ويعظمها، ويتحدث عن أحقيتهم فى تولى الخلافة[٣٩]، وأنهم تولُّوها بقدر من الله. وأنهم أشمل الناس بالفضائل، وبهم يقومُ الإسلام، فهم حماة الدين الذين يؤيدهم الله وينصرهم، وهم الصفوة المختارة المفضّلة على العالمين.. إلى آخر هذه الصفات الدينية، التى أسبغها الشعراء على الخلفاء فى مدائحهم.

ففى مديحته الدالية للمتوكل.. يمدحه بأنه الخليفة الذى نِيطَت به عُرى الإسلام، وأن النصر والإعزاز والتأييد حلفاؤه أينما حلَّ وحيثما رَحَل.. لأنه أحد أبناء البيت الهاشمى العريق، ويربط بينه وولاة عهده.. وبين النبى عليه الصلاة والسلام، مشيرًا إلى صلة الدم والنَّسَب التى كنفتهم، فكانوا نعم الأنفس والأبناء والجدود. يقول:[٤٠]

أَضْحَتْ عُرَى الإِسْلَامِ وَهِىَ مَنُوطَةٌ … بِالنَّصْرِ والإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ … كَنَفُوا الخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ
كَنَفَهُم الآبَاءُ واكْتَنَفَتْ بِهِمْ … فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ

(٣٩) رغم أنه كان شاعرا شيعيا، وهو فى ذلك يستخدم «التقية».
(٤٠) الطرائف ١٣، ص ١٣١.

ويمدحه أيضًا بأنه المؤيد بنصر الله.. الذى اختاره الله أميرًا للمسلمين، وأيده بالخلافة، وأيد الخلافة به، فقام بالدين، وأمر بالعدل والإحسان، ونشر الهدى والتقوى، ونهى عن الفحشاء والمنكر.. يقول:(٤١)

اللَّهُ أَيَّـدَ بـالخِـلاَفَـةِ جَعْفَـرًا وَاللَّهُ أَيَّـدَهَـا بِـدَوْلَـةِ جَعْفَـرِ
مَلِكٌ أَقَامَ لَهُ الهُـدَى أَعْلاَمَهُ وَقَفَا بِهِ المَعْرُوفُ عَيْنَ المنْكَرِ

ويمدحه كذلك بأنه القادر على حسم المواقف، الشجاع الذى لا يستطيع أن ينال منه الأعداء، لأنهم موقنون أنه سيصل إليهم فى أى مكان لجأوا إليه.. فمن يطلبه فالله طالبه.. يقول:(٤٢)

لِكُلِّ عَدُوٍّ جَوْلَةٌ ثُمّ مَرْجِعٌ إلَيْكَ وَمَنْ تَطْلُبْه فاللَّهُ طَالِبُهْ
وَمَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى عَدُوَّك فَلْيَقُمْ بِبَابِكَ تَرْدُدْه إِلَيْكَ عَوَاقِبُهْ

ولا ينسى إبراهيم بن العباس – فى مدائحه – المعانى العربية المتوارثة.. كالكرم والوفاء والإباء وغير ذلك من الصفات التى كان يضفيها الشعراء على ممدوحيهم، والتى تتصل بالمثاليات الخلقية.. فنراه يمدح الخليفة المتوكل بالكرم والعطاء، وأنه المنعم الذى اكتسب ثناء الناس لسخائه وكرمه، والوحيد الذى جَمَع بين الخصال الحميدة، فليس هناك أحد يَعْدُله فى خَصَائصه الجمة. يقول:(٤٣)

فَعَلْتَ فَـأَثْنَـوْا شَـاكِـرِينَ لِمُنْعِمٍ فَعُـدْتَ فَعَادُوا بِـالَّتِى لَكَ أَوْجَبُ
فَـأَىُّ فِعَـالٍ مِثْـلَ فِعْلِكَ وَاحِـدٌ وَأَىّ ثَنَـاءٍ مِنْ ثَنَـائِـكَ أَطْيَبُ

ويشير إبراهيم – فى مدائحه – إلى أحقية الخلافة وولاية العهد.. فيمدح المتوكل بأنه أولى الناس طرًّا بالخلافة، وأن ابنه أولى الأبناء بالولاية، ويقول للخليفة إذا كنتَ أنتَ أمل الناس اليوم، فهو أملهم فى المستقبل.. يقول:(٤٤)

مَنْ بـالخِـلاَفَـةِ أَوْلَى مِنْ جَعْفَـرِ بن مُحَمَّدْ؟
وَمَـنْ أَحَـقُّ بِـعَـهْـدِ مِنْ الأَمِيـرِ الـمؤيَّـدْ؟
مِنَ المؤمَّـلِ فى الْيَـو مِ والمؤمَّـلِ فِى الغَـدْ

* أما مدائح الرجل للوزراء.. فلابد أن يوائم فيها بين صفات الوزير الشخصية، وبين

(٤١) الطرائف ١٨ ص ١٣٢.
(٤٢) الطرائف ٨ ص ١٣٠.
(٤٣) الطرائف ٣ ص ١٢٧.
(٤٤) الطرائف ١٥ ص ١٣١.

مكانته الرسمية، فيضفي عليهم العديد من المعاني التي تتناسب معهم ومع مراكزهم ويظهر هذا الجانب بوضوح في مدائحه للفضل بن سهل وزير المأمون، فيصفه بأنه حامي الخلافة، ومانع جانبها، وأنه يسوسها بالحق والعدل، وصواب الرأي، وقوة العزيمة، ويمدحه بأنه رب السيف والقلم، رجل الحرب إذا ما دعا الداعي، وطغت الحروب، وتأثلت الخطوب، ورجل الدولة ذو الرأي السديد... يقول:(٤٥)

سُسْتَ بِالخِلَافَةِ إِذْ نُصِبْتَ لَهَا ... فَحَمَيْتَهـا وَمَنَعْتَ جَـانِبَهَـا
وَعَـدَلْتَهَـا بِـالحَقِّ فَـاعْتَـدَلَتْ ... وَوَسِعْتَ رَاغِبَهَـا وَرَاهِبَهَـا
وَإِذَا الحُرُوبُ طَغَتْ بَعَثْتَ لَهَا ... رَأْيـا تُفَـلُّ بِـهِ كَتَـائِبُهَـا
رَأْيا إِذَا نَبَتْ السُّيوفُ مَضَى ... عَـزْمٌ بِـهِ فَشَفَى مَضَـارِبَهَـا
وَإِذَا الخُـطُوبُ تَـأَثَّلَتْ وَرَسَتْ ... هَـدَّتْ فَـوَاضِلُه نَـوَائِبَـهَـا

ويمدحه كذلك بقوة الشخصية، وصدق القول، وبُعد النظر، وأنه يفوق أنداده فلا يستطيع أحد أن يجاريه أو يماثله في ذلك: يقول:(٤٦)

يُجِيلُونَ عَنْ لَيْلٍ بَهِيمٍ ظُنُونَهُم ... فَإِنْ قَالَ جَلِيَّ اللَّيْلُ عَنْهُم سَمَادِرَهْ
وإِنْ زَالَ والأَمْرُ البَعِيدُ وَجَدْتَه ... مُعَدًّا يَرَى عَنْ أَوَّلِ الأَمْرِ آخِرَهْ
فَلَا أَدْرَكُوا بِالجَهْدِ مِنْهُم أَنَاتَهُ ... وَلَا بَلَغُوا بالفِكْرِ مِنْهُمْ خَوَاطِرَهْ

ويمدحه أيضا بأنه الكريم السخي الذى لا يعادله إنسان. وأن في يده الكرم والسخاء لأنصاره.. وفيها كذلك الدمار والسطوة لأعدائه..

يقول:(٤٧)

لِفَضْلِ بنِ سَهْلٍ يَدٌ ... تَقَاصر عَنْهـا المَثَلْ
فَنَـائِلُهَـا لِلْغِنَـى ... وَسَـطْوَتُهَا لِـلأَجَـلْ
وَبَـاطِنُهَـا لِلنَّـدَى ... وَظَـاهِرُهَـا للقُبَـلْ

ويمدح أخاه الحسن بن سهل بأنه صاحب كل مكرمة وفضيلة، وأن هذه الأكرومة - كما يقول له(٤٨) - تنوب عنه في مكافأة وَلِيّه واجتثاث عدوّه.. وهي أكرومة عظيمة لا تتطاول إليها إلا أعناق الأئمة..

---

(٤٥) الطرائف ٥ ص ١٢٨.
(٤٦) الطرائف ١٩ ص ١٣٢.
(٤٧) الطرائف ٢٩ ص ١٣٦.
(٤٨) الطرائف ٢٨ ص ١٣٥.

هَنَتْـكَ أُكْـرُومَـةٌ جُلِّلَتْ نِعْمتُهَـا   أَنْتَ وَلِيُّـكَ واجْتَثَّتْ أَعَادِيكَـا
مَاكَانَ يُحْبَى بِهَا إلاَّ الإِمَامُ وَمَا   كَانَتْ إِذَا قُرِنَتْ بالخَلْقِ تَعْدُوكَـا
تَـاللهِ لَوْ أُطْلِقَتْ أُمْنِيَتُكَ قَاصِـدَةً   عَنْ بُعْدِ مَصْدَرِهَا حَتَّى تُوَافِيكَـا

وابراهيم بن العباس لم يترك مناسبة من المناسبات التى مر بها الخلفاء، أو مرّت بها الدولة إلا ونظم فيها وأشار إليها، ففى زواج المأمون من بوران ابنة الحسن بن سهل.. يشير إلى هذا النسب، ويقول للمأمون: هنيئا لك هذا النسب النبيل، وهنيئا بأصهارك الأكرمين، الذين جدعوا أنوف الأعداء، وأجبروهم على الإنقياد والرضوخ لمشيئتهم، إنك جمعت بين الشملين والأسرتين العريقتين من آل هاشم وآل سهل، فكنت خير نسيب لأعرق نسب... ويذكّره بأن أبناءه من بوران سيرثون - ليس الخلافة فقط - بل سيرثون عرش كسرى الفرس العظيم.. يقول:[٤٩]

لِيَهْنِـكَ أَصْهَـارٌ أَذَلَّتْ بِعِـزِّهَـا   خُدُودًا وَجَدَّعْنَ الأُنُوفَ الرَّوَاغِمَا
جَمَعْتَ بَيْنَ الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ   وَحُزْتَ بِهِ لِلأَكْرَمِينَ المَكَـارِمَا
بَنُوكَ غَدًا آلُ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا الـ   خِلاَفَةِ والحَاوُونَ كِسْرَى وَهَاشِمَا

ولما عقد المتوكل العهد لأولاده.. تقدم الرجل ليمدح المعتز بالله، مشيرًا إلى ولايته لعهد المسلمين.. ويصفه بأنه النور الذى أشرق على الشرق العربى كله، وأنه أوسع الناس صدرًا، وأكثرهم عدلاً وسماحا... يقول:

أَشْـرَقَ المَشْـرِقُ بِـالـ   ـمُعْتَـزِّ بِـاللهِ وَلاَحَـا
واسْتَنَـارَ العَهْـدُ حَـتَّى   شَقَّ فِى اللَّيْلِ صَبَاحَـا
أَوْسَـعَ الـلَّهُ بِـهِ الـ   أُمَّةَ عَدْلاً وَسَمَـاحَـا[٥٠]

هذا هو أهم عنصر من عناصر المجال الغيرى فى شعر الرجل - أقصد فن المديح - وهو فى هذا المجال لم يكن بمستطيع أن يُغيِّر فى أسس وعناصر هذا الفن، غير أننا نلمح عدم المغالاة بقصد استدرار عطف الخلفاء... بل كان الرجل معتدلا.. خاصة وأن هذا المديح كان يستخدمه مداراة على مذهبه الشيعى الذى كان يخفيه، متقِّيًا الأذى الذى يمكن أن يتعرض له لو عُرف عنه ذلك فكان من الضرورى أن يجارى الشعراء المادحين، ويسلك مسالكهم، وينتحى منحاهم، مستغلا معانيهم.. حتى يُؤَمِّن حياته وعيشه فى رحاب الخلفاء.

---

(٤٩) الطرائف ٣٥ ص ١٣٧.
(٥٠) الطرائف ١٠ ص ١٣٠.

(ب) الرثاء

أما الرثاء – وهو الفن الثانى فى هذا المجال الغيرى – فهو الفن الذى بثّ فيه إبراهيم بن العباس كثيرًا من المعانى الدقيقة، والأحاسيس الرقيقة، التى تمسّ شغاف القلب، وضمنه عواطفه وانفعالاته، وخواطره وأحزانه، ولوعته وأشجانه فما أشق على المرء من أن يرثى والد أو والدة.. من مثل قوله:(٥١)

نَعَى النَّاعِى إلَىَّ أَبِى ... وَخَبَّر أَيْنَ مُنْقَلَبِى
لَمَوْعِظَةٍ رَأَهَا فِى ... أبِيهِ لَها رَأَيْتُ أَبِى
سُلِبْتُ أَبِى سَلاَمَتَهُ ... وأُسْلَبُ بَعْدُ مُسْتَلَبِى
وأَيْنَ مِنَ المُطِلِّ عَلَى ... مَذَاهِبِ مَذْهَبِى هَرَبِى
وَمَا لِمُسَافِرٍ جِدَّ الـ ... ـرَّحِيلُ بِهِ ولِلَّعِبِ
مَضَى طَلْقًا لِغِرَّتِهِ ... وَأَغْفَلَ لَيْلَةَ القُرَبِ

فهو يؤمن أن الموت نهاية كل حى، فإذا كان الناعى قد نعى أباه.. فقد أخبره عن نهاية مصيره.. فهذه هى فلسفة الموت وموعظته، يفرق الأحباب ويبعِّد الأصحاب، ولا مفر منه، لأنه قضاء الله، ويقول إذا كنت قد سلبت أبى اليوم، فغدًا سوف ألقى نفس المصير، غير أن أكثر ما يحز فى النفس هو الفراق.

أما رثاؤه لولده.. فهو رثاء يمزّق نياط القلب، ويصدر عن إحساس عميق باللوعة والحسرة لفقد ضناه.. يقول.. كم كنت أتمنى أن أفديه بنفسى، ولا أعيش حتى أواريه التراب، ولكنى لم أستطع أن أدافع عنه حمام الأجل

بِنَفْسِى حَبِيبٌ ثَوَى فِى الثَّرَى ... وَشَارَقَ حُسْنٌ بِهِ قَدْ أَفَلْ
وَمَازِلْتُ مُذْ لَدُنْ أَعْطِيتُهُ ... أُدَافِعُ عَنْه حِمَامَ الأَجَلْ
أُعَوِّذُهُ دَائِمًا بِالقُرْآنِ ... وَأَرْمِى بِطَرْفِى إلَى حَيْثُ حَلّ
فأَضْحَتْ يَدِى قَصْدُهَا وَاحِدٌ ... إلَى حَيْث حَلَّ فَلَمْ يَرْتَحِلْ(٥٢)

– ويقول فى مرثية أخرى.. لقد كنت نور عينى، بك أرى، وأحس جمال الحياة، فلما فقدْتك.. أصبح كل شىء عديم القيمة، ولم أعد الآن أحاذر على شىء أو أخشى فقده.

كُنْتَ السَّوَادَ لِمُقْلَتِى ... فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ

(٥١) الطرائف ١٥١ ص ١٦٨.
(٥٢) الطرائف ١٧٧ ص ١٧٩.

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ   فَعَلَيْكَ كُنتُ أُحَاذِرُ[٥٣]

ويصل به التأثر مداه، والجزع أشده، وتعتمل في نفسه الفجيعة والحسرة بعد أن فقد ولده الثاني، فيرثيهما معا رثاء حارًا يمزق نياط القلب..

كَلَّ لِسَانِي عَنْ وَصْفِ مَاأَجِدُ   وَذُقْتُ ثُكْلًا مَاذَاقَهُ أَحَدْ
مَاعَالَجَ الحُزْنَ والحَرَارَةَ فِي الـ   أَحْشَاءِ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدْ
فُجِعْتُ بِابْنَيَّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا   إلَّا لَيَالٍ مَا بَيْنَهَا عَدَدْ
وكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قِدَمِ الدَّ   هْرِ، وحُزْنِى يَجُدُّهُ الكَمَدْ[٥٤]

وهكذا كان رثاء الرجل لولديه قويا مؤثرا يعكس مدى تأثره وانفعاله..

– ولم يقتصر رثاء إبراهيم بن العباس على ولديه ووالده، بل رثى كثيرا من الناس. وكان فى رثائه لا يستدر عطف ذويهم وأهليهم.. بل كان يستدر دموع الناس جميعًا.. من هؤلاء الفضل بن سهل – وليّ نعمته وصاحب الفضل الأول فيما وصل إليه الشاعر من مكانة وسؤدد.. يقول فى مرثية من مراثيه:[٥٥]

إِحْدَى المُلِمَّاتِ الجَلَائِلْ   أَوْدَتْ بِفَضْلٍ والفَضَائِلْ
يَا ذَا الرِّئَاسَةِ والسِّيَا   سَةِ وابْنِ سَادَتِهَا الأَوَائِلْ
أَنِسَتْ بِبَهْجَتِكَ القُبُو   رُ وأُوحِشَتْ مِنْكَ المَنَازِلْ

ويقول فى مرثية أخرى:[٥٦]

مَلَامَكِ عَنِّى جَلَّ خَطْب فَأَوْجَعَا   ذَرِينِى وَمَابِى قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ المَلُومَ مُعَذَّبٌ   وَأَنَّ أَخِى لَاقَى الحِمَامَ فَوَدَّعَا
وأَعْدَدْتُهُ لِلنَّائِبَاتِ ذَخِيرَةً   فَأَضْحَى أَجَلَّ النَّائِبَاتِ وأَفْظَعَا

هذا هو فن الرثاء عند الرجل. وهذه هى أهم معانيه وعناصره.. وهذا الفن وإن كان يرتبط بالغير.. إلا أننا نرى فيه أنين الرجل ولوعته ونحس فيه بذات نفسه.. فهو يرثى.. وكأنه يرثى نفسه ويندُب حظَّه، لذلك وضح فى هذا الفن مدى صدقه الفنىِّ العاطفى، ومدى تأثره بالخطب العظيم.

---

(٥٣) الطرائف ١٥٤ ص ١٦٩.
(٥٤) الطرائف ١٦٤ ص ١٧٥.
(٥٥) الطرائف ١٦٣ ص ١٧٣.
(٥٦) الطرائف ١٦٢ ص ١٧٢.

(جـ) الهــجــاء

وأهم عناصر المجال الغيرى عنده على الإطلاق.. عنصر الهجاء..

والهجاء عند ابراهيم بن العباس لا يتخذ صورة حادة كما عند ابن الرومى مثلا... ولكنه يتصل بتاريخ المهجو، فيستغل مجموعة أمور تتصل بماضيه، وأصله، وعلاقاته بأهله وبالناس، وخصاله، وعاداته.. إلى غير ذلك.

وهو فى هجائه يخلع على المهجو كثيرا من الصفات الذميمة التى تحط من شأنه وتجرده من كل قيمة رفيعة أو مكانة مرموقة..

وأكثر من هجاهم ابراهيم بن العباس هو ابن الزيات وزير المعتصم والواثق ثم المتوكل.. وهو تارة يهجوه بأصل مهنته ومهنة أهله السابقة وهى: بيع الزيت، وأخرى يهجوه بابتزاز أموال الناس، وثالثة يهجوه بالزندقة واتباع دين مَانِى.. يقول[٥٧]:

حَيٌّ حَـانُـوتَـه بِنَـاحِيَـةِ الكَـرْ   خِ وأَرْطَـالَـهُ عَـنْ كُـلِّ بَـابِ
حَـيٌّ أَمْـوَالَـه بِصَـوْلَـةِ سُـلْطَا   نٍ، وعُـمْـرانُـهُ بِيَـوْمِ خَـرَابِ
حَيٌّ مَنْ دِينُـهُ عَلَى دِينِ مَـانِى   بِـزَوالٍ مِـنْ نِـعْـمَـةٍ وَعِـقَـابِ
حَيٌّ مَنْ أَصْبَـحَ الغَـدَاةَ وَزِيـرًا   وَهُـو بـالأَمْسِ كَـاتِبِ ابْنِ شِهَـابِ

ويهجو أيضا باللؤم والخبث، وينسبه إلى جُبُل فيقول:[٥٨]

إذَا ذَكَـرَ الـنَّـاسُ أَعْـدَاءَهُـمْ   فَـأَقْـنِزْ بِـذِكْـرِ اللَّئِيمِ السَهِـكْ
لِمَـنْ مُنْـتَـهَـاهُ إِلَـى «جَـبُّـل»   «ومَـانِـىْ» وأَرْطَـالِ عَبْـدِ الـملكْ
وَيَـسْعَـى عَـلَى كُـلِّ ذِى نِعْـمَـةٍ   فَـمَـا إِنْ يُبَـقِّـى وَلَا يَـتْـرِكْ

ويقول له فى مقطوعة هجائية أخرى: إذا كنت قد ورثت محاسنًا خَلَفَها لك أبوك فإن أبناءك سيرثون منك العار..

عَفَتْ مَسَـاوٍ تَبَدَّت مِنْـكَ وَاضِحَـةٌ   عَلَى مَحَـاسِنِ بَقَّـاهَـا أَبُـوكَ لَكَـا
لَئِنْ تَقَـدَّمَتْ أَبْنَـاءُ الكِـرَامِ بِـهِ   لَقَـد تَقَـدَّمَ آبَـاءُ اللِّئَـامِ بِكَـا[٥٩]

---

(٥٧) الطرائف ١٢٣ ص ١٦١.
(٥٨) الطرائف..
(٥٩) الطرائف ١٢٥ ص ١٦٢.

- ولئن أدركت بتجارة الزيت رتبه ومكانة، فإن مصيرك حتما سيكون - كمصير الخلال(٦٠) - القتل والمصادرة.

لَئِنْ أَدْرَكَ الزَّيَّاتُ بِالزَّيْتِ رُتْبَةً   لِمَنْ قَبْلِهِ الخَلَّالُ بِالخَلِّ نَالَهَا
تَوَرَّطَ مِنْهَا نِعْمَةً طَمَحَتْ بِهِ   فَمَا لَبِثَتْ أَنْ أَعْقَبَتْهُ زَوَالَهَا(٦١)

ويركز إبراهيم بن العباس كثيرا على حوادث السرقة وابتزاز الأموال.. فيقول له: كيف حصلت على كل هذه الثروة ما لم تكن بالسرقة، وإلا فما أغناك وقد كنت معسرا.. لقد كشف إثراؤك المفاجئ عن خصالك اللئيمة.

فَإِنْ تَكُنْ الدُّنْيَا أَنَالَتْكَ ثَرْوَةً   فَأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرٍ وَقَدْ كُنتَ فِى عُسْرِ
لَقَدْ كَشَفَ الإِثْرَاءُ عَنْكَ مَسَاوِيًا   مِنَ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ ثَوْبٍ مِنَ الفَقْرِ(٦٢)

وفى مقطوعة هجائية أخرى يقول: لا تغتر بما أنت فيه الآن من نعمة، فكل شيء إلى زوال، وسرعان ما ينقلب النعيم - مع أمثالك - إلى بلاء وبؤس.. ولتعلمْ يقينا أن قارونَ بأمواله الجمة كان يهوديا..

يَاأَبَا جَعْفَرٍ لَكَمْ مِنْ نَعِيمٍ   عَادَ فِى أَهْلِهِ بَلَاءً وَبُؤْسَا
إِعْلَمَنَّ عَنْ تَيَقُّنٍ وَاخْتِبَارٍ   «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى»(٦٣)

ويهجوه بأقذر المعانى، ويشبهه بالذباب.. قائلا.. كن كيف شئت، وافعل ما تشاء حقيقة ستنجو الآن من العقاب، ولكن إلى حين - تماما كما ينجو الذباب حين تحميه أقذاره من أن يمسك به أو ينال.

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَاتَشَا   ءُ وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَارْعَدْ شِمَالاَ
نَجَا بِكَ لُؤْمُكَ مَنْجَى الذُّبَا   بِ حَمَتْهُ مَقَاذِرُه أَنْ يُنَالاَ(٦٤)

ويهجو بالتنكر لأصدقائه والغدر بهم، وبإضماره الحقد والعداوة.. كما يضمر الزنديق عداوته للمسلم..

أَصْبَحْتُ مِنْ رَأْىِ أَبِى جَعْفَرٍ   فِى هَيْأَةٍ تُنْذِرُ بِالصَّيْلَمْ
مِنْ غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَكِنَّهَا   عَدَاوَةُ الزِّنْدِيقِ لِلْمُسْلِمِ(٦٥)

---

(٦٠) الخلال هو أبو سلمة حفص بن سليمان أول وزير للسفاح، وهو الذى قتله أبو مسلم بإيعاز منه.
(٦١) الطرائف ١٣٥ ص ١٦٤.
(٦٢) الطرائف ١١٢ ص ١٥٨.
(٦٣) الطرائف ١١٦ ص ١٥١
(٦٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ٤٣، الطرائف ١٢٩ ص ١٦٣.
(٦٥) الطرائف ١٣٦ ص ١٦٥.

وهكذا وجه إبراهيم بن العباس سهام هجائه إلى ابن الزيات فأدماه، وأصاب منه السمعة والمقتل، وجعله أضحوكة فى عصره، وكان هجاؤه للوزير سببا فى وقوعه وإفشاء سرقاته، ثم مصادرته وذهاب ريحه، فكانت ضرباته الهجائية السبب الأساسى والمباشر فى زوال وزارته وإزهاق روحه.

٣ - المجال الإنسانى

وأما المجال الإنسانى.. فهو المجال الذى جال فيه الرجل جولاتٍ ليست بالقليلة، تناول فيه الحكمة، والتأمل فى الحياة، وقدم نصائحه وتوجيهاته ورؤاه، كما تناول فيه الزهد. وصوّر تجاربه الإنسانية، وما خبره من الدهر والأيام.. ولم يكن هذا المجال أساسًا فى شعره، لأنه بحكم منصبه فى الدولة، وقربه من الخلفاء والوزراء وانخراطه فى سلكهم، كان لابد وأن يدور فى مجال الغيرية، لكنه كان أحيانًا ينفذ من هذا المجال الغيرى المقيد إلى مجال الذات فيتحدث عن نفسه كلما أتيحت له الفرصة، ثم ينفذ إلى المجال الإنسانى الواسع فيتحدث عن الإنسانية جمعاء.. ناثرًا بين ثنايا شعره، حكمته وتأملاته وتجاربه وما خبره فى حياته من أمور.. من مثل قوله:(٦٦)

أَلاَرُبَّ لُـوْمٍ بَيْنَ عِزٍّ وثَـرْوَةٍ   وَرُبَّ جُـودٍ بَيْنَ فَقْرٍ وإِقْتَـارِ
فَلَا يَغُرَّنْكَ ذُو طِمْرَينِ تَحْقِره   فَرُبَّ خِرْقٍ كَرِيمٍ بَيْنِ أَطْمَارِ

يقول: لا تنخدع بالمظهر، فالمهم هو الجوهر، ولا تغتر بمظاهر الحياة، ولا يدهشك بريقها، فرب لئيم مستتر خلف عز وثروة وجاه، ورب فقير يحمل نفسًا أبية كريمة، ولا يغرنك من المرء مظهره وشكل ثيابه، فقد يكون هناك أمرؤ - فى نظرك حقير، وهو فى حقيقته أمير..

ويقول أيضًا:

لاَيَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ العَيْشِ فِى دَعَةٍ   نُزُوعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُـلِّ بِلَادٍ أَنْتَ نَـازِلُهَا   دَارًا بِدَارٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ(٦٧)

- إذا أتعبتك الحياة فى مكان.. فانزع إلى حيث تجد الحياة الكريمة، فليس ألذ من الكفاح فى سبيل العيش والحياة.. ولا تخف من فراق الأهل ووداع الأحباب، فحتما ستلقى فى كل بلد تحل بها أهلا كراما وجيرانا يعوضونك عن أهلك وجيرانك.. وستجد فى رحابهم الألفة والمحبة.

ويقول:(٢)

وَرُبَّ امْرِئٍ نَادَيْتَ عِنْد مُلِمَّةٍ   فَـأَلْفَيْتَه مِنْهـا أَجَلَّ وأَعْـظَمَـا

---

(٦٦) الطرائف ١١٤ ص ١٥٩.
(٦٧) الطرائف ٨٦ ص ١٥١.
(٦٨) الطرائف ١٣٧ ص ١٦٥.

لا تثق ثقة مطلقة فى أحد.. فرُبَّ امرئ وثقت به. فكان غير أهل لهذه الثقة، وقد تجده عند الملمات والمصائب عونا لها عليك، وأشد نكاية منها.

ويقول فى مقطوعة أخرى تعكس خبراته.. لاتبك من أيامك الماضية، فربما كانت أسعد وأحسن حالاً من الأيام التى تعيشها، فهذه طبيعة الإنسان.. يكره الأشياء وقد يكون فيها الفائدة الكبرى..

سقيًا ورعيًا لأيّام مَضَتْ سَلَفَا ... بَكَيْتُ مِنْهَا فَصِرْتُ اليومَ أَبْكِيهَا
كَذَاكَ أَيّامُنَا لاَ شَكَّ نَنْدُبُهَا ... إِذَا تَقَضَّتْ، ونَحْنُ اليومَ نَشْكُوهَا(٦٩)

ويقول ساردًا حكمه التى استقاها من الزمن وخبرها من الأيام:

لا تَعْقِدَنْ إِنْ كُنْتَ نَاقِضَهَا ... أَلْفَيْتَهَا بِكَ مَمْنُوعًا مَرَامِيهَا وتُمْضِيهَا(٧٠)
واجْعَلْ أُمُورَكَ مَرْدُودًا مَصَادِرُهَا ... إِلَى اخْتِيَارِكَ تَلْوِيهَا

وينصح المرء قائلا..

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمْلُلْ أَخَاكَ بِقَلْبِهِ ... وَخَانَتْكَ آمَالٌ لَهُ وَمَطَالِبُ
غَدَوْتَ بِهِ مُرَّ المَذَاقِ وأَجْلَبَتْ ... عَلَيْهِ بِهِ فِى النَّائِبَاتِ العَوَاقِبُ(٧١)

ويقول:

إِذَا المَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ ضَنَّ بِرِفْدِهِ ... فَدَعْهُ صَرِيعَ اللُّؤْمِ تَحْتَ القَوَائِمِ
وبَعْضُ انْتِقَامِ المَرْءِ يُزرِى بِعِرْضِهِ ... وَإِنْ لَمْ يَقَعْ إِلاَّ بِأَهْلِ الجَرَائِمِ(٧٢)

ويترجم نظراته فى بعض الأصدقاء. وكيف أنهم أحيانا ينقلبون إلى أعداء ألداء، فيقول عملا بقول رسول الله ﷺ «اللهم اكفنى شر أصدقائى، أما أعدائى فإنى كفيل بهم»..

لَوْ قِيلَ لِى خُذْ أَمَانًا ... مِنْ أَعْظَمِ الحَدَثَانِ
لَمَا أَخَذْتُ أَمَانًا ... إِلاَّ مِنَ الإِخْوَانِ(٧٣)

ولقد ضمن إبراهيم بن العباس شعره كثيرا من تأملاته فى الحياة، تلكم التأملات التى تلمس النفس البشرية، والحياة الإنسانية، وتتصل بما يصادف المرء من عقبات ومشكلات يجد نفسه عاجزا عن التصرف فيها لأنها فوق قدراته..

(٦٩) الطرائف ص ١٦٩.
(٧٠) الطرائف ١٤٤ ص ١٦٧.
(٧١) الطرائف ١٠٠ ص ١٥٥.
(٧٢) الطرائف ١٣٨ ص ١٦٥.
(٧٣) الطرائف ١٤٢ ص ١٦٦.

يقول:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَى ذَرْعًا وعِنْدَ اللّهِ مِنْهـا مَخْرَجُ
كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَكْمِلَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّها لَا تُفْرَجُ[٧٤]

ويتحدث الشاعر فيروى حكمته التى اكتسبها من الزمن.. فيقول إن الإنسان تحكمه قدرة الله، وتسيِّره مشيئة الله، فلا يستطيع أن يصل إلاّ إلى ما قدَّره الله، ولا يستطيع أن ينال إلا ما وَهَبه الله.. فليس الرزق بالجرى والسعى.. ولكنه من عند الرزاق الوهاب - الذى يعطى من يشاء - بغير حساب، ويقتر على من يشاء - إذا شاء - لحكمة من عنده.. وقد يرزق من لم يسع وراء المال مالاً وفيرا، وقد يحرم منه مَنْ أنفق جهده وعمره فى سبيله..

فالله هو الرزاق، مالك المُلك، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير، إنه على كل شىء قدير.. يقول:

إنِّى اغْتَرَبْتُ أُرجِّى أنْ أنَالَ غِنًى وَلَمْ أكُنْ أوَّلَ الفِتْيَانِ مُغْتَرِبَا[٧٥]
فَإنْ رَجِعْتُ وَلَمْ أرْجِعْ بفَـائِدَةٍ فَلَسْتُ أوَّل مَنْ أخْطَاهُ مَا طَلَبَا
وكَيْفَ بالرِّزْقِ لِى أمْ كَيْفَ نجْلِيهِ سَعْيىُ إذَا اللّهُ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ سَبَبًا
لَوْ شَاءَ رَبِّى أقَمْنَا فِى مَوَاطِنِنَا حَتَّى يَسُوق إلَيْنَا رِزْقَنـا جَلَبَا
وَجَاءَ بالرِّزْقِ فِى خَفْضٍ وَفِى دَعَةٍ وَلَمْ نُعالِجْ لَـهُ الأَسْفَارَ والتَّعَبـا
مَهْمَا رُزِقْنَاهُ مِنْ شَىْءٍ سَيَطْلُبنَا وَلَا نَطِيقُ لِمَا قَـدْ فَاتَنـا طَلَبَا
إذَا سَلِمْتُ لِعِـرْضٍ لَا أُدَنِّسَـهُ فَمَا أُبَالِى أجَاءَ الرِّزْقُ أمْ ذَهَبَا

ومن نظرات شاعرنا الزاهدة، تلك التى يتحدث فيها عن المشيب، وأنه بداية النهاية، والمؤذن بالخَطْب الجليل. يقول[٧٦]

أَذَنَتْـك الشَّعْـرَاتُ الـ بِيضُ بـالخَطْبِ الجَلِيـلْ
لم تَدَعْ فِى النَّفْسِ شَكًّا لَـكَ فِى وشْكِ الـرَّحِيـلْ
يُـوشِـكُ المـرْسِـلُ أَنْ يـأْتِىِ مِنْ بَعْدِ الـرَّسُولْ

ويقول[٧٧]:

كَانَ الشَّبَابُ كَخِضَابٍ قَدْ نَصَلْ وابْتَـزَّهُ الشَّيْبُ مَحَـلًّا فَنَـزَلْ

---

(٧٤) الطرائف ١٥٩ ص ١٧١.
(٧٥) الطرائف ١٦٠ ص ١٧١.
(٧٦) الطرائف ١٨١ ص ١٨٠.
(٧٧) الطرائف ١٧٨ ص ١٧٩.

فأَزْعَجَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فارْتَحَلْ   إزْعَاجَكَ العِيْسَ بحَاءٍ وَبِحَلْ
والشَّيْبُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَإنْ مَطَلْ   مَعَجِّل بالمَوْتِ مِنْ قَبْلِ الأَجَلْ

ويقول[٧٨]: لا ينفع الانسان إلّا العمل الصالح، والسيرة الحسنة، فهو لا يحصد فى أخراه إلا الذى ذرعه فى ديناه

لَادَارَ لِلمَرْءِ بَعْدَ المَوْتِ يَسْكُنُهَا   إلَّا الَّتِى كَانَ قَبْلَ المَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ فَازَ سَاكِنُهَا   وَإنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانيهَا

(٧٨) الطرائف ١٨٢ ص ١٨٠.

٤ - نظرة عامة على فن الرجل

وهكذا دار إبراهيم بن العباس بشعره فى هذه المجالات...

* مجال الذاتية.. وتناول فيه الغزل والفخر والمعاتبات والخمريات...
* ومجال الغيرية.. وتناول فيه المديح - للخلفاء والوزراء والأمراء - والرثاء.. والهجاء..
* ومجال الانسانية.. وتناول فيه الحكمة والتأمل فى الحياة والزهد..

تناول كل هذه العناصر تناولا جميلا، وعبّر عن نفس ملهَمَة شاعرة، لاقطة مصورة، وكأنها آلة تصوير دقيقة تسجل كل العواطف والخواطر، وكل ما يتراءى أمام عدساتها من صور وكائنات.

ومن هذا الشعر نستطيع أن ندرك أنه شاعر مجيد، اتّخَذَ من الشعر وسيلة للتعبير عن النفس، وعن الغير، وعن الإنسانية.. فكان شعره بحق - وياليته كثير - شعرًا صادقا.. عميقا.. مُوحيا.. معبرًا عن قيمته كشاعر فحل بين فحول الشعر العربى فى عصره..

ومن هذا الشعر أيضا نستطيع أن ندرك أن الرجل عكف على ينابيع الشعر القديم - الجاهلى والإسلامى - ينهل منها بنهم وشغف، حتى تحولت إليه بكل ما فيها من عذوبة ومن جمال. فغدا وكأنه عربى أصيل، يحمل سليقة العرب، وهى سليقة طبعها بطابع الذوق الحضرى الجديد، والذوق العربى المثقف.. فكان شعره ناصعا يحمل الطابعين.. كل بيت يستقل بمعناه، وأفكاره لا تختلط. فلكل فكرة معناها ومغزاها.. وكل فكرة يلقى عليها من الأضواء ما يجعلها تبدو فى جلاء ووضوح. وهو فى ذلك يستغل كل العناصر الفنية لموضوعات الشعر القديمة، التى استوعبها وثقفها وهضم معانيها.. ثم أضاف إليها ذوقه الحضرى، وعاطفته الجياشة، وقريحته الملهمة. إلى جانب ثقافة العصر وحضارته.. وظل يزاوج بينهم جميعا مزاوجة بارعة تجلت بوضوح من خلال شعره.

ومن أهم الجوانب الفنية التى احتفظ بها إبراهيم بن العباس فى شعره - جانب الصياغة، وهى صياغة تحتفظ بالجزالة والرصانة حينا، وبالعذوبة والرِّقة حينا آخر، كما تحتفظ ببهاء اللغة ورونقها الموسيقى الباهر، فليس فى شعره هَلْهَلة فى نسيجه ولا إسفاف أوركاكة، وإنما المتانة والقوة حينا، والنعومة والرشاقة حينا آخر..

ويمكن القول.. أن الرجل سيطر على لغته العربية.. ولم يحتفظ لها بأروع ما فى أساليبها

القديمة الموروثة من أنغام وألحان فقط، بل أيضا وسع طاقتها ومرنها تمرينا واسعا، كى تطيق حمل تجربته الخاصة ومشاعره ورؤاه، ولتحمل أيضا ما ينعكس على فكره من طرائف الفكر الحديث الوافد.

* فإبراهيم بن العباس سلك - فى شعره - مسلكين واضحين:

- مسلك يروع برصانته ونصاعته وضخامة بنائه.. خاصة فى المديح والرثاء والهجاء..

- ومسلك يروع بعذوبة ألفاظه ورشاقتها وعذوبتها، ويظهر ذلك بوضوح فى غزله ويتضح ذلك فى جانبين:

١ - جانب الأوزان.. فقد قصر إبراهيم أوزان شعره، وعنى بالنظم من الأوزان الخفيفة، ومن المجزوءات.

٢ - وجانب الألفاظ.. فنلاحظ فى شعره خفة الألفاظ ورشاقتها، وما يتصل بذلك من حلاوة النغم.

فإذا مدح ارتفع إلى الأسلوب الجزل المتين.. والأوزان الطويلة.. أما فى لهوه وغزله وخمره، فإنه يتوق الأسلوب الخفيف، الأسلوب المولد الجديد، ويختار الأوزان القصيرة أو المجزوءة.

والحقيقة إن إبراهيم بن العباس اختار فى معظم شعره الأسلوب الخفيف الرشيق، بل إنه أحيانًا يكاد يجعله عاما فى شعره مديحا وهجاء وغزلا وخمرا..

وهو من هذه الناحية يعد أرق معاصريه شعرا وأخفهم، فأشعاره تكاد تكون مؤلفة من المعجم اليومى لحياة البغداديين، حتى لقد كانت تغنى، وصارت أمثالا يضربها الناس فى المناسبات، بيد أن سهولة لغته ورقّتها، وقربها من لغة الناس وحياتهم، لم تمنعه من أن يحتفظ فى جمهور شعره بتماسك الأسلوب.

فالبناء الشعرى عنده لا يتداعى، بل تترابط لبناته ترابطا قويا، ويظل بعيدا عن الإسفاف والركاكة والضعف. وقد اشتهر شاعرنا بأن الشعر يتفجر على لسانه تفجرا، وأنه كان يكتب النثر فإذا هو شعر.

فإبراهيم بن العباس أحد الشعراء القلائل، الذين مرنوا مرونة هائلة على استخراج الأنغام الجديدة من قيثارة الشعر العربى.

أما عن المجالات التى دار فيها بشعره - فكان أهمها ولاشك: المجال الغيرى خاصة المديح. فالرجل لم يستطع أن يخرج عن تيار عصره السائد، ولا عن مسار الشعراء، فالمديح فى العصر العباسى - بل وفى كل العصور السابقة واللاحقة - كان وسيلة للتكسب والعيش،

لذلك اتسم بسمة المبالغة، وظهرت عليه أمارات الصناعة اللفظية والتكلف.. ولقد استأثر المديح بالشعراء حتى طغى على كل فنون الشعر العربى الأخرى، فنرى دواوين الشعراء - كأبى نُواس وأبى تمام وغيرهما - معظمها يدور حول المديح.. والقليل منها يصور حياة الشاعر النفسية وتجاربه، وأحيانا يصور مظاهر الحياة والمجتمع فى العصر الذى عاش فيه الشاعر.

ومدائح ابراهيم بن العباس، وإن كانت لونًا من هذا الفن السائد فى العصر كله - إلا أنها لم تكن وسيلة من وسائل عيشه وكسبه. كما أنه اختلف فيها عن مدائح الشعراء الآخرين...

ذلك أن مدائح الشعراء كانت تسير على سُنَنٍ معينة موروثة.. فتبدأ بمقدمات طللية غزلية، وشكوى البعد عن الديار، وحديث عن طول الرحلة، وخواطر للشاعر، وتصورات لآماله وطموحه، ثم يدخل الشاعر إلى المديح وقد ينهى هذه القصائد بحكمه وتأملاته أو غير ذلك من موضوعات..

* أما مدائح ابراهيم بن العباس، فهى ليست قصائد بالمعنى المعروف، ولكنها مقطعات قصيرة يضمن فيها معانيه التى يودّ طرحها وتقديمها للممدوح، بعد أن يصقلها ويركزها، ويحذف ما قد يجده خروجا على مذهبه الفنى، فتظهر فى صورة لامعة، تؤدى معناه مباشرة.. ومن هنا اختلف مجال المديح عنده عن غيره... من ذلك قوله(٧٩):

وَلَكِنّ الجَـوَادَ أَبَـا هِشَـامٍ وَفِىّ العَهْدِ مَأْمُونُ المَغِيبِ
بَطِىٌّ عَنْكَ ما اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الخُطُوبِ
إِذَا أَمر عراك حَمَاكَ مِنْهُ وَعَادَ بِهِ إِلَى عَطَنٍ قَرِيبِ

وقوله فى أخيه عبد الله(٨٠):

ولكنّ عبدَ اللّهِ لما حَوَى الغِنَى وَصَارَ لَهُ مِنْ دُونِ إِخْوَتِهِ مَالُ
رَأَى خِلَّةً مِنْهُم تُسَـدُّ بِمَـالِـهِ فَسَاهَمَهم حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِم الحَالُ

فهذا الشعر وغيره يدل دلالة واضحة على أنه حذف أبياتًا كثيرة، قد لا تهم الممدوح، ولا تخدم معانيه، بل وقد تشتت الإنتباه عن فكرته التى يود إبرازها، لذلك حذف الشاعر مالا يخدم موضوعه.. حتى تصل معانيه خالصة من أى شوائب مركزة، عميقة الأثر والتأثير..

كما أن مقطعات مدائحه قليلة.. وتكاد تكون قاصرة على الناحية الدينية، وصلة الخليفة بسيد الخلق..

وهو إذا كان قد بالغ أحيانا فى هذه المدائح، وظهرت فيها إشارات تكلّف، فما ذلك إلّا لأنه

(٧٩) انظر قافية الباء فى الديوان.
(٨٠) انظر قافية اللام فى الديوان.

عاش فى عصر فحول الشعراء العباسيين، فكان لابد أن ينتهج نهجهم وأن يجاريهم فى فنهم - ومع ذلك يمكن القول.. إن مدائحه خَلَت من الصدق العاطفى، والعمق والنفاذ، والإقتناع بما ينظم أو يقول.. ذلك أنه كان شيعيا، والشيعة العلويون كانوا يحقدون على العباسيين.. ولكنه كان من المحتم عليه أن يجارى خلفاء بنى العباس، وأن يُظهر غير ما يُضمر.

* أما الصدق العاطفى الحقيقى.. فقد ظهر بوضوح وجلاء فى تلك الأبيات القليلة التى مدح بِهَا الإمام الشيعى على بن الرضا حين بُويع بولاية العهد، فقد ظهر تأثره ومدى انفعاله، وعمقه فى القول.. وظهر شعره صادقًا..

ولاشك أننا نلمح فى مجاله الغيرى - خاصة فى الرثاء والهجاء - عناصر نفسية كثيرة للرجل نفسه، تعبر عن مدى صدقه من ناحية، وعمقه واقتناعه وتأثره من ناحية أخرى... فقد كان هذان العنصران - الرثاء والهجاء - مرتبطين ارتباطا وثيقا بالصراع الداخلى فى أعماقه. ومن هنا لم يدخلها التكلف أو المبالغة..

فكان فى رثائه وكأنه يرثى نفسه، ويبكى حاله وحرمانه من الضَّنَى، ومن الأصدقاء الأوفياء.

وكان فى هجائه عنيفا قويا - حيث لم تنفع معاتباته واعتذاراته - فانقلب وكأنه صياد ماهر يوجِّه سِهَام هجائه لتصل إلى أحشاء فريسته فتصيب منها المقتل...

ومن هنا كان هذان العنصران - من المجال الغيرى - يرتبطان كثيرا بالمجال الذاتى، ويتداخلان معه.. لأنهما يتصلان بأحاسيس الرجل.

٥ - شعره فى ضوء النقد القديم

برز لنا إبراهيم بن العباس علما من أعلام الشعر العربى فى عصره..

بَرَزَ لنا كشاعر فحل، عاش عصر ازدهار الشعر والثقافة.. فى أزهى عصور الدولة العباسية... شاعر توسل بالشعر فى التعبير عن ذاته، وعن غيره، وعن الإنسانية جمعاء.. فكان شعره - بحق - صادقا قويا، عميقا موحيا..

فإذا كان إبراهيم شاعرًا، وهذه هى بضاعته.. وهذا هو فنه ونتاج قريحته بكل مقوماته وخصائصه...

* فما هو موقف النقاد القدامى من الشاعر ومن الشعر جميعا؟

* وما هو موقف النقد السائد فى العصر من هذا الشعر؟

لم يتناول النقاد القدامى شعر الرجل. بل لم يحاول أحد من معاصريه، أو التاليين أن يجمع ديوانه. أو قصائده المفرقة، التى قيلت فى مختلف المناسبات، وفى شتى الأغراض، إنما الذى جمع ما تبقى من شعره هو حفيد أخيه «أبو بكر الصولى»(٨١).. غير أننا وجدنا بعض المقطعات والأبيات بين ثنايا كتب الأدب والتاريخ والتراجم، أوردها أصحابها للاستشهاد بها على قريحته الشعرية، ومذهبه فى الفن.

والسؤال الآن.. لماذا لم يتناول نقاد عصره شعرَه بالدرس والتمحيص، لتبيين مواطن الجمال أو الضعف فيه؟

- ربما منعهم من ذلك - أن إبراهيم بن العباس لم يكن شاعرًا جوالا محترفا، يجول على ممدوحيه - خلفاء ووزراء - يقدم لهم مدائحه، ويقدمون له عطاياهم وهباتهم، بل كان أحد عُمَّال الدولة الكبار الذين لهم رواتب ثابتة، تغنيهم عن احتراف مهنة أخرى.

- أو ربما منعهم من ذلك - أنه لم يكن شاعرًا مُكْثِرًا...

- أو ربما منعهم أيضًا.. أن الشاعر كان ينقدُ نفسه بنفسه - على ضوء مقاييسهم التى تواضعوا عليها.. فما أعجبه ووافق أصولهم أثبته، وما لم يرض عنه وخرج عن الموروث أسقطه..

ومع كل هذا وذاك - فإننا نجد بعض اللمحات النقدية الخفيفة، التى تمس جوانب فنه وشاعريته، التى سجلها بعض النقاد وبعض الشعراء عن الشعر والشاعر معا.

---

(٨١) نسخة الديوان الأصلية مخطوطة فى مكتبة وهبه أفندى تحت رقم ١٧٤٤ باستنبول.

من هذه اللمحات.. قول ثعلب - أحد أئمة النقد فى عصره، والذى لم يرو شعر كاتب قط - «كان إبراهيمُ بن العباسِ أشعَرَ المُحْدَثين». وقوله «مَا رَأَيْتُ مِثْلَه وَلاَ أكْمَلَ منه» وكان يستحسن كثيرا قوله:

لَنَا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بِهَا الفَضَا ... وَيَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
فَمَنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا ... وَمَنْ دُونِنَا أَنْ تُستباح دِمَاؤُهَا
حِمىً وَقِرَىً فالمَوْتُ دُونَ مرامِها ... وأَيْسَرُ خَطْبٍ يَوْمَ حَقٍّ فَنَاؤُهَا

ويقول: واللّهِ لَوْ كَانَ هَذَا لِبَعْضِ الأوائِلِ لأَسْتُجِيد لَه»[٨٢].

ويعترف ثعلب بأنه لم يُمْلِ شعرَ مُحْدَثٍ سِوَاه، لأَنَّ فِى شِعْرِهِ أَلْفَاظًا مُشْبِهَةً أَلْفَاظَ الأَوَائِلِ.

كما كان الأخفش - النحوى الكبير - يستجيد شعره ويفضله[٨٣] - خاصة قوله:

أَمِيلُ مَعَ الذِّمَامِ عَلَى ابنِ أُمِّى ... وَآخُذُ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَإِنْ أَلْفَيْتَنِى حُرًّا مُطَاعًا ... فَإِنَّكَ وَاجِدِى عَبْدَ الصَّدِيقِ
أُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْرُوفِى وَمَنِّى ... وأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِى والحُقُوقِ

أما أبو هلال العسكرى، فقد انتقى بعض مقطوعاته، وضمنها ديوان المعانى.. قائلا ومن المديح البارع قوله:

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجْتَهُ ... وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَرَا
يَعْرِفُ الأَبْعَدَ إِنْ أَثْرَى وَلاَ ... يَعْرِفُ الأَدْنَى إِذَا ما افْتَقَرَا

وقال «وقد أَحْسَنَ فى قوله»:

إِمَّا تَرَيْنِى أَمَامَ القَوْمِ مُتَّبِعًا ... فَقَدْ أُرَى فِى وَرَاءِ اللَّيْلِ أَتْبَعُ
يَوْمًا أبِيحُ فَلاَ أُرْعِى عَلَى نَشَبٍ ... وأَسْتَبِيحُ فَلاَ أُبْقِى وَلاَ أَدَعُ
لاَ تَسْأَلِى القَوْمَ عَنْ حَىِّ صَحِبْتُهم ... مَاذَا صَنَعْتُ وَمَاذَا أَهْلُهُ صَنَعُوا

وبعد أن يورد العسكرى بعض أبياته يقول: وهذِهِ الأَبْيَاتُ وإِنْ كَانَتْ مشهورة، فإن لإيرَادِهَا هَاهنا معنىً كبيرًا، ذلك أنى لستُ أَجِدُ خَيْرًا منها فِى مَعْنَاهَا وَأَجْوَد.

- كما ذكر المرزبانى فى موشحه أبياته التى يقول فى مقدمتها:

---

(٨٢) الأغانى ١٠/٥٩.
(٨٣) الأغانى ١٠/٤٧.

وَلَمّـا رأيتُـكَ لاَ فَـاسِقًا ... تُهـابُ وَلاَ أَنْتَ بـالـزَّاهِـدِ

....

ثم قال.. وهى أبيات مشهورة أوردتها لأنى لستُ أجد مثلها فى معناها، وقد أحسن التصرف، فما قاربه فى معانيها أحد..

* وقال المسعودى[٨٤].. «لا يُعْلَم فيمن تقدَّمَ وتأخر من الكُتَّابِ أَشْعَرُ منه».

ومما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل الأدب أحد فى زمانه قوله

لَنَا إبِلٌ كومٌ يَضِيقُ بها الفَضَا ....

* وهو فى نظر ابن خلكان «أَشْعَرُ نُظَرَائِهِ الكُتَّابِ، وأَرَقُّهُمْ لِسَانًا»[٨٥]

* أما ياقوت، فقد ذكر لنا أن القوم كانوا يتدارسون شعره، ليستخلصوا مواطن الجمال أو القبح.. مواطن الطبع أو الصنعة، ليستشفوا ما وراء فنه من جمال التعبير «تحدث أبو نصر الزجاج قال:[٨٦] كنت جالسا مع أبى الفرج الأصبهانى فى دكان فى سوق الورَّاقين، وكان أبو الحُسين على بن يوسف بن البقال الشاعر، جالسًا عند أبى الفتح بن الحراز الوراق، وهو ينشد أبيات ابراهيم بن العباس الصولى التى يقول فيها:

رَأى خُلَّتِى من حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فكانتْ قَذَى[٨٧] عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

فلما بلغ إليه استحسنه وكرَّره ورآه أبو الفرج فقال: قُمْ إليه فَقُل له: قد أسرفت فى استحسان هذا البيت، وهو كذاك، فأين موضِعُ الصنعةِ فيه، فقلت له ذلك، فقال قولُه: «وكانت قَذَى عينيه» فعُدْتُ إليه وعَرَّفْتُهُ، فقال: عُدْ إليه فقل له: أخطأت، الصنعة فى قوله: «من حَيْثُ يَخْفَى مكانها».

قال.. وقد أصاب كل واحد منها حاقَّةً من الغرض، فإن الموضعين معا غاية فى الحسن، وإن كان ما ذهب إليه أبو الفرج الأصفهانى أحسن».

* فإذا كان هذا هو موقف النقاد القدامى منه ومن شعره...

* فما هو موقف النقد القديم من الشعر عامة.. وما هو موقفه من شعر الرجل خاصة؟ أو قل ما قيمة شعر إبراهيم بن العباس فى ضوء النقد القديم؟..

وما قيمة إبراهيم بن العباس كشاعر فى الأدب العربى؟..

---

(٨٤) مروج الذهب ٢٣٧/٧.

(٨٥) وفيات الأعيان ٢٥/١.

(٨٦) معجم الأدباء ١١٢/١٣ (الخلة: الحاجة والفقر).

(٨٧) القذى: ما يقع فى العين من تراب ونحوه.

* النقاد القدامى – فى العصر العباسى – وقفوا عند شعر المناسبات، وكان معظم الشعر فى ذلك الوقت يكاد يكون مقصورًا ووقفا عليها...

فإذا كان الشعر كذلك.. فلابد وأن يكتمل فيه المثل العليا التى يريدونها، جزالة اللفظ ومتانته، تخيّر الكلمات، وأن يشتمل أساسًا على روعة التعليل، وسمو التخييل، ودقّة الطباق، وجمال الجناس، وسحر الاستعارة والكناية والتشبيه، وبلاغة التقسيم والمقابلة والتورية... إلى آخر هذه المقاييس التى تواضعوا عليها.

واشترط النقاد القدامى على الشعراء.. ألا يتعمدوا التعقيد فى العبارة، أو مخالفة القياس، أو الجنوح نحو الشاذ والغريب لإظهار علمهم وثقافتهم من ناحية، أو لتحديهم العلماء واللغويين من ناحية أخرى.. وفوق ذلك.. طلبوا من الشاعر أن يسلك سبيلا معينًا مستويًا فى استعاراته وتشبيهاته، فلا يسرف فى الصنعة حتى لا يتعرض للركاكة أو الضعف.. وأن يكون الشاعر مقتدرًا على اللغة متمثلاً التراث العربى فى كل عصوره وصوره، لا يجد مشقة فى الأوزان ولا فى وضع القوافى، وأن يكون مستوفيا لشرائط المديح والرثاء، من ناحية إيراده المعانى الضخمة، والمثل العليا فى الممدوحين والمرثيين على السواء..

كما وقف أكثر النقاد – خصوصا اللغويون منهم – يدافعون عن أصول الشعر القديم المتوارث، وتسقط كل شعر مستحدث، ولم تكن لترو منه إلاَّ ما إتصل بالتقاليد والمثل والقيم العربية العليا...

كذلك نرى بعض النقاد لا يمانعون أو يمنعون مناقشة شعر المُحْدَثين، وتداوله، وتناوله بالنقد والتحليل، بل نجدهم يوازنون فى دقة وتؤده بين أسلوب القدماء، وأسلوب المحدثين، وبين أغراض الشعر القديمة وموضوعاته وبين الأغراض والموضوعات المستحدثة، وبين معانى وصور القدماء ومعانى وصور ورؤى المحدثين..

وخلصوا من ذلك إلى أن الشعر المُحْدَث، لم يخرج فى معظمه عن الأسلوب القديم الجزل الرصين، إلّا بقدر تأثر الشعراء أنفسهم بالحضارة، وأكدوا أن أسلوب القدماء المتوارث – بكل سماته وخصائصه – يمكنه أن يتسع لجنبات الفكر العباسى الحديث ورؤى الشعراء المجددين..

- فإذا كان هذا باختصار موقف النقد والنقاد فى العصر...
- فما قيمة شعر إبراهيم بن العباس فى ضوء هذا النقد؟.
- وما قيمته كشاعر أمام هؤلاء النقاد؟

الحقيقة – أن ابراهيم بن العباس أرضى كثرة النقاد القدماء... فهو شاعر ينحو فى معظم شعره إلى الجزالة القديمة، وضخامة البناء وروعته، يعرف كيف يختار كلماته، وكيف يَصُوغ معانيه، لا يجد مشقّة فى الأوزان، ولا فى اختيار القوافى، اكتملت لديه نماذج الشعر العربى فى مثله

العليا، فشعره مستوفٍ لشرائط المديح والرثاء من ناحية إيراده المعانى الضخمة والمثل العليا فى ممدوحيه ومرثييه على السواء، كان - ولا شك - يسيطر على لغته، ويتمثّل التراث العربى، فى كل صوره وجُلّ معانيه وأغراضه تراثا واضحا جليا، واستطاع أن يصوغ الكثير من المعانى الجميلة، فيجيئ بالجديد أو ما يشبه الجديد..

فهو لم يسرف فى الصنعة إسراف أبى تمام مثلا، ولم يتعرض للركاكة أو الضعف شأن غيره من الشعراء.. بل كان يقول الشعر، ثم يختاره، ويسقط رَذْله، ثم يسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسْبَق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يَدَعْ منها إلاّ بيتاً أَوْ بيتين(٨٨)» مطبقا على نفسه مبدأ النقد الذاتى... فما أعجبه سجله وذكره، وما لم يعجبه حذفه وستره.. ومن هنا جاء شعره مصقولا، ناصعا، تظهر فيه علامات الذكاء.. والإتكاء على النفس والجهد الفنى فى إخراج هذا الشعر، كما تظهر فيه الصور والأخيلة الدقيقة التى تعكس طرائف الفكر العباسى، ودقائق المعانى..

* يقول أبو بكر الصولى(٨٩): «سمعت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يُعْلَم لِقَدِيمٍ وَلاَ مُحْدَثٍ - فى قِصَر الليل - أحسن من قول إبراهيم بن العباس

وَلَيْلَةٍ مِنْ اللَّيَالِى الزُّهْـرِ ... قَابَلْتُ فِيهَا بَـدْرَها بِبَـدْرِ
لَمْ تَكُ غَيرَ شَفَقٍ وفَجْرِ ... حَتَّى تَوَلَّت وَهِى بِكْر الدَّهْرِ

* ويقول أبو الغوث يحيى بن البحترى(٩٠): رأيتُ أبى يُذاكر جماعة من شعراء الشام بمعانٍ من الشعر، فمرّ فيها قِلَّة نَوْم العاشق، وما قيل فى ذلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبى: فرغ من هذا كاتب العراق إبراهيم بن العباس فقال:

أَحْسَبُ النَّومَ حِكَـاكَـا ... إذْ رَأى مِنْـكَ جَفَـاكَـا
مِنِّى الصُّبْـرُ وَمِنْـكَ الـ ... هَجْرُ فابْلُغْ بى مَـدَاكَا
كـذبـتْ هِـمَّـةُ عَيْـنٍ ... طَمِعَتْ فِى أَنْ تَـرَاكَـا
أَىُّ مـا حَظٍّ لِـعَـيْـنٍ ... أَنْ تَـرى مَا قَدْ رَآكَـا
لَيْتَ حَظِّى مِنْكَ أَنْ تَعْـ ... ـلَمَ مَا بِى مِنْ هَوَاكَـا

وإبراهيم بن العباس لكونه وعى التراث الشعرى للقدماء والمحدثين وهضمه - استطاع أن يخرجه أدبا حيا جديدًا، رائعا فى فكرته روعته فى مادته وصياغته، مطلقا الشعر من قيوده

---

(٨٨) الأغانى ٤٤/١٠

(٨٩) الأغانى ٦١/١٠

(٩٠) أخبار البحترى - للصولى ص ١٧٣

التى كبّله بها أبو تمام وغيره، خارجا على هذه الأساليب من حيث الغموض والإبهام.. ولم يتكلف بالقيود الصناعية.. بل كان يؤثر تجويد معانيه مع تسهيل عباراته..

وهو بلاشك قد أرْضَى نفسه أولا كشاعر... وأرضى القدماء أيضًا، فلم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى نقده أو تجريحه..

وهكذا استطاع إبراهيم أن يصعد بفنه وأدبه إلى منزلة رفيعة، ومرتبة عالية فى بيئته ومجتمعه، فسار بفنه محتذيًا حذو القدامى فى البلاغة والشاعرية والأسلوب، مجاريا المحدثين فى تجديدهم دون خروج على التراث الشعرى الموروث.

٦ - شعر إبراهيم بن العباس
فى
ضوء النقد الحديث

إذا كان هذا هو موقف النقد القديم والنقاد القدامى من الرجل وشعره..

* فما هو موقف النقد الحديث من هذا الشعر؟
* وما قيمة شعر الرجل فى ضوء هذا النقد؟

- النقاد المحدثون، وشعراء الجيل الحاضر، أنكروا على الشعر العربى القديم وقوفه عند المناسبات، وأنكروا على الشعراء القدامى أن تكون لهم نماذج ثابتة، يتداولونها دون أن تمت إلى إحساس صادق، وعاطفة صادقة، واشترطوا أن يكون الصدق العاطفي أساسا لكلِّ نموذج فذ، أى أن يكون الشعراء قد عاشوا وأحسوا التجربة الإنسانية فعلا فى حياتهم..

وأنكر النقاد المحدثون أيضًا وقوف الشعراء عند المظاهر الخارجية للحياة دون التعمق فى الظواهر الداخلية للإنسان، كما أنكروا غلبة النزعة العقلية أو الفلسفية على الشعر أكثر من المشاعر الإنسانية، والأسرار الخفية فى قلب الإنسان.

ويرى النقاد المحدثون أن تعبير الشاعر ليس مجرد الوصف أو الوقوف عند السطح ولكن ينبغى أن يكون الشاعر ذا موهبة، وصاحب حساسية تنفذ وتتعمق فى ذات نفسه، تعمّقًا يخرج شعرًا مؤثرًا موحيا قادرًا على أن يشترك فى الشعور به أناس كثيرون.

* وقالوا أيضا.. إن هناك فرقا بين النثر والشعر فى هذا.. فإذا كانت مهمة الشاعر نظم الكلام بالاعتماد على الحجة والمنطق والمقدمات التى تفضى إلى نتائج، فلا يكون فى ذلك إلّا ناثرا حتى ولو كان كلامه منظومًا مقفى.

* ونقاد الشعر المحدثون يرون أن الشاعر يجب ألا يقف عند الجزئيات، ولكن يجب أن يكون له موقف فى الحياة، تتجمع فيه هذه الجزئيات..

كما أنهم يطالبون الشاعر بنوع من العمق والنفاذ، والاقتدار على التعبير، وعلى تصوير النفس الإنسانية عامة، وعلى تحديد موقفه من الحياة خاصة، ليكون شعره بذلك فنًا خالدًا، يلقى فيه كل جيل لاحق، ما يعبر عن بعض جوانب نفسه، فضلا عن أنه ينبغى عليه أن يكون مقتدرًا على اللغة التى ينظم فيها، مقتدرًا على تطويع أوزانه وقوافيه، موفقا فى اختيار ألفاظه وتراكيب جمله، وألا تختفى شخصيته فيما ينظمه من شعر، وأن يطلق نفسه وفنه من

كل قيد لا يتلاءم مع شعوره ووجدانه، وإلهامه الشعرى، وذوقه الفنى الحساس.

ويرى النقاد المحدثون أيضا.. أن ديوان الشاعر لابد وأن يكون سجلا حافلا لحياته الشخصية، يستطيع الباحث أن يتتبع حياة الشاعر الظاهرية والباطنية، مع تتبع شعره، فيكون هذا الشعر معبرًا عن حالاته النفسية فى جميع خلجاتها وانفعالاتها.

هذا - باختصار - هو موقف النقد الحديث، والنقاد المحدثين من الشعر والشعراء وهذه هى آراؤهم..

فهل يمكن أن نطبق نظرياتهم وآراءهم هذه على شعر الرجل؟

* شعر ابراهيم بن العباس - فى ضوء النقد الحديث - لاشك ستسقط منه أجزاء كثيرة، ومقطعات عديدة، إذا حكمنا مقاييس هذا النقد ومفهوم الشعر - تبعا لآراء النقاد المحدثين - عليه..

ومع ذلك فسيبقى فى ديوانه عدد من الموضوعات تستقيم مع ضوء النقد الحديث لمفهوم الشعر، خاصة تلك الموضوعات التى تتصل بالعاطفة، وبالنفس الإنسانية وبنظراته فى الحياة وتأملاته، وفى تعبيره عن خلجات نفسه، وشكواه من الزمن. علاوة على أن شعره - وللأسف ليس بالكثير فقد حذف أكثره، وأحرق بعضه - يكاد يكون سجلا لحياته الشخصية فى جميع مراحلها، ومتنفسًا لعواطفه وآلامه، وطموحه وآماله، وما لقيه فى حياته.. وما صادفه من مشكلات، كما يصور مراحل الصراع النفسى التى عاناها، ومعارك التلاحم والتناحر بينه وبين خصومه وأعدائه، ويعكس مدى الفجيعة التى تجرعها حين فقد ولديه..

فنحن نستطيع أن نتتبع حياة الرجل الظاهرية والباطنية - أو كما يقول علماء النفس: «تطور الخط النفْسى لنفسيّة الرجل» - مع تتبع شعره حسب أحداث حياته، وحسب الظروف التى عاشها ومرّ بها.

هذا مع أن أكثر الشعراء العرب لا نستطيع أن نتعرف على حياتهم الشخصية أو حالاتهم النفسية من خلال دواوينهم، لأنها ليست مرتبه حسب السنين أو المناسبات، بعكس إبراهيم بن العباس، فإنه لأصالته وعراقته وغلبة إحساسه بكيان نفسه وشاعريته، كان يأبى - فى شعره - إلَّا أن يعبر عن حالاته النفسية، بكل صورها ودقائقها وانفعالاتها وعواطفها مصورًا كل ذلك شعرا. وهو لم يستطع أن يكتم عواطفه حين أحس بالاضطهاد والمؤامرات تحاك ضده، وحين أحس بوشى الوشاة، وحقد الحاقدين ودسِّهم له عند الخلفاء.. ولم يستطع أن يكْبِت انفعالاته - حين حاول الوزير ابن الزيات هدمه - فمضى يترجمها عتابا مرة كقوله[٩١]:

---

(٩١) الطرائف ١٤٥ ص ١٦٧

يَا صَدِيقِى بالأَمْسِ صِرْتَ عَدُوًّا   سُؤْتَنِى ظَالِمًا وَلَمْ تَرَسُوًّا
صِرْتَ تُغْرِى بِى الهُمُومَ وَقَدْ كُنْـ   تَ لِقَلْبِى مِنَ الهُمُومِ سُلُوًّا
أىُّ وَاشٍ وَشَى وَأَىّ عَـدُوٌّ   دَبَّ حَتّى نَبوْتَ عَنّى نُبُوًّا
كُلَّمَا ازْدَدْتُ صِحّةً فِى الوُدِّ   تَزَيّدتَ نَبْوَةً وَعُتُوًّا

* واعتذارًا أخرى كقوله(٩٢):

دَعْنِى أُوَاصِلُ مَنْ قَطَعْـ   ـتُ يَرَاكَ بِى إِذْ لَا يَرَاكَا
إِنّى مِتَى أُهْجُر لَهَجْـ   ـرِكَ لَا أُضُرُّ بِهِ سِوَاكَا
وَإِذَا قَطَعْتُكَ فِى أَخِيـ   ـكَ قَطَعْتَ فِيكَ غَدًا أَخَاكَا
حَتّى أَرَى مُتَقَسّمًا   يَوْمِى لِذَا وَغَدِى لِذَاكَا

وهجاء ثالثة كقوله(٩٣):

مَنْ يَشْتَرِى مِنّى إِخَاءَ مُحَمّدٍ   أَمْ مَنْ يُرِيدُ إِخَاءَهُ مَجّانَا
أَمْ مَنْ يَخْلُص مِنْ إِخَاءِ مُحَمّدٍ   وَلَهُ مُنَاهُ كَائِنًا مَا كَانَا

من ذلك كله - وغيره من الموضوعات التى تناولها كان شعره ينطوى على ثروة نفسية كبيرة. خاصة حين عرض مشاكله الخاصة، فلم يكن بمستطيع أن يضع على وجهه طلاء كثيفا يخفى حقيقته أو يحجب حقيقه وجهه كما يفعل الشعراء الآخرون.

هذا علاوة على أن ابراهيم بن العباس - وإن كان قد نظم الشعر، فصار من ألمع شعراء عصره.. إلّا أنه لم يحترفه، ولم يطف به على من لا يستحقه، بغية الكسب، إنما كان ينظم الشعر تقديرًا للخلفاء والأمراء والوزراء، وتصويرا لمكانتهم، وتعبيرا عن حبه واحترامه وتقديره لهم..

وأيضًا مشاركة منه فى الحياة الأدبية الفنية التى زخر بها عصره، ليثبت أنه قادر على أن يخوض مضمار الشعر - كما خاض مضمار النثر، وأن يدلى بدلوه مثل غيره من الشعراء بل ويتفوق عليهم أيضا..

فإبراهيم بن العباس لم يتخذ الشعر وسيلة للكسب، بل لعل الشعر كان أحد هواياته، يزاوله فى المناسبات، وحسب الظروف، ويترجم أحاسيسه ومشاعره أبياتا ومقطعات يبارى بها أقرانه ومعاصريه.. يرتجله ارتجالا..

---

(٩٢) الطرائف ١٢٦ ص ١٦٢
(٩٣) الطرائف ١٤٠ ص ١٦٥

فحين جافته محبوبته.. قال[٩٤]:

وَعَلَّمْتِنِى كَيْفَ الهَوَى وجَهِلْتِهِ ... وَعَلَّمَكُمْ صَبْرِى عَلَى ظُلْمِكُم ظُلْمِى
وأَعْلَمَ مَالِى عِنْدَكُمْ فَيَرُدُّنِى ... هَوَاىَ إلَى جَهْلٍ فأقصر عَنْ عِلْمِى

وحين جاءه خطاب أبى أيوب، فضّل أن يكون ردّه شعرًا فقال[٩٥]

أبـدًا مُـعْـتَـذِرٌ لا يُـعْـذَرُ ... وَرُكُـوبٌ لِلَّتِـى لَا تُـغْـفَـرُ
ومُـلَقّـى بِـمَـسَـاوٍ كُـلّهـا ... مِنْـهُ تَبْـدُو وَإِلَيْـهِ تَصْـدُرُ
هِىَ مِنْ كُـلِّ الوَرَى مُنْكَـرَةٌ ... وَهِىَ مِنْـهُ وَحْـدَه لَا تُنْكَـرُ

وحين أمر عامله - الحسن بن مخلد - بأمر وأبطأ فيه ارتجل قوله[٩٦]

مُعْجِبٌ عِنْـد نَفْسِـهِ ... وهُـوَ لِى غيـرُ مُعْجِبِ
إنْ أَقُـلْ لَا يقُـلْ نَعَمْ ... عَـاتِبٌ غيـرُ مُـعْـتِـبِ
مُـولَـعٌ بـالخلافِ لِى ... عَـامِـدًا والـتـجـنـبِ
قلتُ فيـهِ بِضِـدِّ مَـا ... قِيـلَ فِـى أُمِّ جُـنْـدُبِ

وإبراهيم بن العباس - كما قلت سابقا - لم يكن يعتد بكثرة الشعر بقدر ما كان ينظم الشعر تلميحا بمقطعات قصيرة تؤدى مقصده مباشرة، دون التقيد بمنهج الشعراء المعاصرين، فنراه يخرج على السنن الموروثة - فى شعر المناسبات - فلا يجهد نفسه فى مقدمات طللية أو غزلية، بل كان يباشر مديحه أو غزله لتوصيل ما يريد من معان ورؤى فى مقطعات قصار.. فكانت هذه المقطعات هى الشكل العام والطابع المميز لديوان الرجل.

ومن الحق أن نقول.. لو أن الرجل ترك العنان لنفسه، وأعمل قريحته، وخاض بشعره شتى المناحى، دون أن يسقط منه شيئًا، لأخرج لنا الكثير من الشعر الإنسانى المصوّر لدخائل النفس البشرية، بكل خواطرها وأحاسيسها، وما يجيش فيها من إنفعالات، وما يعتمل فيها من وجدانات، ولبرز للناس شاعر كبير فى فنه، كبير فى صدقه، كبير فى تصويره وإيحائه... ولذ خرت المكتبة العربية بديوان كبير حافل، يوضع إلى جوار دواوين فحول شعراء عصره.

---

(٩٤) الأغانى ٦٠/١٠

(٩٥) الأغانى ٤٧/١٠

(٩٦) الأغانى ٥٥/١٠

ديوان إبراهيم بن العبَّاس

قافية الهمزة

١

● قال إبراهيم بن العباس[١]

وَإِذَا امْـرُؤٌ كَـنَفَتْ بِـهِ آبَـاؤُهُ ... كَنَفَتْـكَ واكْتَـنَفَتْ بِـكَ الآبَـاءُ
وَوَضَعْتَ نَفْسَكَ مِنْ قديم فعَالِهِم ... ومَنَـاقِبٍ لَـكَ حَيْثُ شِئْتَ وشَاءُوا

● وقال إبراهيم بن العباس[٢]:

لَنَـا إِبِلٌ كَـوْمٌ يَضِيق بِهَا الفَضَـا ... ويَفْتَـرُّ عَنْهَا أَرْضُهَـا وسَمَاؤُهَـا
فَمِنْ دُونِهَـا أَنْ تُسْتَبَـاح دِمَـاؤُنَـا ... ومِنْ دُونِنَـا أَنْ تُسْتَبَـاح دِمَـاؤُهَـا
حِمىً وَقِرىً فالموتُ دُون مَرَاحِهَـا ... وأَيْسَـرُ خَـطْبٍ يـوم حَقَّ فَنَـاؤُهَـا

● وقال إبراهيم بن العباس[٣]

يَـاصَـدِيقِى الّـذِى بَـذَلْتُ لـه الـوُ ... دَّ وأَنْـزَلْتُـه عـلى أَحْـشَـائِـى
إِنْ عَـيْنًـا قَـذَيْتُـهـا لِتُـرَاعِـيـ ... ـكَ عَـلَى مـا بهـا مـن الأَقْـذَاءِ
مَـابِـهَـا حَـاجَـةٌ إِلَيْـكَ وَلَـكِنْ ... هِيَ مَعْـقُـودَةٌ بِحَبْـلِ الـوَفَـاءِ

● وقال إبراهيم بن العباس[٤]:

أَقْبَلْنَ يَكْنُفْن مِثْلَ الشَّمْسِ طَالِعَةً ... قَـدْ حَسَّنَ اللّهُ أُولاَهَـا وأُخْـرَاهَـا
مـا كُنْتِ فِيهِنَّ إِلاّ كُنتِ واسطةً ... وكُنَّ حَـوْلَـكِ يُمْنَـاهَـا ويُسْـرَاهَـا

---

(١) لم يرد هذا البيتان إلّا فى ديوان إبراهيم بن العباس الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى مدح الخليفة المتوكل على الله (حكم ٢٣٢ - ٢٤٣ هـ) وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١ ص ١٢٧.

(٢) وردت هذه المقطوعة فى الأغانى ٥٩/١٠، معجم الأدباء ٢٦٨/١، المرتضى ١٦١/٢، الحصرى ١٥٥/٤، الراغب ٣٨٣/٢، المروج (عصر المتوكل) نزهة الجليس ٣٦٨/٢، شرح نهج البلاغة ٣٨٧/٤، وهى فى الطرائف الأدبية ص ١٥٣ المقطوعة ٩٢. والبيت الثالث يروى (دون مرامها) فى الأغانى وفى شرح نهج البلاغة والكوم: الإبل الضخمة العظيمة السنام.

(٣) لم ترد هذه المقطوعة فى الديوان الأصلى الذى جمعه أبو بكر الصولى، ولكن وردت فى العقد الفريد ٣٤٠/١، ووضعت فى ذيل الديوان فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٨٣ ص ١٨٢. [قذيتها: أى ألقيت فيها القذى]

(٤) ورد هذان البيتان فى الأغانى ٤٨/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٥/١ وفيهما (يحففن مثل) فى البيت الأول، (وكُنّ دُونك) فى البيت الثانى. وهما فى الغزل، راجع مناسبتها فى الأغانى. وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٩ ص ١٣٨.

● وقال[٥]:

هَوىً وَغَلَتْ بِهِ الأَحْشَاءُ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ مَدَاهَا
جَرَى وَالمَاءُ فِى سَنَنٍ فَلَمَّا انْـ تَهَتْ بِالمَاءِ غَايَتُهُ طَوَاهَا
فَحَلَّ بِحَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَمْ تَحْلُلْ بِهِ أُنْثَى سِوَاهَا

(٥) لم ترد هذه المقطوعة إلا فى ديوان الرجل، الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٤٠ ص ١٣٩.

قافية البَّاء

● قال إبراهيم بن العباس[٦]

فَعَلْتَ فَـأَثْنَـوا شَـاكِـرِينَ لِمُنْعِمٍ فَعُـدْتَ فَعَادُوا بِـالَّتِى لَـكَ أَوْجَبُ
فَـأَىُّ فِعَـالٍ مثـل فِعْلِكَ وَاحِـدٌ وأَىُّ ثَنَـاءٍ مِنْ ثَـنَـائِـكَ أَطْيَـبُ
وأَيُّـهُـم أَمْـلَى بِـنَـفْسٍ كَـرِيـمَـةٍ يَـرُدُّ عليها مثـلَ بَيْتِـكَ مَنْصِبُ

● وقال أيضًا[٧]:

بَـرَزْنَ فَـلاَ ذو اللُّبِّ أَبْقَيْنَ لُبَّـهُ عَلَيْـهِ وَلَمْ يَفْضَـحْ بِهِنَّ مُـرِيـبُ
فَـلاَكَعُيُـونٍ يَـوْمٍ ذَلِـكَ أَعْـيُنَ وَلاَ كَـقُـلُوبٍ يَـوْمٍ ذَاكَ قُـلوبُ

● وقال أيضًا[٨]:

إِذَا أَنْتَ لم تُمْلِلْ أَخَـاكَ بِقَلْبِـهِ وَخَـانَتْـكَ أَمَـالٌ لـه وَمَـطَالِبُ
غَـدَوْتَ بـهِ مُـرَّ الـمَذَاقِ وَأَجْلَبَتْ عَلَيْـهِ بهِ فى النَّـائِبَاتِ العَـوَاقبُ

● وقال كذلك[٩]:

إِذَا دَعَـوْتَ أَخَـا يَـزِيـ ـدُكَ عِـنْـدَ نَـائِبَـةٍ تَـنُـوبُ
أَلْـفَـيْـتَـه إِحْـدَى الـخُـطُو بِ إِذَا تَـتَـابَعَـتْ الـخُـطُوبُ

● وقال إبراهيم بن العباس[١٠]:

تَمُرّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِى الغَضَا وَيَصْـدَع قَلْبِى أَنْ يَهُبّ هُبُوبُهَـا

(٦) لم ترد هذه المقطوعة إلاّ فى ديوان إبراهيم بن العباس الذى جمعه الصولى، وقد طبع فى كتاب الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣ ص ١٢٧.

(٧) لم يرد هذان البيتان إلاّ فى ديوان الرجل، الذى طبع فى كتاب الطرائف الأدبية، المقطوعة ٤٤ صفحة ١٤٠ – وهما فى الغزل.

(٨) لم يرد هذا البيتان إلاّ فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وقد وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠٠ ص ١٥٥، وهما من فن المعاتبات.

(٩) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردًا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠٣ ص ١٥٦. والبيتان فى العتاب.

(١٠) وردت هذه القصيدة فى ديوان إبراهيم بن العباس الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى حماسة ابن الشجرى ١٦٩ (الخمسة أبيات الأولى، وفيها (هضبها وكثيبها)، والأبيات الثلاثة الأولى فى معانى العسكرى ٢٧٤/١، المرتضى ١٣٢/٢، والبيتان ١، ٢ فى الصناعتين ٨، والبيت الخامس فى الراغب ٣٧/٢، والمرتضى ١٠/٤.

ويقول صاحب الأغانى: أن هذه الأبيات لمجنون ليلى ٨٥/٢، وعزاها القالى لبعض الأعراب ٩٣/٣ والأبيات ١، ٢، ٦ فى الحماسة البصرية ٣١٨، وفيها (وحسب الليالى) وانظر سمط اللآلى ٤٤ وهى فى الطرائف الأدبية، القطعة ٤٢ صفحة ١٣٩.

قَـرِيبَـةُ عَهْـدٍ بـالحَبِيبِ وَإِنَّمـا ... هَوَى كلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلّ حَبِيبُها
تَـطَلَّع مِنْ نَفْسِي إِلَيْـكَ نَـوَازِعٌ ... عَـوَارِفُ أَنَّ اليَأْسَ مِنْـكَ نَصِيبُهـا
تـوحّش مِنْ لَيْلى الحمىَ وتنكّرتْ ... مَنَـازِلُ لَيْلَى خَيْمُهـا وكَـثِيبُهَـا
وزَالَتْ زَوَالَ الشَّمْسِ عن مُسْتَقِـرِّهَـا ... فمَنْ مُخْبِرِى فِى أىِّ أَرْضٍ غُرُوبُها
بِحَسْبِ اللَّيَالِى أن طَرْحَتْكَ مطرحًا ... بـدارٍ قِلًى تُمسى وأنتَ غَـرِيبُهَـا
حَـلاَلٌ لِـلَيْلَى أَنْ تَـرُوعَ فُـؤَادَه ... بِهَجْـرٍ وَمَغْفُـورٌ لِلَيْلَىَ ذُنُـوبُهـا
إِخَـالُـكَ فِى نَجْـدٍ وَذَاكَ لأَنَّنِى ... أَراحُ إِذَا مَـا الرِّيـحُ هَبَّ هُبُـوبُهَا
وقَـالَ أُناسٌ أُلْهِمِ النَّفْسَ غَيْـرَهـا ... فكَيْفَ ولَيْـلَى دَاؤُهَـا وطَبِـيبُهَـا

● وقال أيضًا(١١):

لكُـلِّ عـدوّ جَـوْلَـةٌ ثُم مَـرْجِـعٌ ... إِلَيْـكَ وَمَنْ تَطْلُبُـه فـاللّهُ طَـالِبُـهْ
ومَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى عَـدُوَّك فَليَقُمْ ... بِبَـابِـكَ تَـرْدُدْه إِلَيْـك عَـوَاقِبُـهْ

● وقال أيضًا(١٢):

أتيتُـكَ شَتَّى الـرَّأْيِ لابسَ حِيرَةٍ ... فَسَـدَّدْتَنِى حَتَّى رَأَيتُ العَـوَاقِبَـا
عَلَى حِينِ أُلْقَى الـرَّأْىَ دُونى حجاجـه ... فجُبْتُ الخُطَوبَ واعْتَسَفْتُ المذَاهِبَا

● وقال إبراهيم بن العباس(١٣)

ومُـؤَمِّـلٍ لِـلنَّـائِـبَـاتِ إذَا ... هَـبَّ الـزَّمَـانُ بِـأَزْمَـةٍ هَـبَّـا
لَـمَّـا رَأَنِـى نَـهْـبَ حَـادِثَـةٍ ... جَعَـلَ الـذَّخَـائِـرَ دُونَهـا نَهْبَـا
أَفْـضَـى إِلىَّ مُـودَّعًـا لَـحْـمِى ... فَحَمَى وجَـاهَـدَ دُونِىَ الخَـطْبَـا
مَـاكَـفَّ حـتَّـى كَـفَّ آخِـرُهُ ... ولَـقَـدْ يكُـونُ بِمِثْـلِهَـا طَبَّـا

● وقال أيضًا(١٤)

مُعـوِّدَتِى الغُفْـرَانَ لِلذَّنْبِ والـرِّضَى ... أَسَأْتُ فقُولِى قَدْ وَهَبْتُ لَكَ الذَّنْبَا

---

(١١) لم يرد هذان البيتان إلا فى ديوانه ولم أجدهما فى أى مصدر آخر. وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٨ ص ١٣٠.

(١٢) لم يرد هذان البيتان إلا فى ديوانه الذى جمعه أبو بكر الصولى. وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة رقم ٢ ص ١٢٧. وهما فى مديح المتوكل على الله.

(١٣) لم ترد هذه المقطوعة إلّا فى ديوان الرجل الذى طبع فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٤ ص ١٢٨ والبيتان ١، ٢ فى معانى العسكرى ١٩٥/٢، وهما فى المديح.

(١٤) لم ترد هذه المقطوعة إلّا فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٤٧ ص ١٤١. وهما فى الغزل.

فَمَا كَانَ مَا بُلِّغْتِ إلَّا تكذُّبًا ... وَلَكِن إقْرَارِى بِهِ يَعْطِفُ القَلْبَا
فَمَا العَيْنُ مِنِّى مُذْ شَخِصْتِ قَرِيرةً ... وَلَا الأَرْضُ أو تَرْضَيْنَ تقبَلُ لِى جَنْبَا

● وقال إبراهيم بن العباس فى استعطاف محمد بن عبد الملك الزيات(١٥):

أَخٌ بَيْنِى وَبَيْنَ الدَّهْـ ... ـرِ صَاحِبُ أَيُّنا غَلَبَا
صَدِيقِى مَا اسْتَقَامَ فَإِنْ ... نَبَا دَهْرٌ عَلَىَّ نَبَا
وَثَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ ... فَعَادَ بِهِ وقَدْ وَثَبَا
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا ... لَعَادَ بِهِ أَخًا حَدِبَا

● وقال إبراهيم بن العباس(١٦):

إنِّى اغْتَرَبْتُ أُرَجِّى أَنْ أَنَالَ غِنًى ... ولَمْ أَكُنْ أَوَّلَ الفِتْيَانِ مُغْتَرِبَا
فَإِنْ رَجِعْتُ ولَمْ أَرْجِعْ بِفَائِدَةٍ ... فَلَسْتُ أَوَّلَ من أَخْطَاهُ مَا طَلَبَا
وكَيْفَ بالرِّزْقِ لِى أَمْ كَيْفَ يَجْلِبُهُ ... سَعْيِى إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ له سَبَبَا
لَوْ شَاءَ رَبِّى أَقَمْنَا فِى مواطِنِنَا ... حَتَّى يَسُوقَ إلَيْنَا رِزْقَنَا جَلَبَا
وَجَاءَ بالرِّزْقِ فى خَفْضٍ وفِى دَعَةٍ ... ولَمْ نُعَالِجْ لَهُ الأَسْفَارَ والتَّعَبَا
مهما رُزِقْنَاهُ مِنْ شىءٍ سَيَطْلُبُنَا ... وَلَا نَطِيقُ لِمَا قَدْ فَاتَنَا طَلَبَا
إِذَا سَلِمْتُ لِعِرضٍ لاأُدَنِّسُهُ ... فما أُبَالِى أَجَاءَ الرِّزْقُ أَمْ ذَهَبَا

وقال أيضًا(١٧):

اخْتَلَجَتْ عَيْنِى فَأَبْصَرْتُه ... كَأَنَّ عَيْنِى تَعْلَمُ الغَيْبَا

وقال إبراهيم بن العباس(١٨):

يُمْضِى الأُمُورَ على بَدَائِهِهِ ... وَتُرِيهِ فِكْرَتُه عَوَاقِبَهَا

---

(١٥) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبوبكر الصولى، وطبع ضمن الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠١ ص ١٥٥، كما وردت فى الأغانى ٥٦/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٣/١، والصداقة لأبى حيان ٧٦، ومجموعة المعانى. وهذه الأبيات وردت بعد رسالة كتبها إبراهيم بن العباس يستعطف الوزير. وهى من فن المعاتبات.

(١٦) وردت هذه الأبيات فى ديوانه الذى جمعه أبو بكر الصولى، وطبع ضمن كتاب الطرائف الأدبية، وهى المقطوعة ١٦٠ ص ١٧١. وقد صنفها الصولى فى فن الزهد، وقال: «وأنشدنى اليزيدى محمد بن موسى لابراهيم.. الأبيات.

(١٧) لم يرد هذا البيت ضمن الديوان الأصلى، ولكن جاء فى محاضرات الراغب ٣٤/٢، وفى سمط اللآلى ٦٥٩، وقد أضيف إلى ذيل الديوان فى الطرائف الأدبية ١٨٤ ص ١٨٣ [واختلاج العين دليل على رؤية المحبوب]

(١٨) وردت هذه القصيدة فى الديوان الأصلى الذى جمعه أبو بكر الصولى، وطبع فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥ ص ١٢٨. كما وردت الأبيات العشرة الأولى فى الأغانى ٦٣/١٠، وفى معجم الأدباء ٢٩٦/١، وفى مجموعة المعانى ١٧ وردت الأبيات ٨، ٩، ١، ٢، وفى النويرى ٧٤/٦ وردت الأبيات ١، ٢، ٨، ٩ يقول الصولى إن هذه الأبيات فى مدح الفضل بن سهل وزير المأمون.

فَـيَـظَلُّ يُصْـدِرُهـا وَيُـورِدُهـا ... فَـيَـعُـمّ حَـاضِـرَهـا وغـائِبَـهَـا
فَـإذَا أَلَـمّتْ صَعْبَـة فَـحَـمَتْ ... مِنهـا المقـادة كَـانَ صَـاحِبَهَـا
المُسْتَقِـلّ بِهـا وَقَـدْ رَسِبَتْ ... ولَـوَتْ عَلَى الأيَّـام طَـالِبَهَـا
سُسْتَ الخِـلافَـة إذْ نُصِّبتَ لَهـا ... فَحَمَيْتَهـا ومَنَعْتَ جَانِبَهَـا
وعَـدَلْتَهَـا بـالحقّ فـاعْتَـدَلَتْ ... وَوَسّـعْتَ رَاغِـبَهَـا وَرَاهِـبَهَـا
عَفْـوًا عممتَ بـهِ جـرائِمَهَـا ... وَنَـدًى وَرِيْتَ بـهِ مَـطَالِبَهَـا
وَإذَا الحُـرُوبُ طغت بعثتَ لَهَـا ... رَأيـا تُـفَـلّ بـه كتَـائِبَهَـا
رأيـا إذَا نَبَت السيـوفُ مَضَى ... عَـزْمٌ بـهِ فَشَفَى مضـارِبَهَـا
أجْـرَى إلَـى فِئَـةٍ بِـدَوْلَتِهَـا ... وأقَـامَ فِـي أُخْـرَى نَـوادِ بَهَـا
وَإذَا الخُـطُوبُ تـأثّلَتْ وَرَسَتْ ... هَـدّت فَـوَاضِـلُهُ نَـوائِـبَهَـا
حَتّى تـكِـرّ صُـرُوفِهـا نِـعَـمـاً ... (...) مَصَـارِعَهَـا مَـضَـارِبَهَـا
وإذَا جَـرَتْ بِـضَـمِـيـرِهِ يَـدُهُ ... أبْـدَتْ لَـهُ الـدُّنْيَـا مَنَـاقِبَهَـا

وقال إبراهيم بن العباس:(١٩)

تَلجُ السُّنُونَ بُيُوتَهم وَتَـرَى لهم ... عَنْ جَـارِ بَيْتِهِم إزْوِرَارَ مَنَـاكِبِ
وَتَـرَاهُـم بِسُيُـوفِهِمْ وشِفَـارِهِـم ... مُسْتَشْـرِفيـنَ لِـرَاغِبٍ أوْ رَاهِـبِ
حَـامِينَ أو قَـارِين حَيْثُ لَقِيتَهم ... نَـهْبَ العُفَـاةِ وَنَـهْـزَةٍ لِلرَّاغِـبِ

● وقال إبراهيم العباس:(٢٠)

وَلَـكِـنّ الـجَـوَادَ أبَـا هِشَـامٍ ... وَفِيُّ العَـهْـدِ مَـأمُـونُ المَغِيبِ
بَطِيءٌ عَنْـكِ مـا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ ... وَطَـلاّعٌ عَلَيْـكَ مَـعَ الخُـطُوبِ
إذَا أمَـرٌ عَـرَاك حَـمَـاكَ مِنْـهُ ... وَعَـادَ بِـهِ إلَى عَـطَنٍ قَـرِيبِ

(١٩) وردت هذه الأبيات فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٦ ص ١٢٩ كما وردت فى معجم الأدباء ١/٢٧، والأغانى ١٠/٦٥، والنويرى ٣/١٩١.
ويروى البيت الأول [عن بيت جارهم مناكب] والبيت الثالث ونزهة للراغب] وهى من المديح.
(٢٠) وردت هذه الأبيات فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٧ ص ١٢٩.
والبيتان ١، ٢ فى معجم الأدباء ١ / ٢٦١، والأغانى ١٠ / ٥٠، ومعانى العسكرى ٢ / ١٩٥، ومجموعة المعانى ٥٦، والمرتضى ١ / ٢٢١، واللآلى ٧٠٩، والأول فى مروج الذهب (عصر المتوكل) والبيت الثانى فى البديع لابن المعتز ٤٣، وهى من فن المديح. وأبو هشام: كنيه أخيه عبد الله الذى وهبه ثلث ماله.

● وقال أيضًا[٢١]:

قَالَتْ بَعُدْتَ فَخُنْتَ فِى الحُبِّ ... وَهَرَبْتَ مِنْ قُرْبِى إلى قُرْبِ
لاَ تَحْفَلِى قَولاً أُتِيتِ بِهِ ... قَلْبِى رَقِيبُكم عَلَى قَلْبِى

● وقال إبراهيم بن العباس[٢٢]:

ومَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوّ وحَاسِدٍ ... فَإنِّى مِنْ عَيْنِى أُتِيتُ وَمِنْ قَلْبِى
هُمَا اعْتَوَرَانِى نَظْرَةً ثم فِكْرَة ... فَمَا أَبْقَيا لِى مِنْ رُقَادٍ ولا لُبِّ

● وقال أيضًا[٢٣]:

وَحَاكِمٍ فِى القُلُوبِ ... أَحْوَى أَغَنّ رَبِيبِ
مقدَّر من قَضِيبِ ... مركَّبٍ فى كَثِيبِ
مُقَارب مِنْ بَعِيدِ ... مُبَاعِدٍ من قَرِيبِ
مُسْتَقْبِلاً بقُلُوبِ ... مُشَيِّعاً بقُلُوبِ
تَرَاهُ عِنْدَ طلوعٍ ... مِنْهُ وعِنْدَ غُرُوبِ
مُوَاجِهاً بالتفدِّى ... مُسْتَودَعاً فى المغِيبِ
تَخَالُ فِيهِ قُطُوباً ... وَمَا بِهِ من قُطُوبِ
لكن بَوَادرُ زَهْوٍ ... مَا بَيْنَ حُسْنٍ وَطِيبِ

وقال أيضًا:[٢٤]

حَىٌّ أَجْسَادَ جَبُّل بدبّاتِ ... فِيهِنَّ دَبِيبُ رِكَابِى
حَىٌّ حانوتَه بِنَاحِيَةِ الكَرْ ... خِ وأرْطَالَه عَنْ كلِّ بَابِ
حَىٌّ أَمْوالَه بصَوْلَة سلطا ... نِ وعُمرانَه بِيَوْمِ خَرَابِ
حَىٌّ مَنْ دِينُهُ على دِين مَانِى ... بِزَوَالٍ مِنْ نِعْمَةٍ وعِقَابِ
حَىٌّ مَنْ أَصْبَح الغَدَاة وَزِيراً ... وَهُوَ بالأَمْسِ كاتبِ ابنِ شِهَابِ

---

(٢١) الطرائف الأدبية، المقطوعة ٤١ ص ١٣٩.

(٢٢) الطرائف الأدبية المقطوعة ٤٥ ص ١٤٠.

(٢٣) الطرائف الأدبية المقطوعة ٤٦ ص ١٤١.

(٢٤) الطرائف الأدبية المقطوعة ١٠٢ ص ١٥٥، وفى هذه الأبيات ينسب إبراهيم بن العباس ابن الزيات إلى جَبّل، ويشير إلى أنه كان يبيع الزيت. (وأنظر أيضا القطعة ١٢٣، والقطعة ١٢٨) وجَبُّل بفتح وشدّ مع الضم، قرية على دجلة.

● وقال إبراهيم بن العباس:[٢٥]

وَلَـمَّـا عَلَتْنِي كَبْـرَةٌ وتـوزَّعَت ... لِـدَاتِي مَنَايَـاهُم وأَوْحَشَ جَانِبِي
تَفَـرَّق إخْـوَانِي فَـرِيقَيْـنِ مِنْـهُمُ ... عَتَـادُ عَـدُوٌّ أو عَتَـادُ النَّـوائِبِ
وأَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ حتَّى رَأَيْتِنِي ... مُسَـالِمَ أَعْدَائِي ونُهْـزَةَ صَاحِبِي

● وقال أيضًا:[٢٦]

مُـعْـجَـبٌ عِـنـدَ نَـفْـسِـهِ ... وَهْـوَ لِـى غَـيـرُ مُـعْـجِـبِ
لَـيْـسَ يُـهْـدَى لِـرُشْـدِهِ ... ضَـلَّ عـن كُـلِّ مَـذْهَـبِ
أنْ أَقُـلْ لاَ يَـقُـلْ نَـعَـمْ ... عَـاتِـبٌ غَـيـرُ مُـعْـتِـبِ
مُـولَـعٌ بِـالـخِـلاَفِ لِـى ... عَـامِـداً والـتَّـجَـنُّـبِ
قُـلْـتُ فِـيـهِ بِـضِـدِّ مـا ... قِـيـلَ فِـى أُمِّ جُـنْـدُبِ[٢٧]

● وقال أيضًا:[٢٨]

نَـعَـى الـنَّـاعِـى إِلَـىَّ أَبِـى ... وخَـبَّـرَ أَيْـنَ مُـنْـقَـلَـبِـى
لِـمَـوْعِـظَـةٍ رَآهَـا فِـى ... أَبِـيـهِ لَـهَـا رأَيْـتُ أَبِـى
سُـلِـبْـتُ أبِـى سَـلاَمَـتَـه ... وأُسْـلَـبُ بَـعْـدَ مُـسْـتَـلَـبِـى
وأَيْـنَ مِـنَ الـمُـطِـلِّ عَـلَـى ... مَـذَاهِـبِ مَـذْهَـبِـى هَـرَبِـى
وَمَـا لِـمَـسَـافِـرٍ جِـدّ الـ ... ـرَّحِـيـلُ بِـه ولِـلَّـعِـب
مَـضَـى طَـلْـقـاً لِـغـرَّتِـهِ ... وأَغْـفَـلَ لَـيْـلَـةَ الـقُـربِ

● وقال إبراهيم بن العباس[٢٩]

أَلَـمْ تَـرَهَـا مـرَّة إذْ نَـأَتْ ... ولَمْ تَـأْتِ مِنْ بين أَتْـرَابِهَـا

---

(٢٥) الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠٤ ص١٥٦.

(٢٦) البيتان الأولان فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٥٠ ص١٦٨، وفى الأغانى ٥٥/١٠ البيت الأول ثم الأبيات الثلاثة الأخيرة.

(٢٧) يريد قول امرئ القيس (خليلَيّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُب) أى أنه لا يريد أن يمرّ به.

(٢٨) الطرائف الأدبية المقطوعة ١٥١ ص ١٦٨. (لغرته: فى الأصل بعزّته).

(٢٩) الطرائف الأدبية المقطوعة ٤٣ ص ١٤٠.

وفى الأغانى ٤٦/١٠ (ألم ترنا يوم) فى البيت الأول. و(وقد غمرتنا) فى البيت الثانى. و(لما دَنَتْ كيف صرنا بها) فى البيت الخامس. وزاد الأغانى البيت الثالث. والبيت الأخير فى البديع ص ٥٦.

وقَدْ غَمَرتها دَوَاعِي السُّرُور ... بِإشْعَالِها وَبِإلْهَابِها
ومَدَّتْ علَيْنا سَمَاءَ النَّعِيم ... وكُلُّ المُنَى تَحْتَ أطْنَابِهَا
ونَحْنُ فُتُورٌ إلَى أنْ بَدَتْ ... وَبَدرُ الدُّجَى بَيْنَ أثْوابِها
فلَمَّا نَأتْ كَيْفَ كُنَّا لَهَا ... وَلَمَّا دَنَتْ كَيْفَ كُنَّا بِهَا

قافيـة التـاء

● قال إبراهيم بن العباس:(٣٠)

قُلتُ لَهَا حِينَ أكْثَرَتْ عَذْلِي ... وَيْحَكِ أزْرَتْ بِنَا المَرُوآتُ
قَالَتْ: فَأيْنَ السَراة قُلتُ لَهَا ... لَا تَسْأَلِي عَنْهُم فَقَدْ مَاتُوا
قَالَتْ: وَلِمَ ذَاكَ، قُلتُ فاعْتَبِرِى ... هَذَا وَزِيرُ الإمَامِ زَيَّاتُ

وقال أيضًا:(٣١)

أشْكُرُ عمراً إنْ تَراخَتْ مَنِيَّتِي ... أيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإن جَلَّتِ
فَتىً غيرَ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إذَا النَّعل زَلَّتِ
رَأى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتَّى تَجَلَّتِ

● وقال أيضًا:(٣٢)

إنَّمَا المَرْءُ صُورَةٌ ... حِينَ تَمَّت تَنَاهَتِ
أنَا مُذْ كُنتُ فى التَّصَرْ ... فِ لِى حَالُ سَاعَتِى

● وقال أيضًا(٣٣)

إذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ مَدَّت سَمَاءَهَا ... مَدَدْتَ سَمَاءً دُونَهَا فَتجلَّتِ
وعَادَتْ بِكَ الرِّيحُ العَقِيمُ لَدَى القرَى ... لِقَاحاً فدرَّت عَنْ نَدَاكَ وَطَلَّتِ

● وقال إبراهيم بن العباس فى موت محمد بن الملك:(٣٤)

لَمَّا أتَانِى خَبَرُ الزَّيَّاتِ ... وَأنَّهُ قَدْ عُدَّ فِى الأمْوَاتِ
أيْقَنْتُ أنَّ مَوْتَهُ حَيَاتِى

---

(٣٠) البيتان الأولان فى كتاب الأداب لابن شمس الخلافة ص ١٠٣، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٠٥ ص ١٥٦ وفى الوفيات ٥٦/٣، وفى الأصل (وزير الأنام) مصحفا.

(٣١) هذه الأبيات فى اللآلى ١٦٦ ينسبها البكرى لأبى الأسود، وهى فى مجموعة المعانى ٩٦، والمرتضى ٢٢٢/١، الأدباء ١٥٨/٥، الوفيات ٢٤٧/٢، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٩ ص ١٣٠.

(٣٢) البيتان فى الأغانى ٥٠/١٠ وفيه (حيث حلّت تناهت) وهما فى الطرائف، المقطوعة ١٥٢، ص ١٦٩.

(٣٣) البيتان فى مجموعة المعانى ٣٣، وفى النويرى ١٩١/٣، وهما فى الديوان المنشور فى الطرائف، المقطوعة ١٨٥ ص ١٨٣.

(٣٤) الأغانى ٤٥/١٠، وفى الأدباء ٢٦٤/١، نزهة الجليس ٣٦٨/٢، والطرائف الأدبية المقطوعة ١٨٦ ص ١٨٢ وفى رواية الأغانى (وأنه قد صار).

قافيــة الثــاء

قال إبراهيم بن العباس(٣٥):

تَغَيَّــرَ لِى فِيمَنْ تَـغَيَّــرَ حَــارِثُ ... وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ غَيَّرَتْهُ الحَوَادِثُ
أَحَارِثُ إِنْ شُورِكْتُ فِيـكَ فَطَالَمَـا ... غَنِينَــا وَمَـا بَيْنِى وبَيْنَــكَ ثَـالِثُ

(٣٥) هذان البيتان قالهما ابراهيم بن العباس عندما هجره صديقه الحارث بن بُسْخُنَّر مرضاة لمحمد بن عبدالملك الزيات. وهما فى الأغانى ٤٥/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٤/١، ونزهة الجليس ٣٦٨/٢ وقد وردا فى الدوان المنشور فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٨٧ ص ١٨٢.

وغَنِينَا: أى وغنى كل منا بصاحبه، ولعل البيت الثانى: (أحارث إن توركت منك فطالما).

قافيــة الجيـم

● وقال إبراهيم بن العباس[٣٦]

وَلَـرُبَّ نَـازِلَـةٍ يَضِيقُ بِهَـا الفَتَى ذَرْعًـا وعِنْـدَ اللّٰهِ مِنْهَـا المَخْـرَجُ
كَمُلَتْ فلَمَّـا اسْتَكْمَلَتْ حَلَقَـاتُهَـا فُـرِجَتْ وَكَـانَ يَـظُنُّهَا لاَ تُفْـرَجُ

● وقال أيضًا[٣٧]:

مُـبْـتَـسِـمٌ عَـنْ بَـرَد وَنَـاظِـرٌ فِـى دَعَـجْ
يَـخْـتَـالُ فِـى مِـشْـيَـتِـهِ عَـنْ خَـفَـرٍ وغُـنُـجْ
لَـيْـسَ عـلَى عَـاشِـقِـهِ فِـى حُـبِّـه مِـنْ حَـرَجْ

---

(٣٦) ورد هذان البيتان فى معجم الأدباء ٢٧١/١، وفى وفيات الأعيان ١٧/١ ولكن برواية أخرى وهى: (ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتها)، والمرتضى ١٣١/٢، الفرج بعد الشدة للتنوخى ١٩٤/٢ ومجموعة المعانى ١٣٥ والآداب ٨٤. وقد وردا فى الديوان الذى جمعه الصولى وطبع فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٥٩ ص ١٧١. يقول ابن خلكان عنها: «يقال إنه ما رددها من نزلت به نازلة إلاّ فرّج الله تعالى عنه»

(٣٧) وردت هذه المقطوعة ضمن الديوان الذى جمعه الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٤٨ ص ١٤١

قافيــة الحــاء

● وقال إبراهيم بن العباس[٣٨]:

إذَا أزِمُوا أَلْقَوا فُضُول حَبَائِهِم ... وخَلّوا صُرُوفَ الدَّهْرِ تَفْرِى وتَجْرحُ
وَأَلْفَيْتَهم والضُّرُّ حَشْوُ ثِيَابِهِم ... وَضَيْفُهم فِى عَرْصَةِ الدَّارِ يَمْرَحُ
عَلَى سَهْمِ أَصَارِهُم وَنِحَارِهُم ... لدى بَيْنِهِم ملقى رَحِيبٌ ومَسْرَحُ

● وقال أيضًا[٣٩]:

ألان إذَا قَرّت عُيُونٌ وحَقّقَتْ ... عَلَى اليَأْسِ آمَال وأُرْغِم كَاشِحُ
وحدت يَدُ الأيامِ وارْتَجَعَ الهَوَى ... وَرُدَّت عَلَى المُسْتَنْصِحِين النَّصائحُ
نست[٤٠] إلَى الأعْدَاء صفوا وغُودِرَتْ ... سَوَانِحُ أيَّامٍ وَهُنّ بَوَارِحُ
وأُذِلِلْتُ بالصَّبْرِ الَّذِى لا أُطِيقُه ... وسَامَحْتُ فِى الهِجْرَانِ مَنْ لا يُسَامِحُ
لَهُ بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ مَوَدَّةٌ ... عَلَى النَّأْىِ مَطْوِىٌّ عَلَيْهَا الجَوَانِحُ

● وقال أيضًا[٤١]:

رُحْنَا إلَيْكَ وقَدْ رَاحَتْ بِكَ الرَّاحُ ... وأسْرَعَتْ فِيكَ أَوْتَارٌ وأَقْدَاحُ
قَدّمتَ وعدًا فلَمّا جِئْتُ أَطْلُبُهُ ... أَجَابَ بالخُلْفِ نِسْرِينٌ وتفاحُ

● وقال أيضًا[٤٢]:

أَسَاءُوا وَفِيهِمْ مُحْسِنُونَ فَإنْ تَهَبْ ... لمُحْسِنِهِم أَهْلَ الإسَاءَةِ يَصْلُحُوا

● وقال أيضًا[٤٣]:

أشْرَقَ المَشْرِقُ بالـ ... مُعْتَزِّ باللهِ وَلاَحَا

---

(٣٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وقد وردت أيضًا فى الطرائف المقطوعة ١٢ ص ١٣١

(٣٩) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٤٩ ص ١٤٢.

(٤٠) كذا بالأصل

(٤١) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧١ ص ١٧٧ والبيت الأول فى الأغانى ٥٤/١٠.

(٤٢) ورد هذا البيت فى الديوان، وهو فى الطرائف الأدبية ص ١٨٠، كما ورد فى الراغب ١٤٨/١ يقول أبو بكر الصولى جامع الديوان: «وَقّع إبراهيم بن العباس.. البيت».

(٤٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠ ص ١٣٠. وقد ورد البيتان الأولان فى الطبرى ١٤٠٣/٣ (طبعة ليدن).

واسْتَنَارَ العَهْدُ حَتَّى شَقَّ فِى اللَّيْلِ صَبَاحَا
أوْسَعَ اللَّهُ بِهِ الـ أُمَّةَ عَدْلاً وسَمَاحَا

● وقال إبراهيم بن العباس(٤٤):

وَإذَا جَزَى اللَّهُ امرءً بإخائِهِ فجزى أَخًا لى مَاجِدًا سَمْحَا
نَادَيْتُه عَنْ كَرْبِهِ فكَأنَّما نَادَيْتُ عَنْ لَيْلٍ بِهِ صُبْحَا

● وقال أيضًا(٤٥):

صِفْ مِرَاحًا إنْ كُنْتَ تَهْوَى مِرَاحَا صِفَةً تُعْقِبُ الحَلِيمَ مُزَحَا
دُرَةً حَيْثُمَا أُدِيرت أَضَاءَتْ وَمَشَمًّا مِنْ حَيْثُمَا شُمَّ فَاحَا
وَرداحُ قَالَ الإلَهُ لَهَا كُو نِى فكَانَتْ رُوْحًا ورَوْحًا وَرَاحَا

● وقال أيضًا(٤٦):

وَجَنِىِّ وَرْدٍ فَوْقَ خَدٍّ مُشْرِقٍ رَيَّانَ يَفْضَح لَوْنُه التُّفَّاحَا
أَهْدَى إلَى النَّسْرِينِ طيبُ نَسِيمِهِ وأَعَارَ حُمْرَةَ وُجْنَتَيْهِ الرَّاحَا
مَنْ صحَّ من مَرَضٍ الجُفُونِ فإنَّنِى بِتُّ السَّقِيم وَبِتْنَ هُنَّ صِحَاحَا

● وقال أيضًا(٤٧):

لَئِنْ كُنتَ مَلْهىً لِلْعُيُونِ وقُرَّةً لَقَدْ صِرْتَ حُزنًا للقُلُوبِ الصَّحَائحِ
وهَوَّن وَجْدِى أَنَّ يَوْمَكَ مُدْرِكِى وَأَنِّى غدا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الضَّرَائحِ

(٤٤) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١ ص ١٣٠ وهما فى مروج الذهب. (عصر المتوكل).
(٤٥) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وقد وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٠ ص ١٤٢.
(٤٦) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف المقطوعة ٥١ ص ١٤٢.
(٤٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف، المقطوعة ١٥٣ ص ١٦٩.

قافيـة الخـاء

● قال إبراهيم بن العباس[٤٨]:

أخ كُنْتُ أَوِى مِنْهُ عِنْدَ ادِّكَارِهِ إلَى ظِلِّ أَفْنَانٍ مِنَ العِزِّ بَاذِخِ
سَعَتَ نُوَبُ الأَيَّامِ بَيْنِى وبَيْنَهُ فَأَقْلَعْنَ مِنَّا عَنْ ظُلُومٍ وصَارِخِ
وَإِنِّى وَإِعْدَادِى لِدَهْرِى مُحَمَّدًا كَمُلْتَمِسٍ إِطْفَاءِ نَارٍ بِنَافِخِ

(٤٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى معانى العسكرى ٢/٢٠٠، وبمجموعة المعانى ١٥١، الوفيات ٢/٥٦، والراغب ٢/١٢، كما وردت هذه المقطوعة فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٠٦ ص ١٥٧.

قافيـة الـدال

● وقال إبراهيم بن العباس[٤٩]:

تَـلاَ جَـرْى عَبَّـاسٍ يَـزِيـدُ وخَـالِـدُ — وإنْ كَانَ قَدْ أَوْدَى يـزِيدٌ وخَـالِدُ
جِيَـادٌ جَرَتْ فِى حَلْبَـةٍ فتَفَـاضَلَتْ — علَى قَـدَرِ الأَسْنَانِ والعِـرق وَاحِدُ

وقال أيضًا[٥٠]:

كَـلَّ لِسَانى عَنْ وَصْفِ مَا أَجِدْ — وذُقْـتُ ثُـكْـلاً مَـا ذَاقَـهُ أَحَـدُ
ما عَالَجَ الحُزْنَ والحَرَارَةَ فِى الْـ — أَحْشَـاءِ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَـهُ وَلَـد
فَجِعْتُ بـابْنَـىَّ ليسَ بينـهـمـا — إلاّ لَـيَـالٍ مَـا بَيْـنَـهَـا عـدد
وكُـلّ حُـزْنٍ يَبْلَى على قِـدَمِ الـ — دَهْـرِ وحُـزْنِ بـحـدّةِ الـكـمـد

وقال أيضًا[٥١]:

كَـفَى بِـفِـعَـالِ امْـرِىءٍ عَـالِـمٍ — عَـلَى أَهْـلِهِ عَـادِلاً شَـاهِـدَا
أَرَى لـهـم طَـارِفًـا مُـؤْتَـنِـقًـا — ولا يُـشْبِـه الـطارِفُ الـتَـالِـدَا
يُـمَـنُّ عَـلَـيْـكُـمْ بِـأَمْـوَالِـكُـمْ — وَتُـعْـطَوْنَ مِنْ مَـائَـةٍ وَاحِـدَا
فَـلاَ حـمـد الله مُـسْتَـبْـصِـرًا[٥٢] — يـكـونُ لأَعْـدَائِـكُـمْ حَـامِـدَا
فضلتَ قَـسِيـمَـكَ فى قُـعْـدُدٍ[٥٣] — كَـمَـا فَضُـلَ الـوَالِـدُ الـوَالِـدَا

● وقال إبراهيم بن العباس[٥٤]:

ولـربَّ خِـدْنٍ كـان إن — عُـدّ الصديقُ يُعَـدّ وَحْـدَه
رفـعـتـه حـالُ رُتـبـةً — من بعدها فـنمتُ عهـدَه
والـدهـرُ كم من صـاحب — ابْـتَـزّنـيـه ثـم رَدّه

---

(٤٩) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٤ ص ١٣١.

(٥٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، يقول عنها أبو بكر الصولى: «إن هذه الأبيات فى رثاء ابنيه وفى تقارب موتهما، وقد وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٦٤ ص ١٧٥.

(٥١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبوبكر الصولى. يقول الصولى: وجدت بخط أبى يحيى عبيد الله، أنشدنى أخى لعمه إبراهيم فى بنى علىّ عليه السلام» الأبيات. وقد وردت أيضًا فى المرتضى ١٣١/٢، أخبار البيوتات العلوية، لابن زهرة الحسين ٣٨، اللآلى ٨٠٩ كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٦١ ص ١٧٢.

(٥٢) المستبصر: المحقق ذو البصيرة فى دينه.

(٥٣) القعدد: القريب النسب إلى الجد الأكبر.

(٥٤) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٠٧ ص ١٥٧.

● وقال أيضًا[٥٥]:

إذَا طمعٌ يومًا غَزَانى مَنَحْتُه كَتَائِبَ يَأْسٍ كَرُّهَا وطِرادَهَا
سِوَى طمع يُدْنى إليكَ فَإنَّهُ يُبَلِّغ أسبابَ العُلَى مَنْ أرَادَهَا

● وقال أيضًا[٥٦]:

أضحتْ عُرَى الاسْلَامِ وَهى مَنُوطَةٌ بالنَّصْرِ والإعْزَازِ والتَّأييدِ
بخليفةٍ مِنْ هَاشِمٍ وثَلَاثَة كَنَفُوا الخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ
قَمَرٌ توافَتْ حولَهُ أقْمَارُهُ فَحَفَفْنَ مطلعَ سَعْدِهِ بسُعُودِ
رَفَعتْهُمُ الأيَّامُ وارْتَفَعُوا بِهِ فَسَعَوْا بِأكْرَمِ أنْفُسٍ وجُدُودِ

● وقال كذلك[٥٧]

اللّهُ أظْهَرَ دِينَه وأعَزَّهُ بِمُحَمَّد
واللّه أكْرَمَ بالخِلَا فَةِ جَعْفَرَ بن مُحَمَّد
واللّهُ أيَّد عَهْدَه بِمُحَمَّد ومحمَّد
ومُؤيَّد لمُؤيَّدَيْـ ـنِ إلَى النبيِّ محمد

● وقال إبراهيم بن العباس[٥٨]

وقُلْتُ لهم قُرْبٌ كقربى طَاهر صدقتُ ولكنِّى بغير الّذِى أُبْدِى
أرَاكَ بِقَلْبِى دُونَهُم وأرَاهُم بعَيْنِى فَهَذَا فَرْقُ بَيْنكما عِنْدِى

● وقال إبراهيم بن العباس[٥٩]

وَصَاحِبٍ مَاجِدٍ خَلَائِقُهُ لَا يَذْخَرِ المالَ خَائِفاً لِغَدِ
طليق وجهٍ جَمُّ المكارِمِ فى الذر وَةِ والعِزَّ مِنْ بَنِى أسَدِ
نَبَّهتُه والصَّبَاحُ مُحْتَجِبٌ والليلُ وَاهِى الأطْنَابِ والعُمَدِ
قُم بأبِى أنْتَ قَدْ رَقَدْتَ عَنِ الكأ سِ فَدَاوِ السّقَامَ بالسُّهُدِ

---

(٥٥) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى اللآلى ٢٤١، وقد وردت فى الطرائف المقطوعة ١٨٨ ص ١٨٣.

(٥٦) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، قال عنها الصولى: إن إبراهيم بن العباس قالها فى مدح ولاة العهود من أبناء المتوكل، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢ ص ١٣١ ما عدا البيت الثالث.

ويروى البيت الرابع (كنفتهم الآباء واكتنفت بهم). والأبيات الأربعة فى الأغانى ٦٤/١٠ والطبرى ١٤٠٢/٣.

(٥٧) هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى فى الطرائف، المقطوعة ١٦ ص ١٣٢ وقد وردت أيضا فى الطبرى ١٤٠٣/٣ (طبعة ليدن) وتاريخ الخطيب ١٢٤/٢.

(٥٨) ورد هذان البيتان فى الديوان وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٥٢ ص ١٤٢.

(٥٩) وردت هذه القصيدة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٣ ص ١٤٣.

فقَامَ عن نَعْسَةٍ تُجَاذِبُه   يَجُرّ ذَيلاً إلى ذَا إودِ
والليْلُ يَقْظَانُ والكواكب في الـ   آفَاقِ حَيْرَى كَاللُّؤلُؤ البَدَدِ
أَرَيْتُه الكَأسَ بَعْدَ بَهْجَتِهَا   مَسْلُوبةً فاسْتَوَى ولَمْ يكَدِ
وقَام طَيَّابُها فأسْرَجَها   بِكَفِّهِ واسْتَقَلَّها بِيَدِ
ثم علاها بالماء فاضطربت   وطيّرت بالحُبَاب والزَّبَدِ
حَتى الأبَارِيق فَوْقَ أكْؤُسِهَا   كما انْحَنَى وَالِدٌ عَلَى وَلَدِ
فَخِلْتُ فِيهَا ماءَ السَّحَابِ إذاً   يا بَرْدَ تِذْكَارِهِ عَلَى كَبِدِى

● وقال أيضًا:(٦٠)

فَدَعْنِى راغماً أشْقَى بِوجْدِى   وخُذْ قَلْبِى إلَيْكَ بغير حَمْدِ
سَقَام لا تَرِقّ علىَّ منه   ووجد لا تُكَافِئه بِوُدِّ
بِنَفْسِى مَنْ إسَاءَتُه أعْتِمَادٌ   ومَنْ أحسانه عَنْ غَيْرِ عَمْدِ
ومَنْ أصْفَيْتُه فِى الوُدّ جُهْدِى   فَعَارضَ فِى الجفاء بِمِثْلِ جُهْدِى

● وقال أيضًا:(٦١)

دُمُوعٌ دَعَاهُنَّ الهَوَى فَأَجَبْنَهُ   تَحَدّرْنَ شَتّى والْتَقَيْنَ عَلَى الخَدِّ
تكِلّ جُفُونَ العَيْنِ عَنْ حَمْلِ مَائِهَا   فَتبْدِى الَّذِى أُخْفِى وأخْفِى الذى أُبْدِى

● وقال أيضًا:(٦٢)

ولَسْتُ كباك مِنْ تهامةَ مَنْزِلاً   فَلَمّا قَضَى نَحْباً أَحَالَ عَلَى نَجْدِ
بُكَائِى لِهنْدِ حيثُ حلّت وفِى الذى   بِقَلْبِى شُغْل شاغلٍ عَنْ سِوَى هِندِ

● وقال إبراهيم بن العباس:(٦٣)

حَسَنٌ حَوَى كلَّ المحاسِنِ واعْتَلَى الـ   شَرَفَ المُنيفَ بنَفْسِهِ والوَالِدِ
إن أجْزِه بِبَلاَئِهِ وإخَائِهِ   لاَ أجْزِهِ بِبَلاَءِ يَوْمٍ وَاحِدِ

---

(٦٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى معانى العسكرى دون البيت الثالث، والبيتان الأخيران فى الراغب ٣٠/٢. وقد وردت أيضا هذه المقطوعة فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٤، ص١٤٣.

(٦١) ورد هذان البيتان فى الديوان ، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٥ ص١٤٤.

(٦٢) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٦ ص١٤٤.

(٦٣) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى الطرائف ، المقطوعة ١٦٧ ص١٧٦.

● وقال أيضًا:(٦٤)

ولمّا رأيتُك لا فاسقاً ... تُهابُ ولا أنتَ بالزَّاهِدِ
وَليس عدُوّك بالمتّقى ... ولَيْسَ صَدِيقُك بالحامِدِ
أتيْتُ بِكَ السوقَ سوق الرقيق ... فنادَيْتُ هَلْ فِيكَ مِنْ زَائِد
علَى رَجُلٍ غادَرَ بالصَّدِيقِ ... كَفُورٍ لنعمائِهِ جَاحِدِ
مَا جَاءَنِى رَجُلٌ وَاحِدٌ ... يزِيدُ على دِرْهمٍ وَاحِدِ
سِوَى رَجُلٍ حَانَ مِنْه الشَّقَاءُ ... وحلَّتْ بهِ دَعْوةُ الوالِدِ
فبعْتُك منهُ بِلاَ شَاهِدٍ ... مَخَافَةَ رَدِّك بالشَّاهِدِ
وأُبْتُ إلَى مَنْزِلى سَالِماً ... وَحَلَّ البَلاَءُ على النَاقِدِ
وَإِنْ كَانَ رِزْقِى إليكَ فارْمِ بِه ... فِى نَاظِرَىْ حَيَّة على رَصَدِ
لو كُنْتَ حُرًّا كَمَا زعمتَ وقَدْ ... كَذَّبْتَنِى بالمَطَالِ لم أَعُدِ
لكِنَّنِى عُدْتُ ثُم عُدْتَ فإن ... عدتُ إلَى مِثْلِها إذاً فَعُدِ
أَعْتَقَنِى سوءُ ما أتيت من الـ ... رِقّ فَيَا بَرْدَها على كَبِدِى
فَصِرْتُ عَبْداً للسُّوءِ فِيكَ وما ... أَحْسِنَ سوء قَبْلِى على أحَدِ

● وقال إبراهيم بن العباس:(٦٥)

أَزَالَتْ عَزَاءَ القَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ ... مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِىِّ مُحَمَّدِ

● وقال إبراهيم بن العباس:(٦٦)

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِى طَرَفَاهَا ... قِصَراً وَهِىَ لَيْلَةُ المِيلَادِ

● وقال أيضًا:(٦٧)

مَنْ بالخِلَافَةِ أَوْلَى ... مِنْ جعفرِ بنِ مُحمَّدْ
ومَنْ أَحَقُّ بِعَهْدِ ... مِنَ الأَمِيرِ المؤَيَّدْ
مِنَ المُؤَمَّل فى اليو ... مِ والمؤمَّلِ فى الغَدْ

---

(٦٤) وردت هذه القصيدة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر، والبيتان الأخيران هما المقطوعة ٥٧ ص١٤٤. وهى فى الأدباء ٢٧٤/١ مصفحة، وآخر شرح الحماسة لأبى هلال (٥١ نسخة الدار أدب ١٨٣٦).
وقد وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٨٩ ص١٨٣.

(٦٥) الأغانى ٢٤/٩، المرتضى ١٣٠/٢، ونزهة الجليس ٣٦٥/٢، والبيت فى الطرائف ص١٨٤.

(٦٦) ورد هذا البيت فى معانى العسكرى ٣٥٣/١، وهو فى الطرائف ص١٨٤.

(٦٧) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٥ ص ١٣١.

قافيــة الـذال

● وقال إبراهيم بن العباس:[٦٨]

اشــرَبْ الـرّاحَ صَــحِـيــحـاً   واشْــرَب الـرّاحَ وَقَــيــذَا
واغصِ مَنْ لاَمَـكَ فى الـرا   حِ تَـعِشْ عَيْـشـاً لَـذِيـذَا
لَـيْسَ مِـنْ عُـمْـرِك يَـوْمٌ   لَـمْ تـذُقْ فِـيـهِ نَـبِـيـذَا

(٦٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٥٨ ص ١٤٤.

قافيـة الـراء

● وقال إبراهيم بن العباس[٦٩]:

فلَوْ إذْ نَبَا دَهْرٌ وأُنْكِرَ صَاحِبٌ ... وسُلِّط أعْـدَاءٌ وغَـابَ نَصِـيـرُ
تكـوُن عن الأهْوَازِ دَارِى بنَجْـوَةٍ ... ولكِنْ مَقَـادِيـرٌ جَـرَتْ وأُمُـورُ
وَإنِّى لأرْجُـو بَعْـدَ هَـذَا مُحَمَّدًا ... لأَفْضَـلِ مـايُـرْجَى أخٌ وَوَزِيـرُ

● وقال أيضًا:[٧٠]

تـأمَّـل سَـمَـاءً أظَـلَّتْ عَـلَيـ ... ـك فِيهَـا مَصَـابيحُهـا تَـزْهَـرُ
وأرض تُـقَـابـلهـا بـالـعـرو ... س والبُـرْج شَمْسُهـا جَعْفَـرُ
ومَسْحَبُ نُـورٍ غَـدَاةَ الـرَّبيـ ... ـع أنفـاسُـه المِسْـكُ والعَنْبَـرُ
خِـلاَل شَـقَـائِـقِـه أصْـفَـرٌ ... وأضْـعَـافُ أَصْـفَـرِهِ أَحْـمَـرُ
ولـلـمـاءِ مُـطَّرِدٌ بـيـتـه ... يـضـيـقُ بـآذِيِّـهِ الـمَـصْـدَرُ
ولـلـنُّـاطِـقَـاتِ بـأكْـنَـافِـهِ ... دَوَاعـى اشـتـيـاق ومُـسْـتَـعْـبَـرُ
يـسـاوِمُـه الـبـرُّ مـن جَـانِـبٍ ... ومـن جَـانِـبٍ بَـحْـرُهُ الأخْـضَـرُ
مجـالُ وُحُـوش ومَـرْقَى أنيسٍ ... فيـا عُـرْفَ لهـوٍ وَيَـا مَـنْـظَرُ
ويـا حُسنَ دُنْيَا ويـا عزَّ مُلْكٍ ... يَسُـوسُـهُـم الـسـائِسُ الأكـبـرُ
إمـامٌ بـه أمَـرَ الآمِـرُو ... ن بـالعُـرْف واستُنْكِـرَ المنكـرُ

● وقال أيضًا:[٧١]

سَلْ اللَّيلَ مَنْ يَجْلُو الدُّجَى عَنْ مُتُونِهِ ... بنَيرانِـهِ إذْ كُـلُّ نَـارٍ لَهَـا سِتْـرُ
وأيْنَ مَـرَامِى اللَّيـلِ بـابْنِ سَبِيلِهِ ... وأيْنَ انْتصَابُ القدر إذْ يُكْفأ القِدْرُ

---

(٦٩) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الأغانى ١٠/٥٠ وفيها البيت الأول (تغيّر لى دهر).
وفى الأصل (تلون على الأهواز) مصحفا، والبيت الأخير فى معجم الأدباء ٣٦٢/١، وهى فى الطرائف المقطوعة ١٧ ص ١٣٢.

(٧٠) وردت هذه القصيدة فى الديوان الذى جمعه الصولى - كما وردت فى الطرائف الأدبية ص ١٣٣. وهى فى العقد الفريد ٣٢/٤ ثمانية أبيات غير ٦، ١٠، وفيه البيت الثانى يروى (المرج بينهما جعفر) وفى البيت السابع (يشارفه البر).

(٧١) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهما فى الطرائف الأدبية ٩٣ ص١٥٣.

● وقال إبراهيم بن :(٧٢)

نَصِيحَةٌ شَانَهَا وَزِيرُ مُسْتَحْفَظٌ سارقٌ مُغِيرُ
وَدَائِعٌ جَمَّةٌ عِظَامٌ قَدْ أُسْبِلَتْ دُونها السُّتُورُ
تِسْعَةُ آلافِ أَلْفِ أَلْفٍ خِلالَها جَوْهَرٌ خَطِيرُ
بِجَانِبِ الكَرْخِ عِنْدَ قَوْمٍ أَنْتَ بِمَا عِنْدَهُم خَبِيرُ
والمَلِكُ اليومَ في أُمُورٍ تَحْدُثُ مِنْ بَعْدِها أُمورُ
قَدْ شَغَلَتْهُ مُحَقَّراتٌ وَصَاحِبُ الكَارَةِ الوَزِيرُ

● وقال أيضًا:(٧٣)

أَبَداً مُعْتَذِرٌ لَا يُعْذَرُ وركُوبٌ لِلَّتِي لَا تُغْفَرُ
ومُلَقًّى بِمَساوٍ كُلِّها منه تَبْدُو وَإِلَيْه تَصْدُرُ
هِيَ مِن كلِّ الورى مُنْكَرَةٌ وَهِيَ مِنْهُ وَحْدَه لا تُنكَرُ

● وقال إبراهيم بن العباس:(٧٤)

كُنتَ السَّوادَ لِمُقْلَتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ
مَنْ شاءَ بعدَك فَلْيَمُتْ فَعَلَيكَ كُنْتُ أُحاذِرُ

---

(٧٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى فى التعريض بالوزير محمد بن عبدالملك الزيات، وهى فى الطرائف الأدبية. المقطوعة ١٠٨ ص١٥٧، ومنها يروى البيت الأول:

نصيحةٌ أيها الوزير وأنت مستحفظ مغير

ويروى البيت الثانى (.. قد أُسدِلت دُونها الستور) وهما سواء. والكارة في البيت الأخير: ما يجمع ويشد، ويعنى بها الصُّرة التى فيها المال. وهى فى الأغانى ٦٦/١٠.

(٧٣) الأغانى ٤٧/١٠. وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١١ ص١٥٨ ولكن برواية أخرى، وهى :

أَبداً مُعْتذِرٌ لا يُعذر ومُلْبِط بالذى لا ينكرُ
ومليء من مساوٍ جمة هُو مأْواها وعنه تَصْدُرُ
كل ما من غيره مستنكرٌ فهو منه وحده لا ينكرُ

(٧٤) البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٥٤ ص ١٦٩ وفى الأصل: (لمقلة تبكى عليك وتناظر) وهما فى الأغانى ٤٩/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٦/١، والوفيات ١٧/١، النويرى ١٦٤/٥.

وهما فى باب المراثى من الحماسة البصرية للفتح بن خاقان، ويقول الرواة: أنها لأعرابية من ابنها ويتلوهما:

ليتَ المنازل والديا ر حفائرٌ ومقابرُ
إنى وغيرى لا محا لة حيث صرتَ صائرُ

● وقال إبراهيم بن العباس[٧٥]:

مَضَتْ عَلَى عَهْدِهِ اللَّيَالِي   وأَحْدَثَتْ بَعْدَه أُمُورُ
واعْتَضَتْ باليَأْسِ مِنْكَ صَبْرًا   فاعْتَدَلَ الحُسْنُ والسُّرورُ
فَلَسْتُ أَرْجُو ولَسْتُ أَخْشَى   ما أَحْدَثَتْ بَعْدَه الدُّهُورُ
فَلْيَبْلُغ الدَّهرُ فى مَساتى   فَمَا عسى جُهْدُه يضيرُ

● وقال أيضًا[٧٦]:

فلَوْ كَانَ للشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِين   إِذَا ما تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لمثَّلْتُهُ لَكَ حتَّى تراه   فَتَعْلَمَ أنىَّ امْرؤٌ شَاكِرُ

● وقال إبراهيم بن العباس[٧٧]:

وأفْضَلُ ما يأْتِيهِ ذُو الدِّين والحِجَا   إِصَابَةُ شُكْرٍ لم يَضِعْ مَعَهُ أَجْرُ

● وقال أيضًا[٧٨]:

دَنَتْ بأُنَاسٍ عَنْ تَنَاءٍ زِيَارَةٌ   وشَطَّ بليلى عَنْ دُنُوٌ مَزَارُهَا
وإنَّ مُقِيمَاتٍ بمُنْعَرجِ اللِّوَى   لَأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وهَاتِيكَ دَارُهَا

● وقال أيضًا[٧٩]:

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجْتَه   وأَبٌ بَرٌّ إِذَا ما قَدَرَا
يعرف الأَبْعَد إنْ أَثْرَىَ ولا   يَعْرِفُ الأَدْنَى إذَا افْتَقَرا

---

(٧٥) وردت هذه الأبيات فى الديوان - وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٥٥ ص ١٧٠، وفى مصارع العشاق ٩١ (ومساتى: مرخم مساءتى).

(٧٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف المقطوعة ١٩٢ ص ١٨٤. وفى الأغانى ٦٣/١٠

(٧٧) هذا البيت قاله ابراهيم بن العباس فى شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه، وهو فى الديوان وفى الطرائف ص ١٨٤ كما ورد فى الأغانى ٥٣/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٧/١

(٧٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الحصرى ١٥٦/٤، والوساطة ١٨٣، وفيات الأعيان ١٠/١ والنويرى ٩/٣، والمرتضى /١٣٣ - كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٣ ص ١٤٥

(٧٩) ورد هذا البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٢٠ ص ١٣٣ وفيه (أسد ضار إذا مانَعْتَه) وهما فى الأغانى ٦٥/١٠، والأدباء ٣٦٩/١، ومعانى العسكرى ٦٦/١، ١٩٥/٢، المرتضى ٢٢٢/١، والحصرى ٩٩/٢، واللآلى ٦١٦، ونزهة الجليس ٣٦٨/٢، ومروج الذهب (عصر المتوكل)

● وقال إبراهيم بن العباس[٨٠]:

وَعَـابَـكِ أَقْـوَامٌ وقَـالُـوا شَبِيهَـة ... بِبَدْرِ الدُّجَى حَاشَاكِ أَنْ تُشْبِهِى البَدْرَا
لئن شَبَّهُـوكِ البـدرَ لَيْلَة تِـمِّـهِ ... لَقَدْ قَارَفُوا الشَّنْعَاءَ واحْتَقَبُوا الوِزْرَا
أَيُشْبِـهُ بـدرٌ أَفِـلٌ نصفَ شَهْـرِهِ ... ضِياءً منيرًا يطلعُ الشَّهرَ والدَّهْرَا

● وقال أيضًا[٨١]:

إذَا سَقَى اللّهُ مـرجـوًّا لنَـائِبَـةٍ ... وَبْـلاً فَلاَ سُقِيَتْ أَطْـلاَلُـكَ المَـطَرَا
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَدَتْنِى عَنْكَ وَاحِدَةٌ ... تحيـرى فِيـك وَصَّـافًا ومُخْتَبِـرا

● وقال أيضًا[٨٢]:

أَيُّهـا الرَّبْـعَ الَّذِى قـدْ دَثَـرَا ... خَلَع الـدَّهْـرُ عَلَيْـهِ الـغِيَـرَا
أَيْنَ مَنْ كُنْتَ بِـهِم أَنِـسًـا ومَنْ ... صـرتُ مِـنْ بَعْـدِهِم مُـعْـتَبِـرَا
عَـطَفَ الـدَّهْـرُ عَلَيْهِم عَـطْفَـةً ... سَـلَبَ الأنس وأَبْـقَـى الأَثَـرَا
وَقَـضَـى مِـنْـكَ زَمَـانٌ وَطَـرَا ... طَـالَ مـا قَـضَّيْـتَ مِنْـهُ وَطَـرَا

● وقال أيضًا[٨٣]:

وكنتُ أُرَجِّـى أَنَّـهُ حِيـنَ يَلْتَـحِى ... يُفَـرِّج أَحْـزَانى ويُعْقِبُنِـى صَبْـرَا
فلَمَّـا الْتَحَى واسْوَدَّ عـارِضُ خَدِّه ... تـزايـدت البَلْوَى لِـوَاحِـدَةٍ عَشْـرَا

● وقال أيضًا[٨٤]:

يُجِيلُونَ عَنْ لَيْـلٍ بَهِيمٍ ظُنُـونَهُم ... فإِنْ قَالَ جَلَى اللَّيْلُ عَنْهُم سَمَادِرَه
وإِنْ زَالَ والأَمْـرُ البَعِيـدُ وَجَدْتَـه ... مُعَدًّا يَرَى عَنْ أَوَّلِ الأَمـرِ آخِرَه
فَـلاَ أَدْرَكُـوا بـالجَهْـدِ منهم أَنَـاتَـهُ ... وَلاَ بَلَغُـوا بـالفِكْـرِ مِنْهُم خَـوَاطِـرَه

---

(٨٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٢ ص ١٤٥.
(٨١) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف، المقطوعة ١١٣ ص ١٥٩.
(٨٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٥٧ ص ١٧٠.
(٨٣) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الراغب ١٤٧/٢. كما وردا فى الطرائف، المقطوعة ١٩٥ ص ١٨٥
(٨٤) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٩ ص ١٣٢ [وسمادره: مخفف سماديره وهو ما يتراءى للإنسان عند ضعف بصره من السكر وغيره. وخواطره: بدائهه.

● وقال إبراهيم بن العباس(٨٥):

أَأَبَـا علىّ خَيْـرُ قَـوْلِـكَ مَـا ... حَصَّلتَ أَنْجعَـهُ وَمُخْتَـصِـرَهْ
مَـا عِنْدَنـا فى البَيْعِ من غَبَنٍ ... لِلْمُسْتَقِـلِّ بِـوَاحِـدٍ عَشَـرَه
أَنـا أَهْـلُ ذَلِـكَ غيـر مُحْتَشِمٍ ... أَرْضَى القـديـمَ واقْتَفِى أَثَـرَهْ
هَـا نَحْـنُ وَفَيْـنَـاك أَرْبَـعَـةٌ ... والأَرْبَعُـون لَـدَيْـك مُنْتَـظِرَهْ

● وقال أيضًا(٨٦):

دَعَوْتُكَ فِى بَلْوَى أَلَمَّتْ صُرُوفُهَا ... فأَوْقَدْتَ مِنْ ضِغْنٍ عَلَىَّ سَعِيرَهَا
وإِنى إِذَا أَدْعُوكَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ ... كَدَاعِيَةٍ بَيْنَ القُبُورِ نَصِيرَهَا

● وقال أيضًا(٨٧):

اللّهُ أَيَّـدَ بـالخِـلَافَـةِ جَعْفَـرًا ... واللّهُ أَيَّـدَهـا بِـدَوْلَـةِ جَعْفَـرِ
مَلِكٌ أَقَـامَ لَهُ الهُـدَى أَعْلَامَـهُ ... وَفَقَا به المعروفُ عين المنكَرِ

● وقال أيضًا(٨٨):

أَضْحَى هِـلَالُ العَهْـدِ قَـدْ ... أَقْـمَـرَ بـالـمُـنْـتَـصِـرْ
ولِـىُّ عَـهْـدِ الـبَـشَـر ... وابـن إِمَـامِ الـبَـشَـرْ
وَجَـائـز الـعَهْـدِ بحَقِّ الـ ... أَوْصِـيَـاءِ الـزُهُـرْ
وحـقِّ خَـيْـرِ الـخُـلَفَـا ... ءِ الـرَّاشِـدِيـن جَـعْـفَـرْ
مـا لَـيْـلَة نَـعْـتَـدُهَـا ... كَـلَيْـلَةٍ مِـنْ صَـفَـرْ
أَبْـدَتْ هِـلَالًا وانْـجَـلَت ... وفَـجْـرُهَـا فـى قَـمَـرْ

● وقال إبراهيم بن العباس(٨٩):

ونَـاجَيْتُ نَفْسِى بـالفِـرَاقِ أَرُوضُهـا ... فَقَالَتْ رُوَيدًا لَا أَغُرَّكَ مِنْ صَبْرِى
فقُلْتُ لهـا فـالبَيْنُ والهَجْـرُ راحـة ... فقَـالَتْ أَمَنِّى بـالفِـرَاقِ وَبِـالهَجْـرِ

---

(٨٥) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١١٦ ص ١٧٥ وفيه يروى البيت الثالث: [وأنا المقدم غير محتشم]، كما وردت فى الأغانى ٥٤/١٠.

(٨٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الأغانى ٤٤/١٠، الوفيات ٥٦/٢، ومجموعة المعانى ١٥١، ومعجم الأدباء ١٧٣/١، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٩٤ ص ١٨٤. [وبين القبور: كناية عن خيبة الرجاء فى الدعاء]

(٨٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٨ ص ١٣٢.

(٨٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢١ ص ١٣٣.

(٨٩) أدب الكتاب للصولى ص ١٢٨، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٥٩ ص ١٤٤، وفيها: (فقلتُ رويدًا) فى البيت الأول، (والهجر واحد.. فقالت فامنى) وفى الأصل: (والبيت واحد)

● وقال أيضًا[٩٠]:

يـا صَـاحِبَىَّ تـأمَّـلاَ عُـذْرِى غَلَبَ العَـزَاءُ وخَـانَنِى صَبْـرِى
مِنْ حُبِّ جَـارِيـةٍ كَلِفْتُ بهـا كـالبَـدْرِ بَـلْ أَبْهَى مِنَ البَـدْرِ
أَغْـرَيْـتُمَـانِـى لآتِيَـنْـنِ بـهـا وأَبَيْـتُـمَـا أَنْ تَقْـبَـلاَ عُـذْرِى
وأَرَدْتُـمَـانِـى أَنْ أُطِـيـعَـكُـمَـا إنِّـىَ إذًا لـمُـمَـلَّكٌ أَمْـرِى

● وقال أيضًا[٩١]:

ولَيْلَةٍ مِـنَ اللَّيَـالِـى الـزُّهْـرِ قَـابَلْتُ فيهـا بَـدْرَهَـا بِبَـدْرِ
لَمْ تَـكُ غيـرَ شَفَقٍ وفَـجْـرِ حَتَّى تَـوَلَّتْ وهى بِكْرِ الدَّهْـرِ

● وقال أيضًا[٩٢]:

قَسِيمَـان من قَلْبِى: قَسِيمٌ لحُبِّهَا جِمىً، وقَسِيمٌ بَعْـدَه لـلخَـوَاطِـرِ
فَبَـاقٍ هَـوَاهَـا مَا بَقِيت وزَائِـل هَوَى غَيْرِها أخرى اللَّيَالى الغَوَابِرِ

● وقال إبراهيم بن العباس[٩٣]:

وكنتَ أخِى بالدَّهْرِ حتّى إذَا نَبَا نَبَوْتَ فلَمَّا عَادَ عُدْتَ مَعَ الدَّهْرِ
فـلاَ يَوْمَ إقْبَالٍ عَـدَدْتُـك طَـائِـلاً وَلاَ يَوْمَ إدْبَارٍ عَـدَدْتُك فى وِتْـرِى
وَمَـا كنتَ إلاّ مثـلَ أحْـلاَمِ نَـائِمٍ كلاَ حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ ومِنْ غَدْرِ

● وقال إبراهيم بن العباس[٩٤]:

لَئِنْ صَدَرَتْ لى زَوْرَةٌ عَنْ مُحَمَّدٍ بمَنْـعٍ لقَدْ فَـارَقْتُـه ومَعِى قَـدْرِى
أَلَيْسَتْ يـدًا عِنْدِى لِمِثْلِ محمـدٍ صِيَانَتُه عَنْ مِثْلِ مَعْرُوفِهِ شُكْرِى

● وقال أيضًا[٩٥]:

فـإنْ تكُنْ الـدُّنْيـا أَنـالَتْـكَ ثَـرْوَةً فأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرٍ وَقَدْ كُنْتَ فِى عُسْرِ
لقَـدْ كَشَفَ الإثْرَاءُ عَنْـكَ مَسَاوِيًا مِنَ اللُّؤْمِ كَانَتْ تحتَ ثَوْبٍ من الفَقْرِ

(٩٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف، المقطوعة ٦٠ ص ١٤٥

(٩١) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية ٦١ ص ١٤٥، وفى الأغانى ٦١/١٠ ومعجم الأدباء ٢٦٨/١، ومعانى العسكرى ٣٥١/١، والحصرى ١٢/٢، والراغب ٥٥/٢، النويرى ١٣٤/١

(٩٢) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٤ ص ١٤٦

(٩٣) قال إبراهيم بن العباس هذه الأبيات فى أحمد بن المدبر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنئا. وقد وردت فى الديوان، وفى الأغانى ٦٧/١٠، معجم الأدباء ٢٧٠/١، كما وردت فى الطرائف، المقطوعة ١٠٩ ص ١٥٨

(٩٤) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١١٠ ص ١٥٨

(٩٥) هذان البيتان وردا فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١٢ ص ١٥٨، وفى الوفيات ٥٦/٢

● وقال أيضًا(٩٦):

أَلَا ربَّ لُؤمٍ بَيْن عِـزٍّ وثَـرْوَةٍ وَرُبَّ جُـودٍ بَيْن فَـقْـرٍ وَإِقْتَـارِ
فـلا يَغُـرَّنَّـكَ ذُو طِمْرَين تَحْقِـره فَـرُبَّ خِرْقٍ كَـرِيمٍ بَيْن أَطْمَارِ

● وقال أيضًا(٩٧):

عِلْق نفيس مِنَ الدُّنْيَا فُجِعْتُ به أَفْضَى إِلَيْهِ الرَّدَى فِي حَوْمَةِ القَدَرِ
أَأَنْـزَلَتْـكَ المنـايـا أَمْ نَـزلتَ بهـا وَكَان بَيْتُكَ بينَ الشَّمْسِ والقَمَـرِ
وَيحُ المَنَايَـا أَمَـا تنفـكُّ أَسْهُمُهَـا مُعَلَّقـاتٍ بِصَدْرِ القَـوْسِ والـوَتَـرِ

● وقال أيضًا(٩٨):

مَـرَرْتُ يَـوْمًـا حَجْـرَةَ القبـور ونِـسْـوَة يَـدْعُـون بـالـثُّـبُـورِ
فـقُلْتُ قَـوْلًا غيـرَ قَـوْلِ زُور «أَهْـوَن زوَّار عـلى مَـزُورِ»
أَنْـتُـنَّ تبـكـين عـلى مَـقْـبُـور فَـقُلْنَ نَـبْـكـى لـخَـرَابِ الـدُّور
ولا نُـتِـشَـارِ أَمْـرِنَـا الـمَـنْـشُـور وهِـجْـرَة طَـالَتْ عَلَى مَهْـجُـور
وزَوْرَةٍ خَـانَـتْ عـلى مَـزور كـذاك فـيـنـا عَـادَة الـدُّهُـور

● وقال إبراهيم بن العباس(٩٩):

إِنْ إِمْـرَأً ضَنَّ بِمَعْـرُوفِـهِ عَنِّى لَمَبْـذُول لَـهُ عُـذْرِى
مَـا أَنَا بـالـرَّاغِبِ فِى خَيْـرِهِ إِنْ كَانَ لَا يَرْغَبُ فِى شُكْرِى

● وقال أيضًا(١٠٠):

سَـاعَـدَنَـا الـدَّهْـرُ فَبِتْنَـا مَعًـا نَحْمِلُ مَـا نَجْنِى على السُّكْرِ
فكُنْتُ كـالـمَـاءِ لـه قَـارِعًـا وكَـانَ فِى الـرِّقَّـة كـالخَمْـرِ

---

(٩٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١٤ ص ١٥٩

(٩٧) هذه المقطوعة فى الديوان وهى كذلك فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٥٦ ص ١٧٠

(٩٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الميدانى ٣٠٣/٢، والعسكرى ١١٣/١، والقالى ١٥٨/١ كما وردت فى الطرائف، المقطوعة ١٥٨ ص ١٧٠

(٩٩) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهما فى الأغانى ٤٤/١٠، وزهر الآداب ١١٩ ونزهة الجليس ٣٦٧/٢، ومعجم الأدباء ١٦٨/١، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٩٦ ص ١٨٥ وفيه: (ما أنا بالراغب فى عُرْفه)

(١٠٠) ورد هذان البيتان فى الديوان، وفى الراغب ٦٨/٢ كما وردا فى الطرائف المقطوعة ١٩٧ ص ١٨٥

قافيــة السِّــين

● وقال إبراهيم بن العباس:(١٠١)

لا أُهَـنِّيـك بـطُوسٍ   بَـلْ أُهَـنِّـى بِـكِ طُـوسَـا
أصْـبَحَـتْ بَـعْـدَ خُـمـولٍ   بِـكَ يـا فَـضْـلُ عَـرُوسَـا

● وقال أيضًا:(١٠٢)

يَـا أَبَـا جَعْفَـرَ لَكَمْ مِنْ نَعِيمٍ   عَـادَ فى أَهْلِهِ بلاءً وبُـوسَـا
إعْـلَمَنْ عَـنْ تَيَـقُّنٍ واختـبـارٍ   إنَّ قَارُونَ كانَ مِنْ قومِ مُوسَى

● وقال كذلك:(١٠٣)

وَلَمَّـا بـدَا جَعْفَـرُ فى الخَمِيـ   ـسِ بَيْن المَطْل وَبَيْنَ العَرُوسِ
بَـدَا لَابِـسًـا بـهـمـا حُـلَّةً   أُزِيلَتْ بِهَـا طَالِعَاتِ النُّحُـوسِ
ولـمَّـا بَـدَا بـيـن أحْـبَـابِـهِ   وُلَاةِ العُهُـودِ وعـزِّ النُّفُـوسِ
غَـدَا قـمـرًا بَـيْـنَ أقـمـارِهِ   وشَمسًـا مـكَلَّلة بـالـشُّمُـوسِ
لإيـقـادِ نـارٍ وإطْـفَـائِـهَـا   ويـومٍ أنيقٍ ويـومٍ عَبُـوسِ

● وقال أيضًا:(١٠٤)

لم أرَ نَحْسًـا مُذْ غَـدَاةِ أمْسِ   أبْصَرتُ شَمْسًا في شُمُوسٍ خَمْسِ
تَـفْـضُـلهـنَّ بـكَـمَـال الـلُّبـس   فَضْلَ العَرُوسِ أَهْلها فى العُرسِ

● وقال:(١٠٥)

وَإِنِّى فى دُعائِكِ عن خُطُوبٍ   أَلَـمْت أُرَتَـجِيـكِ لَـهُـنَّ أَسِـى
كمُـرْسِـل دعـوةٍ بفَـلَاةِ أَرْضٍ   مَتَى تَبْلغْ مَـدَى تَرْجِـعْ بِيَأْسِ

---

(١٠١) ورد هذان البيتان فى الديوان، وفى نثر النظم للثعالبى، كما وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٢٣ ص ١٣٤.
(١٠٢) البيتان فى الديوان، وهما أيضا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١١٦ ص ١٥٩.
(١٠٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى الأغانى ٦٤/١٠، كما وردت فى الطرائف المقطوعة ٢٤ ص ١٣٤. وفيها البيت الأخير (بإيقاد نار) والمطل: اسم مكان أو قصر، والعروس: قصر المتوكل.
(١٠٤) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٦٥ ص ١٤٦.
(١٠٥) هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، وقد وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١١٥ ص ١٥٩.

● وقال إبراهيم بن العباس:[١٠٦]

إِذَا ذَمّ مــن زَمَــنٍ يَــوْمَــه   وَرَدَّ الــثَّــنَــاءَ إِلَــى أَمْــسِــهِ
جَـرَى بِكَ دَهْـرُكَ سَبْقَ الجَوَادِ   وَجَـلَّى بِنَـفْسِـكَ عَنْ نَفْـسِـهِ

(١٠٦) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهما فى الطرائف الأدبية ص ١٣٢.

قافيــة الضَّــاد

● وقال إبراهيم بن العباس:(١٠٧)

كَمْ قَدْ تَجَرَّعْتُ من غَيْظٍ ومن حَزَن ... إذا تَجَـدَّد حُـزن هَـوَّنَ المَـاضِي
وكَمْ غَضِبْتُ فَمَـا بَـالَيْتُم غَضَبِي ... حتَّى رَجِعتُ بقَلْبٍ سَـاخِطٍ رَاضِي

● وقال أيضًا:(١٠٨)

هَلْ كُنْتَ تَهْوَيْنِ أَنْ أَرْضَى سِوَاكِ وأن ... أُطِيلُ عَنْكِ إذَا مَااشْتَقْتِ إعْرَاضِي
أَمْ كُنْتِ تَرْضِينَ مِنّي بالَّذِي رَضِيتُ ... نَفْسِي بهِ مِنْ قَذَى عَيْنٍ واغماضِ

● وقال أيضًا:(١٠٩)

إذَا مابَدَوْا والقوم فَوْقَ سُـرُوجِهم ... تَنَاثَرت الأَشْرَافُ مِنْهُم عَلَى الأَرْضِ

---

(١٠٧) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى معجم الأدباء ٦٦/١، الخطيب ١١٧/٦، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٦ ص ١٤٦.

(١٠٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٧ ص ١٤٦.

(١٠٩) ورد هذا البيت فى الديوان، وفى الراغب ١٩٠/١، كما ورد فى الطرائف، المقطوعة ١٩٨ ص ١٨٥.

قافيـة الـظاء

* وقال إبراهيم بن العباس:(١١٠)

لـمـا وَثِـقْـتُ وَخُـنْـتَـنِـى فَـاظَتْ لِـذَاك النَّفْسُ فَيْـظَا
وَإِذَا وَفَـيْـتُ لِـمَـنْ يَـفِـى لِسِـوَاكَ دُونَـكَ مُتُّ غـيـظًا

(١١٠) هذان البيتان وردا فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردا فى الطرائف، المقطوعة ١٦٨ ص ١٧٦.

قافيـة العـين

● وقال إبراهيم بن العباس:[١١١]

ولَمْ تَـدْرِ يَـوْمَ البَيْنِ أَنّى وأنّهـا   أَشَـدُّ اكْتِئابًـا بـالفُـرَاقِ وأَوْجَـعُ
جَـرَتْ عَبْـرَةٌ مِنْهـا وأَذْرَيْتُ عَبْـرَةً   وحَـالَتْ جُفُـونٌ بينَ ذَلِـكَ تَـدْمَـعُ
ورُمْنَـا وداعًا فـاسْتَمَرَّتْ بِنَـا نَوًى   قَذُوفٌ وبَعْضُ النَّأْىِ لِلشَّملِ اجمَعُ

● وقال أيضًا:[١١٢]

فـإن تَشْبَعِى منَّا وتـروى ضَـلاَلَـةً   فـإنَّـا ورَبِّ البَيْتِ أَرْوَى وأَشْبَـعُ
وَإِنْ تجدى ماخَلْفَ ظَهْـرِكِ وَاسِعًا   فما قِبلَى مَنْ جَانبِ الأَرضِ أَوْسَعُ

● وقال أيضًا:[١١٣]

إمَّـا تَـرينّى أمـام القـوم مُتَّبعـا   فَقَـدْ أُرَى فِى وَرَاءِ اللَّيلِ أَتَّبِعُ
يومًا أُبيـحُ فلا أُرْعَى علَى نَشَب   وأَسْـتَبِيــحُ فَـلاَ أُبْقِـى ولا أَدَعُ
لاتَسْأَلِى القومَ عن حىِّ صَحِبْتُهم   مـاذا صَنَعتُ ومَـاذَا أَهْلُه صَنَعُـوا

● وقال كذلك:[١١٤]

إيْهًـا أَبَـا جَعْفَـرٍ ولِلدَّهْـرِ كَـرًّا   ت وعـمَّـا يُـرِيـبُ مُـتَّـسَـعْ
بَـعَثْـتَ لَـيْـثًـا علـى فَـرَائِسِـهِ   وأَنْتَ منها فانظر متى تقعْ[١١٥]
لَمظْتَـهُ[١١٦] قُـوْتُـه وفيـك لـه   لـو قَـدْ تَقَضَّتْ أقـواتُـه شَبَـعْ
بَـرأْى آلِ الجُنَيْد والفَتْـحِ والـرًّا   يِضِ تَـمْضِـى الأُمُـورُ يَـالُـكَـعْ

---

(١١١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى موجودة فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٦٩ ص ١٤٦.

(١١٢) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية. المقطوعة ٩١ ص ١٥٣.

(١١٣) هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى فى معانى العسكرى ٩٠/١، والنويرى ٢٠١/٣ وفيها : (وراء الخيل)، وفى الأصل (يوما أنيخ على نسب).

(١١٤) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١٧ ص ١٥٩.

(١١٥) (منها) أى من جملة الفرائس لأنك كاتب.

(١١٦) (لمظته قوته) أى أذاقته وأطعمته إياه.

● وقال ابراهيم بن العباس:(١١٧)

وأنْتَ هَـوَى النَّفسِ مِنْ بينهم وأَنْتَ الحَبِيـبُ وأَنْتَ الـمُـطَاعْ
ومـابِـكَ إن بـعَـدُوا وحشـة وَلَا مَعَهُم إنْ بَعُـدت اجْتِمَاعْ

● وقال أيضًا:(١١٨)

ونُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَـاعـةٍ إلَيَّ فَهلَّا نفسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
أأكـرَمُ مِنْ ليلَى عليَّ فَتَبْتَغِي بهِ الجاهَ أَمْ كنتُ امْرَأً لا أطيعُها

● وقال أيضًا:(١١٩)

وخِـلٍّ كنت عينَ الـرُشْـد منـه ومُسْتَمِعًـا إِذَا ذَكَـرُوا سَمِيعًـا
أطـاف بغيْـةٍ فنهيت عـنهـا وقلتُ لـه أَرَى أمـرًا فَـظِيعـا
أردتُ رَشَـادَةَ حتَّى إذَا مَـا عَصَى أمْـرِى أَبَيْنَـاهُ جَمِيعًـا

● وقال أيضًا:(١٢٠)

أَبَـا جَعْفَرٍ هَـلَّا اصْطَنَعْتَ مَـوَدَّتِي وكُنْتَ مُصِيبًـا فِيَّ أجرًا ومَصْنَعًـا
فكَمْ صَاحِبٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَدْرِ صَاحِبٍ فمَـدَّ له الأسبابَ فـارْتَفَعَـا مَعًـا

● وقال إبراهيم بن العباس:(١٢١)

مَلَامَكِ عنِّى جَلَّ خَطْبٌ فَـأَوْجَعَا ذَرِينِي وَمَـابِي قَبْـلَ أَنْ يَتَصَـدَّعَـا
أَلَـمْ تَعْـلَمِى أَنَّ الـمَلُومَ مـعـذَّبٌ وأَنَّ أَخِي لَاقَى الحِمَـامَ فَـوَدَّعَـا
وأَعْـدَدْتُـه لِلنَّـائِبَـاتِ ذَخِيـرةً فـأَضْحَى أَجَلَّ النَّـائِبَـاتِ وأَفْـظَعَـا
ودَافَعْتُ عَنْه الموتَ بالمالِ جَاهِدًا فأوردته مِنْـه عَلَى الرَّغْمِ مَشْـرَعَا
أبَـاجَعْفَر إنْ كـان قَـدَّمَـكَ الـرَّدَى أَمَـامِي وعَادَاكَ الحِمَـامُ فَـأَسْـرَعَـا
وخـلَّيتَـنـى لـلنَّـائِبَـاتِ دَرِيئَـةً أَظَـلُّ بهَا فِي كُـلِّ يوم مُـرَوَّعَا
فَعيْنِي مـا تنفـكُّ غَيْـرِى سخينـة عَلَيـكَ ورُكْنِي خَاضِعًـا مُتَضَعْضِعَـا

---

(١١٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الراغب ١٧/٢، وفى الطرائف الأدبية المقطوعة ٦٨ ص ١٤٦.

(١١٨) هذان البيتان فى الديوان، وفى وفيات الأعيان ١٧/١، يقول ابن خلكان: «أوردهما له أبو تمام الطائى فى كتاب الحماسة فى باب التسيب، وهما من الطويل». وقد ورد فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٩٩ ص ١٨٥.

(١١٩) هذه المقطوعة وردت فى الديوان، وهى فى الصداقة للتوحيدى ١٥٠، ومعانى العسكرى ١٢٢/١، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١٨ ص ١٦٠.

(١٢٠) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١١٩ ص ١٦٠.

(١٢١) وردت هذه القصيدة فى الديوان الذى جمعه الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة، ١٦٢ ص ١٧٢.

وبعدك لاأسى عَلَى فَقْدِ هَالِكٍ مَضَيْتُ فهوَّنْتَ المَصَائِبَ أجْمَعَا
سأحْمِي الكَرَى عَيْني وأفْتَـر آ حَيَاتِي إذْ صَارَ الثَّرَى لك مَضْجَعَا
وَقَيْتُك ماأخْشَاه جُهْدِي ولَمْ أطِقْ لردَّ قَضَاءِ اللّهِ إذْ حَلَّ مَدْفَعَا
فلَوْ أنَّنِي خُيِّرْتُ لم يَعْدُنِي الرَّدَى وكُنْتَ المُعَزَّى عن أخِيك المفجَّعَا
وَإنِّي لأسْتَحْيِي المَعَاشِرَ أنْ أرَى خِلافك حَيًّا بِالْبَقَاءِ مُمَتَّعَا
وما مرَّ يَوْمٌ فى البَلاَء كَيَوْمِهِ أمرَّ وأنْأى عن عَزَاءٍ وأشْنَعَا
وَبَيْنَ ضُلُوعِي غُصَّةٌ مُسْتَكِنَّةٌ مُجَاوِرة قَلْبًا بِذِكْرِك مُوجَعَا
وهَوَّنَ وَجْدِي فِيكَ أنَّ أمَامَنَا سِوَى دَارِنَا دَارًا سَتَجْمَعُنَا مَعَا

● وقال أيضًا:(١٢٢)

قولاً لَعَبْدِ اللّهِ ذَاكَ الَّذِي غَيَّرَهُ السُّلْطَانُ فى سَاعَهْ
إبْتَاعَ وُدِّي وهُو ذُو فَاقَةٍ حَتَّى إذَا نَالَ الغِنَى بَاعَهْ

● وقال أيضًا:(١٢٣)

ولَيْنِى قُلْتُ لَا أرْ ضَى بِأنْ يَقْضِي وأسْمَعْ
بَلْ كَمَا تَصْنَع بِي فِي كُلِّ أحْوَالِكَ أصْنَعْ
لا ولا نُعْمَةَ عَيْن لِيَ أن أرْضَى وأقْنَعْ
بِأبِي من مِنْكَ أولَى بِي ومَنْ مِنِّيَ أطْوَعْ

---

(١٢٢) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٤٧ ص ١٦٧.
(١٢٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٧٠ ص ١٤٧.

قافية الفاء

● وقال ابراهيم بن العباس:(١٢٤)

بقَلْبِى عَنْ هَوَى البِيض انْصِرَافُ ... وَيُعْجِبُنِى من السُّمْرِ القِضَافُ
وَإِنْ لَمْ أَنْتَفِع بالسُّودِ مِنْهَا ... فَلَيْسَ عَلىَّ مِنْ قَلْبِى خِلاَفُ

● وقال أيضا:(١٢٥)

أَوَاقِفٌ أَنْتَ مِنْ صَبْرٍ عَلَى ثِقَةٍ ... أَمْ مُسْتَكِينٌ لِرِيَبِ الدَّهْرِ مُعْتَرِفُ
يَامُؤْذِنِى بِنوىً قَدْ كنتُ آمَنُها ... مِنْكَ الفُرَاقُ ومنِّى الشَّوْقُ والأَسَفُ
أَوْدَعْتَ قَلْبِى من ذِكْرِ الفِرَاقِ جَوًى ... بَاتَتْ سَوَاكِنُ من قَلْبِى له تَجِفُ
لما انطويتَ عَلَى عَزْمٍ بَعثْتَ به ... علىَّ لِلدَّهْرِ يَوْمًا دُونَهُ التَّلَفُ
طويتَ هَمًّا بقَلْبٍ قَدْ أُتِيح لـه ... حمَى الهُمُومِ وعينٌ دَمْعُها يَكِفُ
أَحِينَ ذَلَّت لى الأيامُ فاحتجزت ... منِّى حَوَادِثها وانْقَادَ لِى الأَنِفُ
وإذا رَفَعْتَ علَى الأعداءِ بِى سببا ... أخسُّ يَوْمَىَّ فيه يومُ أَنْتَصِفُ
أشرعتَ لِى مَوْرِدًا أَعْيَت مَصَادِرُهُ ... فلَسْتُ أَدْرِى أَأَمْضِى فيه أَمْ أَقِفُ

● وقال أيضا:(١٢٦)

أعيضت بعد حَمْلِ الشَّوْ ... كِ أَحْمَالاً من الحرفِ
نَشَاوَى لاَ مِنَ الصَّهْبَا ... ءِ بلْ من شِدَّةِ الضَّعْفِ

● وقال أيضا:(١٢٧)

تزيده الأيام إنْ أَقْبَلَتْ ... حَزْمًا وعِلْمًا بِتَصَارِيفها
كأنَّهَا فِى وَقْتِ إسْعَافِها ... تُسْمِعه صوت تخاريفها

---

(١٢٤) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبوبكر الصولى، كما وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٧١ ص ١٤٧.

(١٢٥) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٢٠ ص ١٦٠.

(١٢٦) هذان البيتان فى الديوان، وهما فى كتاب بغداد لابن طيفور ٣٠٢/٦، والأغانى ٤٩/١٠ ونزهة الجليس ٣٦٦/٢، والطرائف المقطوعة ٢٠٠ ص ١٨٥.

(١٢٧) الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٠١ ص ١٨٦، وفى المروج (عصر المتوكل).

قافية القاف

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٢٨]

يـا أَخَا العُـرْفِ إِذَا عَنَّ إلـى العُـرْف الـطَّرِيـقُ
وأخَـا الـمَيْـتِ إِذَا لم يَـبْـقَ لِـلمَيْـتِ صَـدِيـقُ

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٢٩]

بلَوْت الزَّمَانَ وأَهْلَ الزَّمَانِ فكُـلٌّ بِـذَمّ ولُؤْم حَقيقُ
فأَوْحَشَنِى مِنْ صَدِيقى الزمان وأَنَسَنِى بـالعـدوّ الصَّـدِيقُ

● وقال أيضا:[١٣٠]

لاَمُوا وقَالُوا اصْطَبِرْ عَنْها فقُلْتُ لَهُم هَيْهَاتَ إِنَّ سَبِيلَ الصَّبْر قَدْ ضَاقَا
مايَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يُبْصِرهَا حتّى يَعُودَ إليها الطرفُ مُشْتَاقَا

● وقال أيضا:[١٣١]

خَـلِّ الـنِّـفَـاقَ لِأَهْـلِهِ وَعَلَيْكَ فالْتَمِس الطَّرِيقَا
واذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى إلاَّ عَـدُوًّا أَوْ صَـدِيقَـا

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٣٢]

سَحُـورُ مَحَاجِـرِ الحَدَقَـةْ مَـلِيـحٌ وَالَّـذِى خَلَقَـهْ
سَـوَاءٌ فـى رِعَـايَتِـهِ مُجَـانِبُـهُ ومَنْ عَشِقَـهْ
لِعَيْنِى فـى مَحَـاسِنِـهِ ريـاض مَحَاسنِ أَنِقَـهْ

---

(١٢٨) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردًا فى الطرائف المقطوعة ٢٧ ص ١٣٥.

(١٢٩) هذان البيتان فى الديوان، وفى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢١ ص ١٦١، وفى معانى العسكرى ٢/٢٠٠.

(١٣٠) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٧٢ ص ١٤٧.

(١٣١) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الأغانى ١٠/٥٨، ومعجم الأدباء ١/٢٦٤، والراغب ٢/٦، نزهة الجليس ٢/٣٦٧، وزهر الآداب ١١٣، وأدب الماوردى ٢١٧، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢٢ ص ١٦١. [يقول له: دع المداجاة فإما عدو بيّن العداوة وإمّا صديق بيّن الصداقة..].

(١٣٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى وفى الأغانى ١٠/٦٦، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٢٦ ص ١٣٥. وفيها: (ظلومُ محاجر) فى البيت الأول، (سواء فى رعايته) فى البيت الثانى، (وحينا فى دم غرقه) فى البيت الرابع.

فـأحْـيَـانًـا أُنـزِّهـهـا   وطَـوْرًا فِى دَمٍ غَـرقَـهْ
فَيَـا قَمَرًا أَضَـاءَ لَنَا   يُـلألِـئُ نـوره أُفُـقَـهْ
يُشَبِّهـه سَنَـا المعتـزّ   ذُو مِـقَـهٍ إذَا رَمَـقَـهْ
أمـيـنٌ قَـلَّدَ الـرحـمـ   ـنُ أَمْـرَ عِبَادِه عُنُقَـهْ
وفَـضْـله وطـيِّـبَـه   وطهْر فِى الوَرَى خُلُقَـهْ

● وقال أيضا:(١٣٣)

أمِيلُ مع الذِّمام عَلَى ابْنِ أُمِّى   وآخُـذُ لِلصَّـدِيقِ مِنَ الشَّقِيق
وَإن أَلْفَيْتَنِـى حُـرًّا مُـطَاعًـا   فـإنَّكَ وَاجِـدِى عَبْدَ الصَّدِيق
أفـرِّق بَيْنَ مَعْـرُوفِى وَمَنِّى   وأَجْمَعُ بَيْنَ مَـالِى والحُقُـوق

* وقال:(١٣٤)

قَطَّع الموتُ كلَّ حَبْلٍ وَثِيق   لَيْسَ لِلمَوْتِ بَعْده مِنْ صَدِيق
مَنْ يَمُت يَعْدِمِ النصيحة والاشـ   ـفاق من كلّ ناصحٍ وشَفِيق
نزَلَ الساكنُ الثَّرَى عن ذو الألـ   ـطاف بالمَنْزِلِ البَعِيد السَّحِيق

● وقال ابراهيم بن العباس:(١٣٥)

رُبَّـمَـا ارْتَجَت اللَّيَـا   لى بـإحْـدَى الـطَّوَارِق
كَم بِبَحْبُـوحَـةِ الثَّـرَى   مِـنْ حَبِيـبٍ مُـفَـارِق

● وقال أيضا:(١٣٦)

لَا تَلُمْنِى فـإنَّ همّـك أن تُثْـ   ـرى وهمّى مَكَـارِمِ الأَخْـلَاق
كيفَ يَسْتَطِيعُ حِفْظ ماجَمَعَتْ كَفُّـ   ـاه مَـنْ ذَاقَ لَـذَّة الإنفـاق

(١٣٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى الأغانى ٤٧/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٥/١، والحصرى ١٥٦/٤، ونقد النثر ٧٣، ونزهة الجليس ٣٦٧/٢، وأخبار أبى تمام ٧٢، والبيت الأول والثالث فى أدب الكتاب للصولى ص ٢٣٧. [والذمام: الحق والحرمة] [والمنّ: تعداد النعم والتعبير بها وهى مفسدة للمعروف].

(١٣٤) هذه المقطوعة وردت فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧٤ ص ١٧٨.

(١٣٥) هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧٥ ص ١٧٨.

(١٣٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٠٢ ص ١٨٦.

قافية الكاف

● وقال ابراهيم بن العباس في تهنئة الحسن بن سهل بصهر المأمون:(١٣٧)

هَنَتْكَ أُكْرُومَةٌ جُلِّلَت نعمتُها   أَعْلَتْ وَلِيَّكَ واحْتَثَّتْ أَعَادِيكَا
مَاكَانَ يَحْيَا بِهَا إِلَّا الإمامُ وما   كانت إِذَا قُرِنَتْ بالحقِّ تَعْدُوكَا
بَاللَّهِ لو أطلقَتْ أُمَّتك قاصدةً   عند بُعد مَصْدَرِها حَتَّى تُوَافِيكَا
أَوْ لَوْ تُبَاعُ حَبَاكَ الأَوْلِيَاءُ بها   ورَدُّها كلّ مَنْ أضحى يُنَادِيكَا
ماجُدِّدت لَكَ مِنْ نُعمى وإن عَظُمَت   إِلَّا يصغِّرها الفضلُ الَّذى فِيكَا
لازلت مُسْتَحدثا نُعْمَى تُسَرّ بها   عَلَى الزَّمَانِ وَلَازلنا نُهَنِّيكَا

● وقال أيضا:(١٣٨)

أحسبُ النومَ حكَاكَا   إِذْ رأى مِثْلَ جفَاكَا
منِّىَ الصبرُ ومنْكَ الـ   ـهَجْرُ فابلغْ بى مَدَاكَا
بَعُدت همَّةُ عَيْنٍ   طَمِعت فِى أَنْ تَرَاكَا
أَوَ مَا حظٌّ لِعَيْنِى   أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَآكَا
ليت حَظِّى مِنْكَ أَنْ   تَعْلَمَ مَابِى مِنْ هَوَاكَا

● وقال أيضا:(١٣٩)

عَفَتْ مَسَاوٍ تبدَّت مِنْكَ وَاضِحةً   عَلَى مَحَاسِنِ بقَّاهَا أَبُوكَ لَكَا
لَئِنْ تَقَدَّمتَ أبناءُ الكِرام بِهِ   لقد تقدَّمَ آبَاءُ اللِّئَامِ بكَا

---

(١٣٧) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، والبيتان الأولان فى الأغانى ٦٥/١٠، ونزهة الجليس ٣١٨/٣ وفيهما (سرّت وليك) و (ما كان يحبو) ، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٨ ص ١٣٥.

(١٣٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى أخبار البحترى للصولى ١٧٣، ومعجم الأدباء ١٩١/١، والمرتضى ١٢٩/٢، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٧٤ ص ١٤٨.

(١٣٩) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى معجم الأدباء ٢٧٤/١، المرتضى ١٣٢/٢، والطرائف الأدبية المقطوعة ١٢٥ ص ١٦٢.

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٤٠]

أَبَاجَعْفَرٍ خَفْ نَبْوة بَعْد صَوْلَةٍ   وَقَصِّرْ قليلاً عَنْ مدى غُلْوَائِكَا
فَإِنْ يكُ هَذَا اليَوْمُ يومًا حويته   فإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كرَجَائِكَا

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٤١]

دَعْنِي أُوَاصِلُ مَنْ قطعـ   ـتَ يَرَاكَ بِي إِذْ لَا يَرَاكَا
إِنِّي مَتَى أَهْجُر لهجـ   ـرِكَ لا أضر بِهِ سِوَاكَا
وَإِذَا قَطَعْتُكَ فِي أخيـ   ـكَ قطعتُ فِيكَ غدًا أَخَاكَا
حَتَّى أرى مُتَقَسِّمًا   يَوْمِي لذا وَغَدِي لِذَاكَا

● وقال ابراهيم بن العباس:[١٤٢]

إِنْ لَا أَرَاكَ إِذَا ظلمـ   ـتَ فَقَدْ يَرَاكَ اللَّهُ ربُّكْ
فَيَرَاكَ تَعْلَمُ أينَ قَلْـ   ـبِي مِنْ هَوَاك وأَيْنَ قَلْبُكْ
وَيَرَاكَ تأْخُذُنِي بِذَنْـ   ـبِكَ ظَالِمًا والذنبُ ذَنْبُكْ
اصنع فديتك ما تشا   ءِ وجدتَ إنسانًا يُحِبُّكْ

● وقال ابراهيم بن العباس[١٤٣]:

قلتَ إِنَّ الذَّنْبَ لِي والـ   ـذَّنْبُ فِعْلٌ من فِعَالِكْ
لَكَ دونى الذنبُ ماكا   ن فُؤَادِي فى حِبَالِكْ
فَإِذَا ردَّ فُؤَادِي   فلِيَ الذنبُ وَلَا لَكْ
هَلْ فؤادي وهو في مِلْـ   ـكِكَ إلّا لخيالِكْ
كَمْ لَهُ مِنْ زَوْرَةٍ لي   عنْكَ لم تَخْطُرْ بِبَالِكْ

---

(١٤٠) هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الأغانى ١٠/٤٤ ولكن برواية أخرى وهى:

أبا جعفر خَفْ خفضة بعد رفعة   وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوما حويته   فإن رجائى فى غدٍ كرجائكا

وفى معجم الأدباء: (فإن كُنْت قد أُوتيت عزًّا ورفعة)، كما وردا أيضا فى معجم الأدباء ١/٢٦٤، ونزهة الجليس ٢/٣٦٧، والراغب ١/١٠٩، والوفيات ٢/٥٦، وهما فى الطرائف المقطوعة ١٢٤ ص ١٦١.

(١٤١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢٦ ص ١٦٢، كما وردت فى الأغانى ١٠/٦١ وفيها (إنى متى أحقد لحقدك) فى البيت الثانى (وإذا أطعتك فى أخيك أطعتُ).

(١٤٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٧٣ ص ١٤٧.

(١٤٣) هذه المقطوعة وردت فى الديوان الذى جمعه الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٧٥ ص ١٤٨

● وقال أيضا[١٤٤]:

إذَا ذَكَــر النـاسُ أعْــدَاءهم فَأَقْذِرْ بـذِكْرِ اللَّئِيمِ السَّهِـكْ
لـمَنْ مُنْتَـهَــاهُ إلَى جَبُّــل وَمَانى وأَرْطَالِ عبـدِ المَلِكْ
ويَسْعَى علَى كلِّ ذِى نِعْمَةٍ فَمَــا إنْ يُبَقِّى وَلَا يـتْـرِكْ

(١٤٤) هذه المقطوعة وردت فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢٣ ص ١٦١

قافية اللام

● وقال ابراهيم بن العباس[١٤٥]:

ولكنَّ عبدَ اللّهِ لَمَّا حَوَى الغِنَى ... وصَارَ لَهُ مِنْ بَيْنِ إخْوَانِهِ مَالُ
رَأى خَلَّةً منهُمْ تُسَـدُّ بمالِـهِ ... فَسَاهَمَهُمْ حتَّى اسْتَوَتْ بِهِم الحالُ

● وقال أيضا[١٤٦]:

يبعثُ منه النَّدَى فى المحول ... رَبيعًـا سَحَـائِبـه تَهْـطِلُ
ويبعثُ منـه الـوَغَى ضَيْغَمًـا ... بَـرَاثِنُه الـرُّمْـحُ والمُنْـطلُ

● وقال أيضا[١٤٧]:

ما الذى أَفْعَلُ أَمْ مَا أقولُ ... حَـدَثٌ لَـوْ تَعْلَمِينَ جَلِيـلُ
نعمـةٌ مَهْنَؤُهـا لـلأعَـادِى ... فَـإذَا زَالَتْ فَعَنِّى تَـزُولُ
كنتُ أَرْمِى الدهرَ عَنْها فأمْسَى ... وَبِهَـا صَـوْلَتُـه إذْ يَصُـولُ
بِئْسَ ما أعْتَاضَ أخٌ من أخِيهِ ... حُجَّـةٌ تَبْقَى وعَهْـدٌ يَزُولُ

● وقال أيضا[١٤٨]:

وكنَّا متَى ما نَلْتَمِس بسُيُوفِنَا ... طَوَائِلَ ترجِعْنَا وفِينَا الطَّوائِلُ
ويأمنُ فينَا جَارُنَا وعيوننا ... وترقدُ عَنًّا فى المحُول العَوَاذِلُ
نهمّ فتُعطِينَا المنَايَا قيادَها ... وتُلقى إلينا ما تُكِنّ المَعَاقِلُ

---

(١٤٥) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهما فى الأغانى ٤٤/١٠، ومعانى العسكرى ١٨٥/٢ ومعجم الأدباء ١٦٧/١، واللآلى ٢٧٩، وابن الشجرى ١٢٠، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٢ ص ١٣٦ [والخلة: الفقر الحاجة، وساهمهم: أى قاسمهم]. يقول ياقوت: «وهذا الشعر يدل على أن قبله غيره، ولولا أن يكون قبله غيره، لقال: (ألا إن الجواد أبا هشام) و (ألا إن عبد الله) أى لجاء بأداة الاستفتاح وهى (ألا) ويكون قصد الإيهام بمدح قد تقدم، هذه الأبيات من جملته». معجم الأدباء ١٦٨/١

(١٤٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٩٧ ص ١٥٤

(١٤٧) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٣٤ ص ١٦٤. وفى الأصل (أم ماذا) فى البيت الأول و (إذا يصول) فى البيت الثالث.

(١٤٨) هذه المقطوعة وردت فى الديوان، ومجموعة المعانى ٥٠، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٢٠٣ ص ١٨٦

● وقال ابراهيم بن العباس[(١٤٩)]:

فَهَبْنِى مُسِيئًا مِثْلَ ما قُلْتَ ظَالِمًا   فَعَفْوا جَمِيلاً كَىْ يكُونَ لَكَ الفَضْلُ
فَإِنْ لم أكُنْ بالعَفْوِ منْكَ لسُوءِ ما   جَنَيتُ بهِ أهْلًا فأنتَ لَها أهْلُ

● وقال أيضا[(١٥٠)]:

وخليلٌ لى أرْضَا   هُ لإخْوانى خَلِيلاَ
لاَ يَرَى بَذْلَ جَزِيلٍ   عِوَضَ الحمدِ جَزِيلاَ
بَلْ يَرَى كُلَّ كَثيرٍ   عِوَضَ الحمدِ قَلِيلاَ
زَاوَلَ اللَّيْلَ فلمَّا   أنْ رَأى الليلَ طَويلاَ
فَجَّرَ الصُّبحَ بصَهْبَا   ءَ جَلَتْ عنه السُّدُولاَ
لَمْ يَزَل يَقْتُلها حتى   انجَلَتْ عَنْه قَتيلاَ
فى نَدَامىَ باكَرُوا القهـ   ـوةَ والرَّاحَ الشَّمُولاَ
فاجْتَنُوا مِنْها سُرُورًا   واجْتُنِب منهم عُقُولاَ

● وقال أيضا[(١٥١)]:

رَدَّ قَوْلِى وصَدَّق الأقْوَالاَ   وأطَاعَ الوُشَاةَ والعُذَّالاَ
أتُراه يكون شهرَ صُدُودٍ   وعَلَى وَجْهِهِ رَأيْتُ الهِلاَلاَ

● وقال أيضا[(١٥٢)]:

وأجْنى عَلَى قَوْمِى وأحْمِلُ عَنْهُم   وسَيِّدُ قَوْمٍ مَنْ جَنَى وتحمَّلاَ
وَإنْ أجْنِ لا أحملْ عَلَيْهِم جَرِيرتى   ولكننى إمَّا جَنَوْا كنتُ مَوْئِلاَ

---

(١٤٩) ورد هذان البيتان فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، وهما فى معجم الأدباء ٢٧١/١، والطرائف الأدبية ٢٠٤ ص ١٨٧

(١٥٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٧٦ ص ١٤٨ [يقتلها: أى يمزجها بالماء]

(١٥١) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الأغانى ٢٨/١٠، ومعجم الأدباء ٢٦٧/١، ونزهة الجليس ٣٦٦/٢ كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٧٧ ص ١٤٩، وفيها (رأيت هلالا)

(١٥٢) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما ورد فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٩٦ ص ١٥٤.

● وقال ابراهيم بن العباس(١٥٣):

كُنْ كيف شِئْتَ وقُلْ ما تَشَا ... ءُ وأبْرِقْ يَمِينًا وأرعِدْ شِمَالاَ
نَجَا بِكَ لؤمُكَ مَنْجَى الذُّبَا ... بِ حَمَتْهُ مَقَاذِيرُه أنْ يُنَالاَ

● وقال أيضا(١٥٤):

وقائلٍ لى أبدًا ... إنْ جدَّ أو إنْ هَزَلاَ
حتى إذَا اضطُرَّ إلَى ... قولِ نَعَمْ قال بَلَى
تأنُّسًا منهُ بمَا ... قَدْ ضَمِنَتْ من ذِكْرِلاَ

● وقال أيضا(١٥٥):

ياأخًا لَمْ أرَ فى النَّاسِ خِلاًّ ... مثلَه أعجبَ هَجْرًا وَوَصْلاَ
كُنْتَ فى أوَّلِ يَوْمِى صَدِيقًا ... فَعَلَى عَهْدِك أمْسَيْت أمْ لاَ

● وقال(١٥٦):

قالَتْ لئن خفتَ من شَيْبٍ ومن كِبَرٍ ... إنّ المَنَايَا لَتَغْتَالُ الفَتَى البَطَلاَ
فَلَيْسَ خائفُ يومٍ وهو ذُو أمَلٍ ... كخَائِفِ دهره مُسْتَوْفِزًا وَجِلاَ

● وقال ابراهيم بن العباس(١٥٧):

إذَا ما انقضى مجلسٌ للوزير ... شَهِدْنَا بِأنْ لاَ نَرَى مثلَهْ
فإن عَادَ أبْدَعَ فى فِعْلِهِ ... بَدَائِعَ تُنْسِى الَّذِى قَبْلَهْ

● وقال أيضا(١٥٨):

إذَا الحربُ جَالَتْ بِهِمْ جَوْلَةً ... وَصَالَ بِهِم دَهْرُهُم صَوْلَةْ
فَلِلّه دَرُّك أىّ ابن يومٍ ... ودرْك أىّ ابن ما لَيْلَةْ

---

(١٥٣) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى أخبار أبى تمام للصولى ص ٤٣، وأمالى المرتضى ١٣٣ وديوان المعانى للعسكرى ١٧٩/١، المنتحل ١٣٢، والموازنة ٢٦، ويتيمة الدهر ٢٥٨/٢، والحماسة البصرية ٣٨٧، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢٩ ص ١٦٣.

(١٥٤) هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية ١٣٢ ص ١٦٤، وفى معجم الأدباء ٢٧٥/١.

(١٥٥) ورد هذان البيتان فى الديوان وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٣٣ ص ١٦٤، كما وردا فى البديع ٦٦ وخاص الخاص ١٠٠، والصناعتان ٨٦.

(١٥٦) ورد هذان البيتان فى الديوان وفى الطرائف المقطوعة ١٧٦ ص ١٧٨

(١٥٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٠ ص ١٣٦.

(١٥٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣١ ص ١٣٦.

● وقال أيضا(١٥٩):

لَئِنْ أَدْرَكَ الزَّيَاتُ بالزَّيْتِ رُتْبَةً ... لمِنْ قبلِهِ الخَلَّالُ بالخَلِّ نَالَهَا
تَـوَرَّط مِنْها نِعْمَـةً طَمَحَتْ بِـهِ ... فَمَـا لَبِثَتْ أن أَعْقَبَتْـهُ زَوَالَهَا

● وقال(١٦٠):

تخذْتُكم دِرْعًا وتُـرْسًا لتَـدْفعُوا ... نِبَالَ العِدَى عنّى فَكُنْتُم نِصَالَها

● وقال(١٦١):

وما لَبِسَ الأَقْوَامُ ثَوْبًا مِنَ الهَوَى ... ولا جَدَّدُوا إلَّا الثِّيَابَ التى أَبْلى
وَلَا شَرِبُوا كَأْسًا مِنَ الحُبِّ حُلْوَةً ... ولا مُـرَّةً إلّا وشُـرْبُـهم فَـضْلى

● وقال(١٦٢):

كَـانَ أخًا ثم عَـادَ لى أَمَلًا ... فَـبِتّ بَـيْنَ الإخَـاءِ والأَمَــلِ
تـصبـح أَعْـدَاؤه عَـلَى ثِقَـةٍ ... مِنْـهُ وإخْـوَانُــه عَلَى وَجَـلِ
تـذلّـلاً للعـدوّ عَنْ ضَعَـةٍ ... وَصَـوْلةٍ بـالصديق عن دَخَـلِ

● وقال ابراهيم بن العباس(١٦٣):

أَبَـا جَعْفَـرٍ سَنْتَـنِى خُـطّه ... تَجَـاوَزْتَ فيهـا وَلَمْ تَعْـدِلِ
وخُبِّـرتَ عن قَـوْلَـةٍ قُلْتُهـا ... أَحَـرَّ وأَبْـرَى من المُنْصُـلِ
تـوهَّمْتَ فيهـا خَـلاقى عليـ ... ك وماذَا جزاء الأخ المُفْضِلِ
وقلتَ يَـرانى بـعَيْـنِ إزْدِرَاءٍ ... وفى قيمة الأَوْضَعِ الأَرْذَلِ
وذَلِـكَ أَنــىّ مــن جَـبُّـلٍ ... فلِمَ قلتَ ذاك ولَمَ تَعْجَـلِ
هُمَا صلعةٌ أنَـا فى صَدْرِها ... فبغـدَاد تقـربُ مِنْ جُبُّـلِ
ودَعْ عَنْكَ ما بَعْدَ ما تَسْتَـرِيـ ... ب وعَدِّ عن المنكرِ المُشْكِلِ
وأَكِّـدْ شَـرِيـطَةَ مــا بَيْنَنَـا ... بقَـوْلٍ من الحقّ مستقبَـلِ

---

(١٥٩) هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٣٥ ص ١٦٤، والخلّال: هو أبو سلمة حفص ابن سليمان أول وزير للسفاح، قتله أبو مسلم الخراسانى بإيعاز منه.

(١٦٠) ورد هذا البيت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٠٦ ص ١٨٧، وهو فى الراغب ١٧٢

(١٦١) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٧٨ ص ١٤٩

(١٦٢) هذه المقطوعة فى الديوان، وقد وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٢٧ ص ١٦٢ والبيتان الأخيران فى مجموعة المعانى ٣٠

(١٦٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٢٨ ص ١٦٢، والبيت السادس فى الأصل مقلوب المصراعين، العجز مقدم والصدر مؤخر.

● وقال أيضا(١٦٤):

عَهْدِى بَعَوْفٍ وهـو مِنْ مَازِنٍ   فممَّن اليـومَ أبُـو نَـهْشَـلِ
آنَ لعـوفٍ أن يُـرى راضيًـا   قَدْ حَلَّ فى بيتٍ ولم يَرْحلِ

● وقال أيضا(١٦٥):

ربَّما تكْرَهُ النُّفُوسُ من الأمـ   ـرِ لَها فَرْجَةٌ كحَلِّ العِقَالِ

● وقال أيضا(١٦٦):

أَذَنَـتْـكَ الـشَّـعْـرَاتُ الـ   بيضُ بـالخَـطْبِ الجَليـلِ
لم تَدَعْ فِى النَّفْسِ شَكًّا   لَـكَ فى وَشْكِ الـرَّحِيـلِ
يـوشِـكُ المُـرْسِـلُ أَنْ   يـأتىِ مِنْ بَعْدِ الـرَّسُولِ

● وقال ابراهيم بن العباس:(١٦٧)

مَنْ تهيّـا لَهُ أَخٌ كَـأخ لِى   كان دون الأنام أُنْسى وَخِلّى
رَفَعَتْـهُ حَـالٌ فِحـاول حَـطىِّ   وأبَـى أَنْ يُعَـزَّ إلاّ بِـذُلِّـى
لَمْ يكُنْ بَيْنَ أَنْ تَوَلّى وأَنْ أقـ   ـبَـلَ إلاّ مقـدارُ عَقْـدٍ وحَـلِّ

● وقال أيضا:(١٦٨)

لمن لاأَرَى أَعْرَضْتُ عَنْ كُلّ مَنْ أَرَى   وَصِـرْتُ عَلَى قَلْبِى رَقِيبـاً لقَـاتِلِه
أدافِـعُـهُ عَـنْ سَـلْوةٍ وأَرُدُّهُ   حَيَـاءً على أَوْصَـابِـهِ وَبَـلاَبِـلِه

---

(١٦٤) هذان البيتان وردا فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٣١ ص ١٦٣

(١٦٥) ورد هذا البيت فى معجم الأدباء ٢٧١/١، المرتضى ١٣١/٢، وأدب الماوردى ٢٥٩، مجموعة المعانى ١٣٥.

(١٦٦) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٨١ ص ١٨٠

(١٦٧) وردت هذه المقطوعة فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٣٠ ص ١٦٣، كما وردت فى معجم الأدباء ٢٧١/١، وأحسن ما سمعت ٣٨، خاص الخاص ٩٩، وقد روى أبو بكر الصولى البيتين الأولين رواية أخرى وهى:

من رأى فى الأنـام مثل أخٍ لِى   كـانَ عونى على الـزمـانِ وَخِلّى
رفـعـتـه حـال فـحـاول حَـطىِّ   وأبَـى أن يـعـزّ ألاّ بـذُلِّـى

راجع أدب الكتاب ص١٥٩.

(١٦٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية ٧٩ ص١٤٩.

● وقال أيضا:(١٦٩)

إحـدى المُلِمّـاتِ الجَـلاَئِـلْ   أَوْدَتْ بفَضْـلٍ والـفَضَـائِـلْ
يـاذَا الـرِّئَـاسـةِ والـسِّيَـا   سةِ وابنِ سَادَتِها الأَوائِلْ
أنِسَتْ بِبَهْجَتِـكَ القبـو   رُ وأَوْحَشَتْ مِنْـكَ المنـازِلْ
أَلْـيـوم عُـطِّلت الـفُـرُو   ضُ وَصَالَ بالإِسْلاَمِ صَائِلْ
مَـنْ لـلعـديـم وَلِـلْغَـريـ   ـمِ وَلِلْيَتَـامَـى والأرامِـلْ؟
مَنْ يَحْمِـلُ الخَـطْبَ الجَليـ   ـلَ ويُبْطِلُ البَطَلَ الحُلاَحِلْ؟
نـزلـتْ بـآلِ مـحـمـدٍ   والـدينِ مُنْسِيَـةُ النَّـوازِلْ
دَرَسَتْ سبيـلَ الـرَّاغِبيـ   ـن وعَطِّلت منها المناهِلْ
والأرض أَصْبَـح ظَهْـرُهـا   مَقْـراً وبَطْنُ الأَرْضِ آهِـلْ
الـمـوتُ بَعْـدَكَ نـعـمـةٌ   والعيشُ بعدك غيـرُ طـائِـلْ
إمـا يَـزل بِـكَ ذَا الزَّمَـا   نِ فـإن مَدْحَكَ غيـرُ زَائِـلْ
فِـى اللهِ والـمـأمـونِ مـنـ   ـه المرتضى عَوضٌ لعـاقِـلْ
مـثـلُ الخَـليفَـةِ والـرضَـى   عَزّا عن النُّوَب الجَـلاَئِـلْ
وبَـنِـى الأكَـارِمِ لـلأكَـا   رِمِ والعَقَـائِـلِ لِلمعَـاقِـلْ
مـا مـاتَ مَنْ حَسَنٌ أَخُـو   هُ وشِبْهُـهُ فِيمَـا يُحَـاوِلْ
سَـائِـلْ أميـرَ المُـؤْمِنيـ   ـنَ بـهِ الأسِنَّةَ والمَنَـاصِـلْ
إذْ لاَ مَقِيـلَ لهـا مِنَ الـ   أَعْـداءِ إلاَّ فِـى المقـاتِـلْ
فِـى فِـتْـيَـةٍ أَسْيَـافُـهُـمْ   يَـوْمَ الـطِّعَـانِ لَهُم مَعَـاقِـلْ
مُـتَـدرِّعِـيـنَ قُـلُوبَـهُـم   فَـوْقَ الدُّروع لَـدَى التَّنَـازُلْ
حَـمَّـالَ كـلِّ عَـظِيـمَـةٍ   ومـعـانِ مـعـتـرّ وَسَـائِـلْ

(١٦٩) وردت هذه القصيدة فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية ١٦٣ ص ١٧٢.
[المقاتل: العنق والبطن. ومعان: منزل].

● وقال إبراهيم بن العباس:[١٧٠]

لَفَضْــل بن سَهْــل يَــدٌ　　تُقَــاصِــرَ عَنْهَــا المُثُــلْ
فَــنَــائِــلُهــا لِــلغِــنَــى　　وَسْــطَوتُــهَــا لــلأَجَــلْ
وَبَــاطِــنُــهَــا لِــلنَّــدَى　　وظَــاهِــرُهــا لــلقُــبَــلْ

● وقال أيضا:[١٧١]

ومــازِلْتُ مُــذْ لَــدُن أُعْــطِيتُــهُ　　أُدَافِــع عنــه حَمــامَ الأَجَــلْ
أُعــوِّذه دَائِــمــا بــالــقُــران　　وأرْمى بِطَرْفِى إلى حَيْثُ حَلْ
فأَضْحَت يدى قَصْدُها وَاجِــدٌ　　إلَى حيثُ حَــلَّ فَلَمْ يَرْتَحِــلْ
بنَفْسِى حَبِيبٌ ثَوَى فِى الثَّرَى　　وشَــارِقُ حُسْنٍ بِهِ قَــدْ أَفَــلْ

● وقال:[١٧٢]

كانَ الشَّبَابُ كَخضَابٍ قَدْ نَصَلْ　　وابْتَــزّهُ الشَّيْبُ مَحَــلاً فَنَــزَلْ
فأزعجُ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فارتحَلْ　　إزعاجك العِيسَ بحالاً وَبحَلْ
والشَّيْبُ داءٌ قَاتِلٌ وإنْ مَطَلْ　　معجِّل بالموتِ مِنْ قبلِ الأَجَلْ

---

(١٧٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الصناعتين ١٦٩، ومعانى العسكرى ٢ / ٢١٥، وحماسة ابن الشجرى ١١٥ ، والحصرى ٢ / ١٤، والراغب ١ / ١٩٠، والنويرى ٢/٩٦، وفى الأغانى: البيت الثالث قبل الثانى، وفيه (وبسطتها للغنى) كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٢٩ ص١٣٦.

(١٧١) هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى أيضا فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٧٧ ص ١٧٩ والأبيات الثلاثة الأولى فى الأغانى ١٠ / ٤٩، ومعجم الأدباء ١ / ٢٦٦، وفيها: (مذ لد أعطيته) و (أعوِّذه دائبا).

(١٧٢) هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهى فى المرتضى ٢ / ١٢٩، وهى أيضا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧٨ ص ١٧٩.

قافيـــة الميم

● وقال إبراهيم بن العباس:[١٧٣]

أناة فإنْ لَمْ تغنِ أعْقَبَ بَعْدَهَا وَعِيداً فَإنْ يجدِ أجْدَتْ عَزَائِمُهْ

● وقال أيضا:[١٧٤]

ليَهْنِكَ أصْهَارٌ أذَلَّت بِعِـزِّهَا خُدُوداً وجَدَّ عَنَ الأُنُوفَ الرَّوَاغِمَا
جَمَعْتَ به الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هاشِمٍ وحُزْتَ بِهِ للأكْرَمينَ المكَارِمَا
بَنُوكَ غداً آلُ النبيِّ ووارثُوا الـ خِلافَةَ والحاوُون كِسْرَى وَهَاشِمَا

● وقال:[١٧٥]

دَعَوْتُ لإحْدَى النَّائِبَاتِ محمّداً فَـأعْرَضَ عَنِّى جَـانباً وَتَجـرَّمَا
ورُبَّ امرىء ناديتُ عند مُلِمّة فـألفيتُه مِنْهـا أجَلَّ وأعْـظَمَـا

● وقال كذلك:[١٧٦]

قَدَرْتَ فلم تَضْرُر عَدُوًّا بِقُدْرَةٍ وَسُمْتَ بِهِ إخْوَانَكَ الذُلَّ والرَّغْمَا
وكُنْتَ مَلِيئاً بالّذى قَدْ يَعَـافُهَا مِنَ النَّاسِ مَنْ يأبَى الدَّنِيئةَ والذَّمَا

● وقال أيضا:[١٧٧]

إنّ الزمانَ وَمَا تَرَى بِمفَارِقِى صرَفَ الغِوَايَةَ فانْصَرفْتُ كَرِيماً
وصحوتُ إلاّ مِنْ لِقَاءِ محدِّث حَسَنُ الحديثِ يَزِيدُنِى تَفْهِيماً

---

(١٧٣) هذا البيت فى الديوان الذى جمعه الصولى، وهو فى معجم الأدباء ١ / ٢٧٢، والأغانى ١٠ / ٦٤، والوفيات ١ / ١٠ كما ورد هذا البيت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧٩ ص١٧٩.

(١٧٤) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى الأغانى ١٠/ ٦٠ وفيه (ليهنئك.. وجدعت) فى البيت الأول و (بنوك غدوا) فى البيت الثالث. وهى فى الطرائف الأدبية. المقطوعة ٣٥ ص١٣٧.

(١٧٥) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى حماسة ابن الشجرى ٧٧، والثانى فى النويرى ٣ / ٩٢ وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٣٧ ص١٦٥.

(١٧٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردَا فى الأغانى ١٠/٥٧، وى معجم الأدباء ١٧٢/١ وفيه (وكنت قمليًا.. ويأتى الدنية) كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٣٩ ص ١٦٥.

(١٧٧) هذان البيتان فى الديوان وفى الطرائف الأدبية ص١٧٦.

● وقال إبراهيم بن العباس:(١٧٨)

أَرَاكَ إِذَا أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا ... مُقِيماً وَإِنْ أَعْسَرتَ زُرْتَ لِمَا مَا
فما أنتَ إلاّ البدرُ إنْ قَلَّ ضوءُهُ ... أغب وإنْ كان الضياءُ أقَامَا

● وقال أيضا:(١٧٩)

خيرُ مَاسَائِسٍ وخَيرُ مَسُوسٍ ... لِلإمَامُ وابنُ الإمَامِ
قمرٌ طَالِعٌ لليلةِ تِمّ ... وهلالٌ يَنْمى على الأيامِ

● وقال أيضًا:(١٨٠)

وعَلَّمْتِنِي كيفَ الهَوَى وَجَهِلتهِ ... وَعَلَّمكمْ صَبْرِى عَلَى ظُلْمِكُم ظُلْمِى
وَأَعْلَمُ مَا لِى عِنْدَكُم فيَمِيلُ بِى ... هَوَاىَ إلَى جَهْلٍ فأُقْصِر عن عِلْمِ

● وقال أيضا:(١٨١)

صبحتُ من رأى أبى جعفر ... فى هَيْأةٍ تُنْذِر بالصَيْلَمِ
مِنْ غيرِ مَا جُرْمٍ ولكنّها ... عداوةُ الزِّنْدِيقِ للمسلمِ

● وقال:(١٨٢)

كيف أصبحتَ صَفِىَّ الـ ... نَّفسِى مِنْ بَيْنِ الأَنَامِ
كيف ما خَلّفتَ مِن ... أهل حَلاَلٍ وحرامِ

● وقال إبراهيم بن العباس:(١٨٣)

بَدَا حِينَ أَثْرَى بإخْوَانِهِ ... فَقَلَّلَ عنهم شَبَاةَ العَدَمْ
وذكَّره الحَزْمُ غِبَّ الأمُورِ ... فَبَادَرَ قَبْلَ إنْتَقَالِ النِّعَمْ

---

(١٧٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى البكرى.. اللآلى ص٦١٦ وقد نسبهما صاحب أسرار البلاغة لأبى بكر الخوارزمى ص١٠٨، وكذلك اليتيمة ١٥٢/٤، والحصرى، وهما فى الطرائف الأدبية ص١٨٧.

(١٧٩) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٣ ص١٣٧.

(١٨٠) هذان البيتان وردا فى الديوان، وهما فى الأغانى ٦٠/١٠ وفيه (وأعلم مالى عندكم فيردنى... عن عِلْمى) وقد وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٠ ص١٥٠.

(١٨١) هذان البيتان فى الديوان، وفى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٣٦ ص١٦٥، وفى الطبرى ١٣٧٦/٣.

(١٨٢) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٧٠ ص١٧٧.

(١٨٣) هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٤ ص١٣٧.

● وقال أيضا:(١٨٤)

مَنْ كَانَت الأَمْوَالُ ذُخْـرًا له   فإنَّ ذُخْرِى أَمَلِى فى هِشَامِ
فتىً الــلَّآمــةَ من عِــرْضِـهِ   وأَنْهَبَ المــالَ قَضَاءَ الــذِّمَامِ

(١٨٤) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٣٨/٣٦، كما وردا فى الأغانى ٦٢/١٠. [اللآمة: اللؤم] وهذان البيتان قالهما إبراهيم بن العباس فى هشام الخطيب، وقد شفع له عند المأمون.

قافيــة النــون

وقال إبراهيم بن العباس:(١٨٥)

رَاحَتْ بِهِ العِيْس عَنْ أَرْضٍ بِها شَجَنٌ   يَــؤُمّ دَاراً بِــهِ فِيهَــا لــه سَكَنُ
حَتَّى إذَا وطنٌ نَــادَاهُ عَنْ وَطَنٍ   وقَـلْبُـه بهمـا صَـبٌّ ومـرتَـهَـنُ
أَضْحَى من الغرقة الأولى عَلَى ثِقَةٍ   وحَالَ عن سَنَن الأخرى به سَنَنُ
فَــلاَ أَقَــام علَى عَيْنٍ وَلاَ أَثَــرٍ   وَلاَ مِنَ الــوطَنَيْنِ اختــارَهُ وَطَنُ

● وقال أيضا:(١٨٦)

أَرَاك فلا أَرُدّ الطرف كَيْـلا   يكونُ حِجَابَ رُؤْيَتِكَ الجُفُونُ
ولَـوْ أَنّى نَظَرْتُ بكُـلِّ عَيْنٍ   لما اسْتَقْصَتْ مَحَاسِنَك العُيُونُ

● وقال أيضا:(١٨٧)

مَنْ يَشْتَرِي منِّى إخَاءَ محمَّدٍ   أَمْ مَنْ يُـرِيدُ إخَـاءَه مَجَّـانَـا
أَمْ مَنْ يُخَلِّصُ من إخاء محمدٍ   ولـه مُنَاهُ كـائِنـاً مـا كَـانَـا

● وقال:(١٨٨)

وكُنْتَ أَخِي بـإخَـاءِ الـزَّمَـانِ   فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبـاً عَوَانَـا
وكنتُ أَذُمُّ إليــكَ الـزَّمَـانَ   فَقَدْ صِرْتُ فيكَ أَذُمُّ الزَّمَـانَا
وكـنتُ أُعِـدُّكَ لـلنَّـائِبَـاتِ   فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْـكَ الأمَانَـا

---

(١٨٥) هذه المقطوعة وردت فى الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٢ ص ١٥٠

(١٨٦) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٠٨ ص ١٨٧، نفحات الأزهار ٢٤٧.

(١٨٧) ورد هذان البيتان فى الديوان، وفى الصداقة والصديق ٤٥، الوفيات ٥٦/٢ وهما فى الطرائف ١٤٠ ص ١٦٥.

(١٨٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان ، وهى فى الأغانى وفيها: (فأصبحت فيك أذم الزمان)، وفى معجم الأدباء ٢٦٣/١، غرر الخصائص الأولى ٣٥٦، الوفيات ١٠/١، خاص الخاص ٩٩، أحسن ما سمعت ص ٣٨ ، ونزهة الجليس ٢٦٧/٢، والصداقة ٣٥، الطبرى ١٣٧٦/٣، النويرى ٩٢/٣.
كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٤٣ ص ١٦٦.

● وقال إبراهيم بن العباس[١٨٩]:

عَينـاكِ قَـدْ حَكَتَـا مَبيـ ... تَكِ كَيْفَ كُنْتِ وكَيْفَ كَانَا
ولـربَّ عَـيْـنٍ قَـدْ أَرَتْـ ... كَ مبيت صـاحبها عِيَـانَـا

● وقال أيضا[١٩٠]:

لَئِنْ أصبحتُ طَـوْعَ يَـدَيْـ ... ـهِ أُرْضِيـهِ وَيَسْخَـطُنى
وأَقْـرَبُ منـهُ مُجْتَهِـدًا ... فـيَقْصِينى ويُبْعِـدُنـى
وأهْـوَاهُ وحَـظِّىَ مـنـ ... ـهُ طـولُ الهَمِّ والحَزَنِ
فــذَاكَ لــوَجْهِـهِ الحُسْنُ ... ولـيسَ لِفِعْـلِهِ الحَسَـنِ

● وقال أيضا[١٩١]:

يـانـائمًـا أَرَّقَنـى ... وَخَـالِيًا من حَـزَنى
أصـاب أعداءك مـا ... أَبْصَـرتَه فى بَـدَنى
أَبْصَرتُ فِى بَـ ـدْرِ الدُّجَى ... مشـابهًا من سَكَنى
أعـرفُ منها شَبَهًـا ... فى كلِّ شيءٍ حَسَنِ
وقـائـلٍ دَعْ حُبَّهـا ... فـقلتُ لاَ يَـتْـرُكَنـى
قَلْبى والحبُّ مـعًـا ... قد جُمِعَا فى قَـرَنِ

● وقال أيضا[١٩٢]:

ابـتـداءٌ بـالتَّجَنِّى ... وقَضَـاءٌ بـالتَّظَنِّى
واشْتِفَـاءٌ بـتَجَنِّـيـ ... ـكِ لأعْـدَائِـك منىِّ
بأبى قُلْ لى لكى أعـ ... ـلَمَ لِمَ أعْرَضْتَ عَنىِّ؟
قَدْ تَمَنىّ ذاك أعْدَا ... ئى فقَدْ نَالُوا التَّمَنىِّ
لم يكُنْ ذا بأَبى أنْـ ... ـتَ وأمى بكَ ظَنىِّ

---

(١٨٩) هذان البيتان وردا فى الديوان، وهما فى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٦٥ ص ١٧٥
(١٩٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٨١ ص ١٥٠
(١٩١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٣ ص ١٥٠
(١٩٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى معجم الأدباء ٢٧٥/١ دون الخامس، وهى فى الطرائف ٨٤، ص ١٥١

● وقال إبراهيم بن العباس[١٩٣]:

بـاتَتْ تُشَوِّقنى بـرَجْـع حَنِينِهـا وأَزِيدُها شَوْقًا بِـرَجْعِ حَنِينى
نِضْوَيْن مُغْتَرِ بَيْنِ بَيْنَ مهامِهِ طويا الضُّلوعَ على هوًى مَكْنُونِ
لو سُوئِلَتْ عنّا القلاصُ لأَخْبَرت عَنْ مُسْتَقَرّ صَبَابةِ المحـزونِ

● وقال أيضا[١٩٤]:

لاَ يَمْنَعَنّكَ خَفْضُ العَيْشِ فى دَعَةٍ نُزوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وأَوْطَانِ
تَلْقَى بِكُـلِّ بِلَادٍ أَنْتَ نَـازِلُها دارًا بـدارٍ وَجِيَـرانًـا بجيـرانِ

● وقال أيضا[١٩٥]:

خُذِى خَبَرِى عن سَـائِرِينَ صَحِبْتَهُم وعَنْ طَـارِقٍ أَوْ لَائِـذٍ صَحِبَـانى
خُذى خَبَرِى يَوْمَ القِرَى عن مَنَاجِرِى ويومَ الوَغَى عن مَنْصُلى وَسَنانى

● وقال أيضا[١٩٦]:

مَـالِى بِحَـائِجَـةِ قـدر دانى الزَّمَـانُ بهـا يَـدَانِ
لـمّـا بلغـتَ مَـدَاى فيـ ك بلغتَ فِيَّ مَدَى الزَّمَانِ
ونصبـتنـى غَـرَضًـا تَبِيـ ـحُ دَمِى وتَحْمِى مَنْ رَمَانى
هــذا جـزاءُ مـقـدَّمَـا تى إِذْ أكونُ وليَسْ ثانِ

---

(١٩٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، والحماسة البصرية ٣١٠، والبيتان الأولان فى مجموعة المعانى ص ٥٩ كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٥ ص ١٥١.

(١٩٤) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى معجم الأدباء ٢٧٤/١، وروض الأخيار ٢٦٣، الحماسة ١٣٧ معانى العسكرى ١٩٢/١، وفيات الأعيان ١٧/١ وفيه البيت الثانى كالآتى:

تلقى بكل بلاد إن حللتَ بها أهلًا بأهلٍ وجيرانًا بجيران

كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٦ ص ١٥١

(١٩٥) ورد هذان البيتان فى الديوان وفى الطرائف ٩٨ ص ١٥٤

(١٩٦) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٤١ ص ١٦٦.

● وقال إبراهيم بن العباس[١٩٧]:

هَبْ الزَّمَانُ رَمَانِى ... الشأن فى الخُلَّانِ
فِيمَنْ رَمَانِى لمَّا ... رَأى الزَّمَانَ رَمَانِى
ومَنْ ذَخَرتُ لنفسِى ... فَصَارَ ذُخْرَ الزمانِ
لَوْ قِيلَ لى خُذْ أمَانًا ... مِنْ أعْظَمِ الحَدَثَانِ
لَمَا أخذتُ أمَانًا ... إلاّ مِنَ الإخْوَانِ

● وقال أيضا[١٩٨]:

اسْمَعِى مِنِّى أبُثّكِ شَانِى ... إنما يُبْدِى ضَمِيرِى لِسَانِى
كم أخٍ لِى كَانَ مِنِّى فلمّا ... أنْ رَأى الدهرَ جَفَانِى جَفَانِى
لم يَرُعْنِى منه إلاّ عَدُوّ ... مُوتِرٌ نَحوِى قَوْسَ الزَّمَانِ
مُسْتَعِدٌّ لى بِسَهْمٍ فلمَّا ... أنْ رَأى الدَّهْرَ رَمَانِى رَمَانِى

● وقال أيضا[١٩٩]:

أوْلَى البرِيّة طُرًّا أن تُوَاسِيَه ... عندَ السُّرُور الّذِى وَاسَاك فى الحَزَنِ
إنّ الكرامَ إذَا ما أسهلوا ذكروا ... مَنْ كَانَ يألَفُهم فِى المَنْزِلِ الخَشِنِ

● وقال أيضا[٢٠٠]:

كم ترى يبقَى علَى ذَا بَدَنِى ... قَدْ بَلِىَ مِنْ طُولِ هَمِّى وَفَنِّى
أنَا فى أسْرٍ وأسبابِ رَدًى ... وحَدِيدٍ فَادِحٍ يَكْلُمنِى
وأبُو عَمْرَانِ مُوسَى حَنِقٌ ... حَاقِدٌ يَطْلُبنِى بالإحَنِ
ليسَ يشفيه سِوَى سَفْك دَمِى ... أوْ يَرَانِى مُدْرَجًا فِى كَفَنِى

---

(١٩٧) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الأغانى ٦٧/١٠، والمروج (عصر المتوكل) ومعجم الأدباء، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٤٢ ص ١٦٦

(١٩٨) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فقى الطرائف الأدبية المقطوعة ١٤٨ ص ١٦٨

(١٩٩) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى معجم الأدباء ٢٧٤/١، الوفيات ١٠/١، وفى الطرائف الأدبية ١٧٢ ص ١٧٧

(٢٠٠) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢٠٩ ص ١٨٨

● وقال إبراهيم بن العباس[٢٠١]:

إذَا ما الفِكْرُ وَلّدَ حُسْنَ لفظ وأَدَاه الضَّمِيــرُ إلَى العِيَــانِ
ووَشَّــاه فَـنَـمْـنَـمَــه مُـسَــدٍّ فَصِيحٌ فى المقالِ بِلاَ لِسَانِ
رأيتُ حُلَى البَيَـانِ مُنَشَّـرَاتٍ تَجَلَّى بينهـا صُوَرُ المَعَـانى

(٢٠١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان الذى جمعه الصولى، كما وردت فى أدب الكتاب ص ١٠٢، ومعجم الأدباء ٢٦٩/١، وهدية الأمم ص ١٧٠، والأغانى ٦١/١٠ وفيه (وأسلمه الوجود إلى العيان)، كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٢١٠ ص ١٨٨

قافية الواو

● وقال إبراهيم بن العباس(٢٠٢):

يا صَدِيقِي بالأَمْسِ صِرْتَ عَدُوّا   سُؤْتني ظَالِمًا ولَمْ تَرَ سُوّا
صِرْتَ تُغْرِي بيَ الهمومَ وقد كُنْـ   ـتَ لقَلْبِي من الهُمُومِ سُلُوّا
أيُّ وَاشٍ وَشَى وأي عدوّ   دَبَّ حتى نبوتَ عَنِّي نُبُوّا
كُلّما ازددتُ صحَّةً لكَ في الوُدّ   تزيّدتَ نَبوةً وعُتُوّا

(٢٠٢) وردت هذه المقطوعة في الديوان، كما وردت في الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٤٥ ص ١٦٧

قافية الهاء

● وقال إبراهيم بن العباس(٢٠٣):

سُقْيًا ورَعْيًا لأيَّامٍ مَضَتْ سَلَفًا ... بَكَيْتُ مِنهَا فصِرْتُ اليومَ أبْكيَها
كَذَاكَ أيَّامُنَا لا شَكَّ نَنْدِبُها ... إذَا تَقَضَّت ونحن اليوم نَشْكوهَا

● وقال أيضا(٢٠٤):

لا تَعْقِدَنْ إنْ كنت ناقضها ... أَلْفَيْتَها بك مَمْنُوعًا مَرَاقِيهَا
واجعلْ أُمُورَكَ مَرْدُودًا مَصَادِرها ... إلَى إختِيَارِكَ تَلْويها وتَمْضِيها

● وقال أيضا(٢٠٥):

لَادَارَ للمَرْءِ بَعْدَ الموتِ يَسْكُنُها ... إلَّا الَّتِي كَانَ قبلَ المَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإنْ بناها بخَيْرٍ فازَ سَاكِنُها ... وَإنْ بَنَاهَا بشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

● وقال(٢٠٦):

يا مَنْ حَنِينِي إلَيْهِ ... ومَنْ فُؤَادِي لَدَيْهِ
ومَنْ إذَا غاب مِنْ بَيْـ ... ـنِهم بَكَيْتُ عَلَيْهِ
إذَا حضرت فمن بيـ ... ـنهم أَصْبُ إلَيْهِ
مَنْ غَابَ بعدك مِنْهُم ... فَإذْنُه فِى يَدَيْهِ

---

(٢٠٣) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى مجموعة المعانى ١٠٢، ومروج الذهب (عصر المتوكل) والبيت الثانى فى الحصرى ٩٠/١، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٧ ص ١٥٢.

(٢٠٤) هذان البيتان فى الديوان، وهما أيضا فى الطرائف الأدبية، ص ١٦٧.

(٢٠٥) ورد هذان البيتان فى الديوان، كما وردا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ١٨٢ ص ١٨٠

(٢٠٦) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وفى معجم الأدباء ١٦٦/١، وفى الأغانى ٤٦/١٠، وفيه تروى الأبيات الثلاثة الأخيرة كالتالى:

[ومن إذَا غاب من بيـ ... ـنهم أَسِفْتُ عليه
إذا حضرت فما منـ ... ـهم مَنْ أَصْبُو إليه
مَنْ غاب غيرُك منهم ... فأمره فى يديه]

* كما وردت فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٨٨ ص ١٥٢

● وقال إبراهيم بن العباس(٢٠٧):

لَمْ أَبْـكِ مِنْ صَرْفِ دَهْـرٍ إلَّا بَـكَـيْـتُ عَـلَيْـهِ
وَلَا تَـرَكْـتُ صَـدِيـقًـا إلَّا رَجِـعْـتُ إِلَـيْـهِ

● وقال أيضا(٢٠٨):

مـا وَاحِـدٌ مِنْ وَاحِـدٍ أَوْلَى بفَضْلٍ أو مُرُوَّهْ
مـمَّـن أبـوه وبـيـتـه بَيْنَ الخِـلافَـةِ والنُّبُـوَّةْ

---

(٢٠٧) ورد هذا البيتان فى الديوان الذى جمعه الصولى، كما وردا فى الطرائف الأدبية ١٤٩ ص ١٦٨

(٢٠٨) ورد هذان البيتان فى الديوان، وهما فى الأغانى ٥١/١٠ وفيه [ممن أبوه وجدُّه] وهما أيضا فى الطرائف الأدبية، المقطوعة ٣٧ ص ١٣٨.

قافية الياء

● وقال ابراهيم بن العباس:(٢٠٩)

دَعْ المنَّ عن قومٍ أرَّقوكَ أنْفُسًا   كـرائم فِيهَـا عـزّة هى مَـاهِيَـا
وقِفْ بيننا نعمى الوفَاءِ وربها   لتَبْقَى فيبقى شكرُهَا لَكَ نَامِيَـا
واسِ [...] على الحِبَـاءِ فإنمـا   تَجُودُ بمَا يَفْنَى وتَعْتَاضُ بَاقِيَـا

● وقال أيضا:(٢١٠)

بَكَى البَيْنَ قبلى عَـاشِقُـونَ ولاأرَى   ليـوم فَرَاقٍ آخرِ الدَّهْـرِ بَاكِيَـا
أُقيم مُقَامَ الحيِّ حَتَّى إذا رَمَتْ   بِهِم نيّةٌ أصْبَحْتُ فى الحى غادِيَا

● وقال أيضا:(٢١١)

يا ظالمًا أدْلَى عليًا   وأسَـاءَ مُعْتَمِـدًا إلَيَّـا
هَبْ لى جُعِلتُ فِدَاك نَو   مِى لاَ أُرِيدُ سِوَاهُ شَيًّا
نَوْمِى يَعُوذ بحُسْنِ وَجْـ   ـهِـكَ أنْ تنغُصَـهُ عَلَيَّـا

● وقال أيضا:(٢١٢)

مَنْ أتانى فى حَاجَةٍ فَلَهُ الفَضْـ   ـلُ [....] إلـى عَـلَيَّـا
ولـه الشكرُ والمـزيـدُ وأضْعَـا   فُ الّـذِى جَاءَ يَـرْتَجِيهِ لَـدَيَّـا
لاَعَـدِمتُ السَّخَاءَ والبَـذْلَ للمَا   لِ ولا الـرَّاغِبين فيـهِ إليَّـا

---

(٢٠٩) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، وهى فى الطرائف الأدبية، المقطوعة٣٨ ص١٣٨. والبيت الأخير كذا فى الأصل.

(٢١٠) هذان البيتان فى الديوان وفى الطرائف الأدبية المقطوعة ٨٩ ص ١٢.

(٢١١) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٩٠ ص١٥٢.

(٢١٢) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف الأدبية المقطوعة ٩٩ ص ١٥٥ والبيت الأول هكذا.

● وقال أيضا:(٢١٣)

أَخٌ لى أَبْثَثْتُـه كُـربـةً فَمَا رَامَ حتَّى اشْتَكَاهَا إلَيَّا
وحتَّى لأَقْبَلْتُ أبدى العزاء لكى يَتَعَـزَّى فيأَبَى عَلَيَّـا
إلَى أَنْ بَخِلْتُ بـأسبـابِـهِ وكَـانَ بِـذَلِـكَ طَبًّـا مَلِيًّـا

(٢١٣) وردت هذه المقطوعة فى الديوان، كما وردت فى الطرائف المقطوعة ١٤٦ ص١٦٧.

انتهى الديوان بفضل الله ومنّه وكرمه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله وصحابته أجمعين..

أهم مراجع البحث

ابراهيم محمد أمين - أسرة الصوليين

ابن الأثير - المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ
- الكامل فى التاريخ - المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ
- اللباب فى تهذيب الأنساب، مكتبة القدسى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ

أحمد جمال العمرى - أبوبكر الصولى حياته وديوانه طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤.

أحمد أمين - ضحى الإسلام - الطبعة الخامسة مصر سنة ١٩٥٦ م

أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربى، مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٦٣ م

أحمد زكى صفوت - جمهرة رسائل العرب فى عصور العرب الزاهرة - طبع مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ

الأصفهانى (أبوالفرج) - الأغانى - طبع المؤسسة المصرية للنشر والترجمة، سلسلة تراثنا - مصر سنة ١٩٦٣ م

أنيس المقدسى - تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى - طبع بيروت - دار العلم للملايين سنة ١٩٦٠ م

بدوى طبانة - دراسات فى نقد الأدب العربى (من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث) مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٥ م

الثعالبى (أبومنصور) - الإيجاز والإعجاز - طبع القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ
- خاص الخاص - طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ
- أحسن ما سمعت من النثر والنظم - تصحيح محمد صادق - طبع القاهرة - مطبعة الجمهور سنة ١٣٢٤ هـ

جورجى زيدان - تاريخ الأدب العربى - طبع دار الهلال سنة ١٩٥٨ م
- تاريخ التمدن الإسلامى - مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس - طبع دار الهلال سنة ١٩٥٨ م

ابن الجوزى - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم - حيدر أباد سنة ١٣٥٧ هـ

الجهشيارى - الوزراء والكتاب - تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الابيارى، وعبدالحفيظ شلبى، طبع مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٣٨ م

حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٦٢ م

حسين نصار - نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى - مكتبة النهضة سنة ١٩٥٤ م

الحصرى (أبواسحق القيروانى) - زهر الآداب وثمر الألباب، شرح الدكتور زكى مبارك - المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٥ م

- ذيل زهر الآداب - المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٣ هـ

الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - طبع مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٣١ م

ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م

ابن خلكان - وفيات الأعيان وانباء انباه الزمان - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ م

خير الدين الزركلى - الاعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء) - الطبعة الثانية - المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٧ م

ابن رشيق - (العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ م

السباعى بيومى - تاريخ الأدب العربى

السمعانى (أبوسعيد) - الأنساب، نشرة مارجوليوث - سلسلة جيب التذكارية - ليدن سنة ١٩١٢ م

ابن سنان الخفاجى - سر الفصاحة - طبع مصر سنة ١٣٥٠ هـ

السيوطى - تاريخ الخلفاء

شوقى ضيف - البلاغة تطور وتجديد - طبع دار المعارف الطبعة الأولى

- التطور والتجديد فى الشعر الأموى - طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م

- الفن ومذاهبه فى الشعر - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٠ م

- الفن ومذاهبه فى النثر - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٥ م

- فى النقد الأدبى - طبع دار المعارف سنة ١٩٦٤ م

- العصر العباسى الأول - طبع دار المعارف الطبعة الأولى

الصولى - (أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس)

- أخبار البحترى - نشره الدكتور صالح الاشتر بدمشق سنة ١٩٥٨ م

- اخبار أبى تمام - نشره خليل محمد عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندى بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م

- أدب الكتاب - نشره محمد بهجة الأثرى - القاهرة سنة ١٣٤١ هـ

– الأوراق – قسم أخبار الشعراء – نشره ج. هيورث. دن – سنة ١٩٣٤ م

ابن طباطبا – الفخرى فى الآداب السلطانية – المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٢٧ م

الطبرى – (ابن جرير) – تاريخ الأمم والملوك – طبع دار المعارف المصرية.. وطبعة أخرى قديمة – مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٩٣٩ م

طه إبراهيم – تاريخ النقد الأدبى – طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ م

طه حسين – حديث الأربعاء – طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م

– فصول فى الأدب والنقد – دار المعارف سنة ١٩٦٦ م

– من حديث الشعر والنثر – دار المعارف سنة ١٩٦٥ م

ابن عبد ربه – العقد الفريد – تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابيارى – طبع مصر سنة ١٩٤٠ م

عبدالعزيز الميمنى – الطرائف الأدبية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م

على الخاقانى – شعراء بغداد، مطبعة أسعد ببغداد طبع سنة ١٩٦٢ م

ابن العماد – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – نشر مكتبة القدسى بالأزهر سنة ١٣٥٠ هـ

عمر فروخ – تاريخ الأدب العربى (الأعصر العباسية) طبع دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٨ م

أبو الفدا – المختصر فى أخبار البشر، طبع المطبعة الحسينية بمصر

قدامة بن جعفر – نقد الشعر – طبع القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ

– (نقد النثر) – نشر الجامعة المصرية – طبع دار الكتب سنة ١٩٣٣ م

القلقشندى – صبح الأعشى فى صناعة الانشا – القاهرة سنة ١٩١٣ م

كارل بروكلمان – تاريخ الأدب العربى، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار – طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ م

ابن كثير – البداية والنهاية فى التاريخ – طبع مطبعة لسعادة بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م

– اللباب فى تهذيب الأنساب.

محسن الأمين الحسينى العاملى – أعيان الشيعة – طبع مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٥٤ هـ

محمد الخضرى – محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – طبع القاهرة سنة ١٣٣٥ هـ

محمد زغلول سلام – تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع – طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ م

محمد كرد على - أمراء البيان - طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٣٧ م

المرتضى - أمالى المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل - دار إحياء الكتب العربية - طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ م

المرزبانى - الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء - تحقيق على محمد البجاوى - دار نهضة مصر سنة ١٩٦٥ م

المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ - طبع المطبعة البهية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ

ابن النديم - الفهرست - المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ

أبو هلال العسكرى - ديوان المعانى.

ياقوت الرومى - معجم الأدباء - سلسلة الموسوعات الأدبية، طبع عيسى الحلبى - مطبوعات دار المأمون سنة ١٩٣٦ م

- إرشاد الأديب إلى معرف الأديب - طبع ليدن سنة ١٩١٣ م

- معجم البلدان - طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م

فهرس تحليلى للموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الموضوعات

صفحة

رقم الايداع	٢٥٢٧ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى	١ - ٢٨٩٣ - ٠٢ - ٩٧٧

١٢ / ٨٩ / ٣

طبع بمطابع دار روتابرينت